بساتين عربستان
الساحرة الجهنية
أسامة المسلم
ساحر الكتب

بساتين عربستان

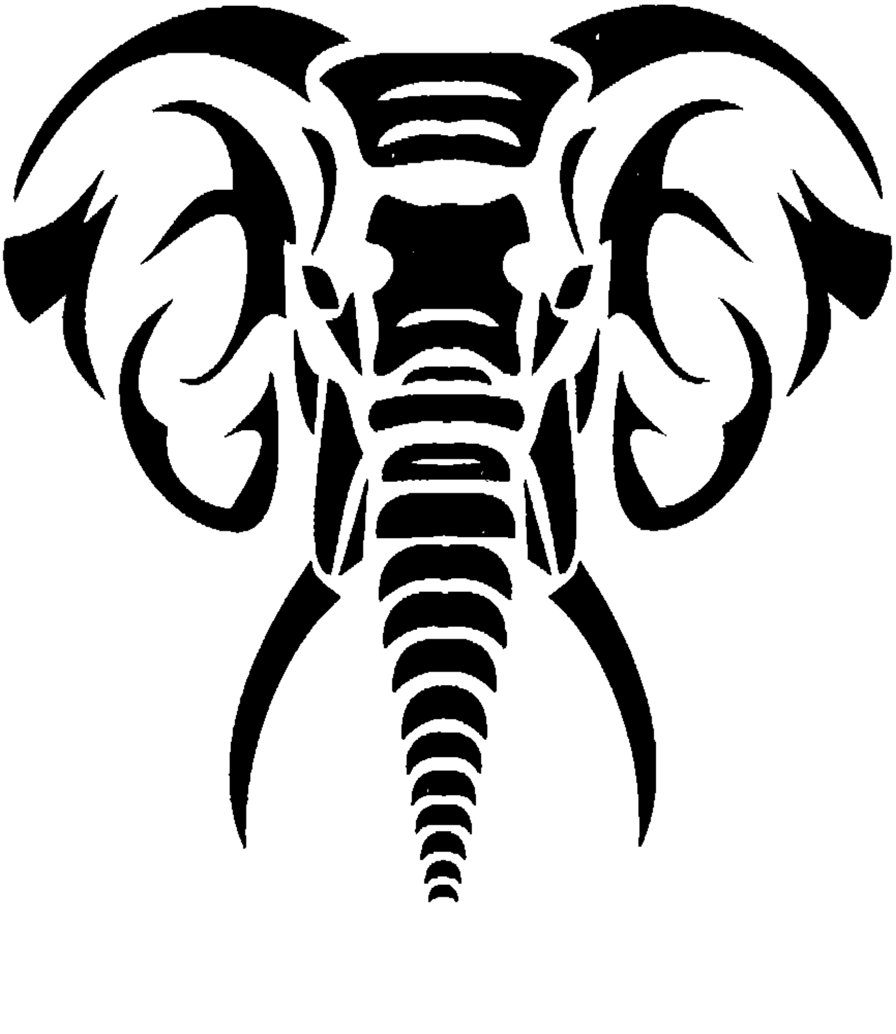

# الساحرة الهجينة

# لتحويلك إلى الجروب أضغط هنا

# لتحويلك إلى الموقع أضغط هنا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب

او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

***«لا تكن كشجرة أوراقها في مهب كل ريحٍ عابرة***

***بل كن كصخرة ثابتة بلا جذور..»***

أسامة المسلم

# دعجاء

ربوح

رتيكة

هنان

خود

ضنة

أفسار

نازانين

مهرناز

جريرة

أرتميس

أنمار

# هنان

## أزرق

## ضارم

## عاشق نورة

## ديموس

## الشيطان الأسير

# جہنم

## کامظ

## سقر

## حاجب

## طرمد

# نافجة

## زجد

## رافدة

## عوراء

# كُميت

# السيد الكبير

آغ

روشني

فايو

ككلكامش

«بعض البشر كالنار المسعرة.. يمنحك لحظات من

الدفء قبل أن يحرقك..»

أثمار

# فقدت ابتسامتي..

# وخسرت كرامتي..

ولم يبقَ سوى سخطي..

جرادة بيضاء تطن بأجنحتها تحت سماء عربستان الملبدة بالغيوم الكثيفة..
تتمايل مع ريحٍ شمالية باردة هبت معلنة عن دخول شتائها القارس..
رحلة طويلة قطعتها بلا انقطاع من جبال الملح..

تحط بأرجلها النحيلة على سبابة يد ارتفعت لاستقبالها..
يد امرأة.. نقش عليها خطوط الحناء الحمراء..

تمعن المرأة النظر بتلك الجرادة البيضاء لثوانٍ قبل أن تفتح فمها وتلتهمها
تمضغها ببطء وهي تحدق بالأفق.. تتسع عيناها بعد ابتلاعها..

توجه المرأة ذات الأربع عشرة نجمة الموشومة على وجنتيها نظرها للغرب بينما أطراف شعرها الأسود الطويل تتراقص مع الرياح الباردة..

تبدأ السير بأقدامها الحافية لوجهتها الجديدة..

# ذئبة الجبل

يصل زعيم (اليعاقبة) في «عربستان» بعد سفرٍ طويل من «أرض الحجاز» إلى الأرض التي استقر فيها قائدهم وسيدهم الأعظم (الماران) حديثاً ويطلب مقابلته على الفور فيُسمح له بذلك بعد ما تم تفتيشه بشكل دقيق.

(الماران) بعد دخول التاجر اليعقوبي عليه في مهجعه وتقبيل يده:

«ما الذي أتى بك يا (عتروف)؟.. أنا لم أستدعِك..»

(عتروف) حانياً رأسه: هناك أحداث كثيرة تشهدها «عربستان» يا صاحب البركة وكان لا بد من نقل الأخبار إلى مقامك في الحال

(الماران): لمَ لم ترسل رسولاً لهذا الغرض؟.. أنت سيد التجار في «عربستان» ولديك مهام أهم يجب أن تشرف عليها

(عتروف): ما أتيت لأجله أهم من أي شيء آخر ولم أكن أستطيع أن أأتمن أحدًا عليه

(الماران): هات ما عندك.. ما الذي يحدث في «عربستان»؟.. هل تسببت العرجاء بالمزيد من الخسائر؟

(عتروف): لم نعد نتعرض لهجمات منها كالسابق لكن الناس أصبحوا يقاومون وجودنا بينهم بشكل أكبر بسببها

(الماران): اصبروا.. المتنورون يقتفون أثرها وسيحضرون رأسها لي وسأرسله لكم لتعلقوه على مدخل المدينة عبرة لكل من آمن بها

(عتروف): العرجاء ليست الخطر الأكبر الآن يا سيدي

(الماران): ماذا تقصد؟

(عتروف): هذا هو سبب سفري الطويل إلى هنا وقد كنت متوتراً وقلقاً طيلة الرحلة خشية ألا ألحق أن أحذرك

(الماران) بتجهم: تحذرني من ماذا؟!.. تحدث فوراً!

(عتروف): كما تعلم يا صاحب البركة أننا في سعينا لإيجاد مكان العرجاء قمنا بأسر وتعذيب الكثير من الناس

(الماران): نعم وكل محاولاتكم باءت بالفشل وهذا ما دفعني للاستعانة بالمتنورين

(عتروف) مستأنفاً حديثه: قبل عدة أسابيع وصلتنا معلومة من جواسيسنا العرب تفيد بأن أحد شيوخ القبائل المعروفين بتعاطفهم مع العرجاء يخطط لاغتيالك بالتعاون مع ساحرة من الجنوب فقبضنا عليه وقمنا بتعذيبه لمعرفة حقيقة مخططاته ولكي يدلنا على تلك الساحرة التي ينوي التآمر معها

(الماران): وهل فعل؟

(عتروف): لا.. ومهما كنا نذيقه ألوان العذاب كان يرفض الحديث عنها أو الإرشاد عن مكانها حتى شارف على الموت

(الماران): حضورك إلى هنا يدل على أنك حصلت على المعلومة في النهاية

(عتروف): صحيح يا صاحب البركة.. لقد زارتني ابنة شيخ القبيلة طلبًا للصفح عنه وعرضت علينا الكشف عن مكان تلك الساحرة التي تنوي قتلك بالتعاون مع أبيها في مقابل إطلاق سراحه

(الماران) مبتسماً بتهكم: هكذا هم العرب.. يندفعون بعواطفهم ولا يحسبون حساباً للعواقب لذا يتهاوون كالذباب أمامنا.. أنا أتنقل على الدوام ولا أستقر في مكانٍ محدد ولا أحد يعرف مكاني سوى المقربين مني أمثالك لذلك عرضها لا قيمة له فتلك الساحرة لن تجدني أبداً

(عتروف): هذا ما قلته ضمناً لابنة الشيخ لكنها أخبرتني بأن هذه المرأة مختلفة وقد رأت بعينيها قدراتها عندما اجتمعت مع أبيها وعرضت عليّ أن تثبت لي ذلك بأن تدلني على مكانها

(الماران): وهل وجدتها؟

(عتروف): نعم.. أخبرتنا ابنة الشيخ أنها تقيم وحدَها في منطقة جبلية جنوب الحجاز وعلى الفور أرسلت كتيبة من الفرسان للقبض عليها لكنهم لم يعودوا أبدًا فقمت بإرسال مجموعة أخرى قدتها بنفسي وبعد وصولنا للمكان رأيت جثث فرسان الكتيبة الأولى مبعثرة على سفح أحد الجبال وقد بدأت بالتعفن فأعطيت الأمر لمن كانوا معي بالبحث عنها.. وعندها ظهرت لنا..

(الماران) بقلق: من كانت؟

(عتروف): لم أتمكن من رؤية ملامح وجهها فقد كانت تغطي رأسها بخمارٍ أسود لكني رأيت بوضوح خيال جسدها من فوق قمة الجبل وهي تراقبنا وقبل أن أعطي الأمر بملاحقتها اندفع سرب كبير من الذئاب المسعورة نحونا وقام بتمزيق كل من كانوا معي في دقائق معدودة

(الماران): كيف نجوت إذاً من تلك الذئاب؟

(عتروف): هي من أوقفتهم عندما هموا بقتلي برفع كفها للأعلى ثم رحلت من المكان وانسحبت الذئاب معها.. عدت بعدها على الفور للحجاز وأذقت ذلك الشيخ أقسى أنواع العذاب ليخبرني عن هويتها لكن لم يفعل ومات متأثراً من التعذيب لكنه قال شيئاً قبل أن يفارق الحياة وهذا هو سبب وجودي هنا اليوم يا صاحب البركة

(الماران) بتوتر شديد: ماذا قال؟

(عتروف): قال بأنها في طريقها الآن إليك بعد ما علمنا بنيتها وحاولنا القبض عليها بمقرها عند الجبل ولن يستطيع أحد إيقافها لذا أتيت على عجالة لتحذيرك يا سيدي وأنا سعيد بأني وصلت قبلها

(الماران) بعصبية: أيها الأحمق!.. لقد وقعت في فخهم كالأهبل!

(عتروف) بتعجب وتوتر: أي فخ يا سيدي؟.. لقد نجحت بتحذيرك!

(الماران) بسخط: ونجحت خطتهم لتحديد مكاني!.. هذه الساحرة لم تتحرك من مكانها إلا بعد ما رحلت أنت كي تقتفي أثرك وتجدني!.. لقد كانت تلك خطتهم من البداية!

(عتروف) بقلق شديد: معنى ذلك..

(الماران) مقاطعاً: أنها وصلت معك اليوم وسوف تحاول قتلي

(عتروف) بارتباك: يجب أن نبلغ الحراس على الفور!

(الماران) بهدوء: يكفي ما أحدثته من ضرر اليوم.. عد للحجاز في الحال ولا تأتِ مرة أخرى دون أن أستدعيك

خرج (عتروف) بعد ما قبل يد الماران وقدم اعتذاره عن تقصيره..

(الماران) آخذًا نفساً عميقاً أتبعه بزفرة ساخنة محدثًا نفسه: هذا ما كان ينقصني..

في تلك اللحظة شعر الماران بيد تحط على كتفه من الخلف فنهض

مفزوعاً من مكانه لدرجة أنه أسقط الكرسي الخشبي الذي كان يجلس عليه ملتفتاً وراءَه بأنفاس متسارعة صارخاً: «من؟!»

تحول توتر الماران لعبوس عندما رأى (روشني) يقف أمامه يحدق فيه بأعينه الزرقاء مبتسماً ويقول:

«لم كل هذا الجزع؟.. لم أعهد على الماران العظيم أن يفقد هدوءَه بهذا الشكل..»

(الماران) متجهماً: ما الذي أتى بك؟.. أخبار فشلكم تصلني كل يوم ولم يستدعِ الأمر أن تأتي بنفسك لتخبرني

(روشني) رافعاً وشاحه الأبيض الذي توشح به فوق كتفه الأيمن: نعم واجهنا بعض العقبات لكننا لم نفشل بعد

(الماران) رافعاً الكرسي الذي سقط وبعد جلوسه عليه قال بنبرة تهكمية: ومتى ستُقرون بالهزيمة؟.. العرجاء قضت على كل القتلة الذين أرسلتموهم في طريقها وقد سقطوا جميعاً وهي لا تزال تعرج للأمام

(روشني): مسألة وقت فقط وسوف تحصل على مرادك أيها الماران وأنا هنا لأنقل لك طمأنة السيد الكبير بأن..

(الماران) مقاطعاً: أنا لا أملك وقتاً أكثر لأضيعه معكم.. لقد منحتكم الفرصة وقد أخفقتم وآن الأوان لأن أوسع دائرة المنافسين على كتاب سليمان الحكيم.. سوف أرسل الرسل لإبلاغ ملوك الجن وأسياد الشياطين بأن الكتاب سيكون من نصيب أول من يحضر لي رأسها

(روشني): هذا قرار غير حكيم وسوف يُحدث فوضى عارمة

(الماران): فليحدث ما يحدث.. المهم أن أحافظ على حياتي والعهد الذي بيني وبينكم ليس ملزماً لأي منا خاصة بعد إخفاقاتكم المتتالية

(روشني): دم العرجاء سيهدر بلا شك من الطائفة الجنتية سواء حافظت على عهدك معنا أو نقضته.. نحن نثأر دوماً لقتلانا

(الماران): افعلوا ما تشاؤون وسأفعل ما أريد..

(روشني): السيد الكبير لن يُسر لسماع ذلك

(الماران): مشاعر سيدكم هي آخر اهتماماتي الآن

(روشني): قرار توسعة دائرة المشاركين لتعقب العرجاء قد ينقلب عليك

(الماران): كيف؟

(روشني): نحن حتى وإن كنا قد تعثرنا في مهمتنا مؤقتاً إلا أننا كنا وما زلنا كتومين جدّاً في عملنا وهذا يعطينا أفضلية المباغتة لكن الجن والشياطين لا يملكون مثل هذا الحرص والانضباط وسوف ينتشر الخبر بكل مكان وهناك خونة كثيرون قد يتحالفون معها وينصرونها ناهيك عن سهولة تسخير بعضهم بالطلاسم.. أنت بما تنوي القيام به سوف تشعل فتيل حربٍ لن تستطيع التنبؤ بأي اتجاه ستسير

(الماران) بتهكم: هل تحاول إخافتي كي يبقى عقد تصفيتها محصوراً عندكم؟.. كف عن التذمر وتقبل حقيقة فشلكم

(روشني): التذمر والعمل لا يجتمعان.. أنا أحذرك فقط من مغبة ما تنوي القيام به وفي نهاية المطاف لن يقتلها إلا أحد أتباعنا وما ستقوم به مجرد تشويش علينا وفتح بابٍ مجهول العواقب عليك

(الماران) مديراً نظره عن الوزير المتنور: انتهى اللقاء.. أخبر سيدك بأنه يملك فرصة إلى نهاية هذا الشهر فقط وبعدها سأوكل المهمة لمن هم أكثر قدرة ورغبة منه للحصول على كتاب سليمان الحكيم

(روشني) وخياله يضمحل في الهواء: سوف أبلغه بذلك..

نهض الماران من مقعده ونادى على كبير حراسه فدخل عليه فارس ضخم مغطى بالدروع معلقاً سيفاً ضخماً على خاصرته وحنى رأسه قائلاً: بمَ تأمر أيها المبجل؟

(الماران): استدعِ جميع الكهنة والرماة ليرابطوا حول منزلي وعزز الحراسة أكثر وأعد العدة للرحيل لمكان آخر أول الصباح

(الفارس): هل استجد شيء ما؟

(الماران): هذا الموقع لم يعد آمناً ويجب أن نرحل عنه فوراً وفي أقرب وقت

(الفارس): أمرك.. سنكون جاهزين للرحيل خلال ساعات

(الماران): انصرف الآن وأرسل التلاميذ ليحملوا كتبي على الدواب استعداداً للرحيل غداً

(الفارس) وهو يهم بالرحيل: حاضر

خرج الفارس وأغلق الباب خلفه تاركاً الماران يسير بجانب رفوف مكتبته حتى توقف عند كتاب سليمان الحكيم ليسحبه من الرف ويفتحه من المنتصف قائلاً:

«سيموت الكثير لأجلك لكني لن أكون أحدهم.. سأكسر شوكة العرب العرجاء وسأستبيح أرضهم كما يحلو لي بعد هلاكها.. لم تكن الخراف يوماً أنداداً للذئاب..»

صوت أنثوي يحدثه من الخلف قائلاً: «أصبت في ذلك أيها النعجة..»

التفت الماران تجاه مصدر الصوت ليسقط كتاب سليمان من يده بعد ما مر نصل حاد بشكلٍ خاطف وسريع من خلال عنقه فارت على أثره دماؤه كالشلال ليقع هو الآخر على الأرض صريعاً بجانب الكتاب.

التقطت القاتلة الكتاب الملطخ بدماء الماران وهو لا يزال ينتفض متحشرجاً بدمائه وخرجت خلسة من المكان كما دخلت..

# العرش الرخامي

في قاعة كبيرة بقصرٍ ضخم فوق قمة جبلٍ مغطى بالثلوج شرق «فارس» وغرب «بلاد السند» وقف الوزراء الثلاثة بالطائفة الجنتية حول عرشٍ رخامي خاوٍ يجري من تحته نهر تتدفق خلاله مياه الجبال الباردة يتناقشون في غياب سيدهم الكبير.

احتدم النقاش بين الثلاثة وأشدهم غضباً كان الوزير ذا الرتبة الأعلى والمسؤول عن طبقة المتنورين الكهنة أصحاب العلم والهالات القوية وهو كهل نحيل يلبس إزارًا أخضرَ يدعى (آغ) الذي قال في خضم الحديث المشتعل بنبرة ساخطة للوزير الأسمر الحليق الرأس والوجه: «لقد أخفقت وسببت لنا وللطائفة حرجاً كبيراً!»

الوزير الأصلع ذو الخمس عشرة نجمة موشومة على عنقه الذي

كان يلبس حزاماً ذهبيّاً امتلأ بالخناجر ولباسه كالجلباب الفضفاض المصنوع من الخيش: «ما حدث مع (كلال) كان ضربة حظ لتلك البدوية..»

(روشني) متهكماً: وهل هذا هو التبرير الذي ستقوله للسيد الكبير يا (فايو)؟

(فايو) بعصبية: أنا لا أبرر!.. لقد تعثرنا ولم نسقط بعد!

(روشني) مُمررًا أصابعه بغرته الشقراء: لقد أصبحت الطائفة أضحوكة ومصدراً للتندر بين الناس هنا.. لقد أوقعنا رجالك في وحل المهانة وفقدنا الكثير من مصداقيتنا بسببهم

(آغ): السيد (روشني) محق.. أقترح أن ننقل مهمة تصفية العربية للكهنة القتلة فسجلهم خالٍ من الإخفاقات

(فايو) صارخاً بغضب: لا!.. هذه مهمتي وسوف أنجزها!

صوت يصدر من وراء العرش الرخامي الكبير:

«وكيف تنوي القيام بذلك يا قائد القتلة؟»

انحنى الثلاثة بعد رؤيتهم سيدهم الكبير يسير تجاههم وهو يداعب

لحيته البيضاء الكثيفة ومن خلفه حراسه الضخام حتى جلس بجسده المفتول العضلات وقال: «لقد حذرتك من خذلاني يا (فايو)..»

(فايو) ورأسه للأرض خشية النظر في أعين قائد الطائفة الجنتية: أشعر بالعار مما حدث لكني أقسم لك إن هذا لن يتكرر

(السيد الكبير): هل بلغ علم فشلكم للماران؟

(روشني): الماران قتل بعد عودتي من زيارته بالأمس يا سيدي

(السيد الكبير): ماذا؟.. من قتله؟

(روشني): لا أحد يعرف.. وجدوه مذبوحاً في مهجعه والمخيف في الأمر أن ذلك حدث بعد رحيلي بدقائق.. هذا ما أعلمني به الجاسوس المزروع لمراقبته

(السيد الكبير): وكتاب سليمان الحكيم؟

(آغ): سرقه القاتل..

(السيد الكبير): هل كنت على علم بهذا الأمر يا سيد الكهنة؟

(آغ): لا علم لي سوى ما أخبرني به الوزير (روشني) قبل دخولنا

بقليل.. لذلك يا سيدي أقترح إيقاف حملة تصفية العرجاء فلا جدوى من إكمالها بعد موت من أمر بشنها.. لم يعد هناك سبب لقتلها

(فايو) بغضب: لا!.. تلك البدوية الحافية قتلت رجالي وسوف تدفع الثمن بدمها!

(روشني) بنبرة ساخرة واستفزازية متعمدة: لا نريد خسارة المزيد من أفراد الطائفة يكفي ما لحق بنا من عار حتى الآن بسبب رجالك غير الأكْفَاء

(فايو) بغضب: أطبق فمك يا وزير الثرثرة!

(السيد الكبير) بهدوء: توقفوا جميعاً عن الكلام..

حنوا رؤوسهم صامتين..

(السيد الكبير): أرى بوادر تفكك تتفاقم بيننا وهذا الأمر لن أسمح بحدوثه.. موت الماران لن يغير شيئًا.. وأنا من أصدر أمر قتلها وسوف نمضي قدماً فيه حتى نتمه.. البدوية يجب أن تموت فبقاؤها على قيد الحياة هو شهادة بضعفنا وقصور إمكانياتنا والتي هي تاج سمعتنا وهذا هو أمري النهائي..

أجاب الوزراء الثلاثة بنفسٍ واحد: سمعاً وطاعة..

(فايو) وهو يهم بالخروج: سوف أذهب بنفسي لـ «عربستان» لأنهي المهمة!

(السيد الكبير): توقف!.. لن تتعافى الطائفة من خبر موت قائد فرقة القتلة حتى وإن ماتت العرجاء بعدها.. ابقَ مكانك!

(فايو) بحنق وخيبة من شك السيد الكبير في قدرته على إنهاء المهمة: أعدك يا كبير بأني..

(السيد الكبير) رافعاً كفه مقاطعاً: لقد اكتفيت من الوعود الخاوية.. لن يتمكن أحد من قتل تلك العربية إلا عربية مثلها.. أرسلوا (هند) لتنهي ما فشل به (كلال)

(آغ): قرار حكيم يا سيدي

(روشني) بنبرة مشككة خالطها بعض القلق: (هند) متنورة متمكنة لكن..

(السيد الكبير) بصوته الغليظ: لكن ماذا؟

(روشني): مزاجها المتقلب قد يشكل لنا مشكلة من وقتٍ لآخر..

هل تذكر يا سيدي ما حدث عندما أوكلنا لها مهمة اغتيال شيخ قبيلة الهوازن؟.. تراجعت عن مهمتها في آخر لحظة مخالفة بذلك عقيدة الطائفة الجنتية التي أقسمت على خدمتها ولَمْ تكْتَفِ بهذا فقط بل أرسلت تحذيراً لـ (فايو) بأنه لو تعرض له وأرسل قتلة آخرين فسوف تقتص منه بنفسها وما زلت إلى اليوم لا أعرف لمَ غفرت لها ذلك التجاوز الوقح ولم تأمر بتصفيتها

(فايو): أنا من أقنع السيد الكبير بأن يتجاوز عنها فهي لم تخنا ولو فعلت لكنت أنا من عاقبها بنفسي لكني أتفهم طبيعتها وطبيعة دمها العربي الذي يغلي من وقت لآخر ويشوش قراراتها فالعرب ليسوا مثلنا فعواطفهم تطغى على عقولهم وحميتهم لأبناء جلدتهم تستيقظ فجأة دون سابق إنذار ومن الضروري أن نتفهم ذلك

(روشني): تفهمنا لها يظهرنا بمظهر الضعف أمام أفراد الطائفة ثم ما الذي أيقظ تلك الحمية عندها مع شيخ الهوازن؟.. وكيف نضمن أنها لن تستيقظ مرة أخرى مع البدوية العرجاء؟.. من يخُن مرة تهنْ عليه الثانية بكل سهولة.. أنا متحفظ على قرار إرسالها في هذه المهمة

(آغ): تحفظك محل احترامنا جميعاً يا (روشني) لكني أتفق مع (فايو)..

(هند) متنورة مخلصة وما حدث تلك المرة له ظروفه الخاصة وخبره لم يخرج وينتشر بين أفراد الطائفة وهي لم تكررها مرة أخرى.. ولاؤُها كان وما زال للطائفة الجنتية وقد قتلت الكثير من شيوخ القبائل العربية تنفيذاً لأوامر السيد الكبير ولم تعترض قط على تصفية أحدهم ونفذت جميع المهام التي أوكلت إليها بعد تلك الحادثة دون جدال

(فايو): التنسيق مع القتلة هي مهمتي فأرجو من السيد (روشني) أن لا يتدخل فيما لا يعنيه.. حمية (هند) لأبناء جلدتها أمر يمكن تسخيره لمصلحتنا

(روشني): القرار في النهاية للسيد الكبير وقد عبرت عن وجهة نظري فقط وهذا من حقي

عم الهدوء المكان بعد ما وجه الوزراء الثلاثة أنظارهم نحو سيدهم الكبير منتظرين منه القرار النهائي فقال موجهاً كلامه لـ (آغ): نفذ الأمر وأرسل لـ (هند) رسولاً..

(آغ) حانياً رأسه: أمرك

أدخل وزير الكهنة يده في فمه مخرجاً جرادة بيضاء كبيرة وبدأ يهمس عند رأسها حلقت بعدها للأعلى خروجاً من المكان..

(فايو) للسيد الكبير: أرجوك يا سيدي.. امنحني حق إرسال المزيد من القتلة لعربستان

(آغ): العربية متنورة من الرتبة الرابعة عشرة ولن تحتاج عوناً من أحد ثم لا تنسَ أن هناك قتلة آخرين لا يزالون يعملون بالأمر القديم ولم تصلهم أي أخبار جديدة ولم يعودوا لجبال الملح بعد لذلك لا يوجد سبب مقنع لإرسال المزيد منهم

(فايو): لن أرسلهم ليعاونوها

(السيد الكبير): لأي غرض تريد إرسالهم إذاً؟

(فايو): للتحقق من أن المهمة ستتم على أكمل وجه دون منغصات

(روشني) بتهكم: إذاً فالشك يساورك مثلي

(فايو): حرصي على إتمام المهمة ليس شكّاً في قتلتي.. لا أريد مفاجآت

(السيد الكبير): سأمنحك مطلق الحرية بإرسال من تريد لكن تذكر أن هذه آخر فرصة لك وتذكر أيضاً أنك ممنوع من مرافقتهم.. هل تفهم؟

(فايو) يحني رأسه قبل أن يهم بالخروج: مفهوم يا سيدي.. لن أخذلك..

خرج قائد القتلة من قاعة العرش الكبيرة وتوجه للجبل المجاور حيث

كان مقر القتلة التابعين للطائفة الذين بلغ عدد الموجودين منهم في جبال الملح وقتها أكثر من خمسمائة قاتل مصنف برتب مختلفة وبعد دخوله من فوهة الكهف وجلوسه على نصبه الحجري دخل خلفه وانحنى أمامه العشرات من التابعين رجالاً ونساء فخاطبهم قائلاً: «السيد الكبير ساخط على أدائنا مؤخراً وأنا أمام تحدٍّ كبير لأثبت له أننا لسنا فرقة هينة يمكن السخرية منها.. لقد تعرضنا لضربات موجعة من خصم واحد ومات من إخوتنا الكثير آخرهم كان (كلال) [الذي قاتل ببسالة حتى النهاية لكن موته ألحق بنا عاراً يجب أن نغسله بدماء عدونا].. عدونا بدوية عرجاء تسكن «عربستان» وهي ليست وحدَها فالدواب المستطلعة ذكرت أنها تصاحب مجموعة يعاونونها أحدهم من الجن الأزرق

نهضت امرأة بأعين بيضاء وبشرة سمراء شاحبة وشم على خدها سبع نجوم من بين المنحنين أمام (فايو) وقالت:

«امنحني هذا الشرف أيها القائد العظيم وسوف أعيد العزة لفرقتنا..»

يقف رجل ضخم يمسك مطرقة حجرية كبيرة بعشر نجوم موشومة على جبينه ويقول بغضب: «أنا من سيقتل هذه العربية!»

أخذ القتلة يقفون تباعاً يعرضون تطوعهم لمهمة قتل العرجاء و(فايو) يراقبهم بصمت حتى وقف الجميع ولم يبقَ أحد منهم منحنياً..

(فايو): أعرف أنكم جميعاً تملكون الرغبة والقدرة على إنجاز هذه المهمة لكني سوف أختار ثلاثة فقط

أشار قائد فرقة القتلة بسبابته لثلاثة من الواقفين وأشار للبقية بالانصراف..

(فايو) للثلاثة الذين وقع عليهم الاختيار: أنصتوا جيداً لما سوف أقوله ونفذوه بالحرف

# روح العرب

تفتح العرجاء عينيها ليلاً..

ترى جروحها مطببة ورأسها في مكانه..

نارٌ تشتعل أمامها..

يجلس بجانبها شابٌّ صغير بشعرٍ أسودَ قصير

قرط ماسي يلمع في إحدى أذنيه..

تحاول الجلوس لكنها تعجز عن ذلك من الألم في خاصرتها..

ينتبه لها الشاب فيقول بعربية ركيكة: ما زال الوقت مبكراً على الحركة يا عرجاء.. جروحكِ لا تزال جديدة وتحتاج أيامًا عدة لِتبرأ.. السم كان قويّاً لكن لا شيء يستعصي على طرقنا في العلاج..

أعادت العرجاء رأسها للوسادة الناعمة التي وُضعت تحته وقالت بتوجس:

من أنت؟.. ولِمَ لا أزال على قيد الحياة؟

ابتسم الشاب وهو يحدق بالنار وقال: وفري طاقتك الآن لما هو قادم.. سنتحدث لاحقاً

عاودت العرجاء سؤاله مرة أخرى وقالت: أخبرني على الأقل.. هل أنت عدو أم صديق؟

أجابها الشاب: لا هذا ولا ذاك.. لكن.. كوني لست عدوك فهذا لا يجعلني صديقك..

العرجاء وهي تزفر: وأين المتنور الفارسي الذي حاول قتلي؟.. هل هرب؟

الشاب الصغير: لا لم يهرب..

العرجاء: هل هو آخرهم؟

رفع الشاب بقبضته شيئًا كان وراءَه ومده أمام وجهها قائلاً:

لا.. سيأتي بعده الكثير.. الكثير جدًّا

صدمت العرجاء عندما رأت رأس (كلال) يتدلى من قبضة ذلك الشاب الصغير..

ابتسم الفتى واضعاً رأس (كلال) جانباً وقال: حاولي أخذ قسط من الراحة الآن..

(نافجة) المستلقية على جنبها بأعين متسعة ونبرة مشحونة بالتوتر: لن أغمض عينيّ قبل أن أعرف من أنت أيها الصبي!

أجاب الفتى بعد ما وجه نظره للنار المشتعلة أمامه: أنا (شاور).. أتيت في مهمة من القائد (روشني)

(العرجاء) واضعة يدها على مقبض السيف المبروق الملقى أمامها: مهمة من أي نوع أيها الأعجمي؟

(شاور) مقلباً النار المشتعلة بعصا نحيلة: حمايتك من الموت..

(نافجة): لقد قلت إنك تابع لـ (روشني).. هذا هو المتنور الذي وجه بقتلي فكيف يريد حمايتي من الموت؟

(شاور): أنا أنفذ الأوامر فقط

(نافجة): لا أرى نجوماً موشومة على وجنتك.. أنت لست من فرقة القتلة

(شاور): لا.. أنا لي تصنيف مختلف

(نافجة): من الكهنة؟

(شاور) مبتسماً: أنتِ تعرفين الكثير عن طائفتنا.. لم أتوقع هذا

تحاملت العرجاء على نفسها وجلست بالرغم من الألم الحاد في ظهرها وخاصرتها من الجرح الذي تسبب به السهم المسموم وقالت: «منذ متى وأنت تتعقبني؟»

(شاور): منذ عدة أيام فقط.. قبل أن تفترقي عن مجموعتك وذلك الجني الأزرق.. كان تصرفاً نبيلاً منكِ أن تضحي بنفسك هكذا لإنقاذهم من بطش (كلال)

(نافجة): لم أكن سأضحي بهم في معركة خاسرة فهم يستحقون الحياة أكثر مني

(شاور) رافعاً رأسه للسماء التي تلبدت بغيوم سوداء بعد ما هبت عليها ريح باردة: برد الصحراء أقسى من برودة جبال الملح الثلجية..

(نافجة): أرضنا قاسية صيفاً وشتاءً والأقسى منها أهلها وقاطنوها

(شاور): نعم أستطيع رؤية ذلك فيك يا عرجاء

(نافجة): ماذا تريدون مني؟

(شاور): أنتِ مجرد ثمن مقابل كتاب سليمان الحكيم.. ندك الحقيقي هو (الماران)

(نافجة): وما الذي تنتظره؟.. أنا عاجزة الآن وفي متناول يدك.. اقتلني وعد لأسيادك منتصراً

(شاور): مهمتي واضحة ومحددة وقد انتهت بموت (كلال) ولم تصلني أوامر أخرى من السيد (روشني) ولا أستطيع البقاء أكثر وإلا فسوف يلحظون وجودي معكِ

(نافجة): عمن تتحدث؟.. من سيلحظ وجودك؟

(شاور): من سيأتون من بعده لإتمام المهمة.. (فايو) لن يتوقف حتى يقتلك وسيرسل المزيد من القتلة بلا شك

(نافجة) قابضة على سيفها المبروق: فليأتوا.. فليحاولوا.. أنا هنا بانتظارهم..

(شاور): جروحك تستلزم أياماً لتبرأ

(نافجة): جرح كهذا لن يبرأ في أيام

(شاور): لقد طببته بدواءٍ خاص سيعجل بشفائك ولن تكون الفترة اللازمة لذلك أكثر من عشرة أيام لكنها ستكون أيامًا صعبة

(نافجة) واضعة كفها على خصرها المصاب: السهم الذي أصابني.. هل تعرف مصدره؟

(شاور): لا فكرة عندي عن مصدره لكن السم الذي اكتحل به رأسه سم زعاف وما كنتِ لتنجي منه أبداً

(نافجة): جسدي لا يزال يؤلمني من أثره

(شاور): أنتِ مصابة بالحمى وهذا أمر طبيعي... لقد أخرجت السم من بدنك لكنك تحتاجين للراحة وإلا انتكست حالتك.. هل تعرفين مكانًا يمكنك أن تبقي فيه آمنة فترة تعافيك؟

(نافجة): هل تملك القدرة على نقلي لـ «هجر»؟

(شاور) مبتسماً: لست من الجن لأنقلك قدرتي محصورة على نقل نفسي فقط ثم إن الذهاب للمدن الآن أمر لا أنصحك به

(نافجة): لمَ؟

(شاور): نبأ مقتل (كلال) لا شك وأنه قد وصل لجبال الملح وسيثير ذلك سخط السيد الكبير وسيصدر بلا شك أوامره بشأن التصرف معكِ ولن يتهاون هذه المرة وستكون الضربة أقوى وأقسى فسمعة الطائفة على المحك الآن والقتلة الباحثون عن التصنيف في «عربستان» سينتشرون في كل مدنها بحثاً عنكِ

(نافجة): أنت من قتل المتنور الفارسي وليس أنا

(شاور): نعم ومهمتي كما أخبرتك انتهت بموت (كلال) فهذا كافٍ لإظهار (فايو) بمظهرٍ سيئ

(نافجة): تقصد قائد فرقة القتلة.. سيدك إذًا يسعى لإزاحة الوزراء ليرتقي ويستولي على مناصبهم

(شاور): معظم العقبات التي تواجه البشر خلال مسيرة حياتهم نحو النجاح هم «أشخاص» والسيد (روشني) يستحق أكثر مما نال وسيحدث ذلك قريباً..

(نافجة): وعندما تصلون لمأربكم ستتخلصون مني

(شاور): نعم لا أنكر.. وإلى أن يحين الوقت ستبقين على قيد الحياة.. آخر شيء سأقدمه لكِ قبل رحيلي هو إيصالك لأي مكان ترغبين به

(نافجة) مديرة نظرها للخلف في عتمة المكان: أين (الغبساء)؟

(شاور): (الغبساء) من؟

(نافجة): فرسي

(شاور) مشيراً بسبابته: رأيتها خلف تلك التلة

بدأت العرجاء بمحاولة الوقوف بصعوبة مستعينة بالسيف المبروق كعكاز فنهض الشاب من مكانه قائلاً: ماذا تفعلين؟

(نافجة) وهي تنظر للنجوم: لقد قلت بأنه لا يمكنني اللجوء للمدن أليس كذلك؟

(شاور): بلى.. البقاء في البادية هو خيارك الأفضل الآن

(نافجة): قبيلة «الحيادرة» هم من يمكن أن ألجأ لهم والشيخ (هماد) هو من أثق به فقط لكن مضاربهم بعيدة جدّاً عن هنا

(شاور): ألا يوجد خيار آخر؟

(نافجة) بعد تفكر قصير: ديار «الأزد» قريبة منا.. خذني إليهم

(شاور): وهل تثقين بهؤلاء القوم؟

(نافجة): «الأزد» أهل نخوة وسيجيرونني وهم أهل للثقة ولن أخشى خيانتهم..

(شاور): حسناً.. سوف نتحرك أول الصباح عندما تكون الأجواء أقل برودة

جلست العرجاء مكانها أمام النار بوجه متعب والعرق يتصبب من جبينها..

(شاور) وهو لايزال واقفاً: هل عادت الحمى؟

(نافجة) بأنفاس ثقيلة: لا أعرف..

بدأ الاثنان يسمعان فحيحاً قادماً من مجموعة من الصخور القريبة منهما ظهرت بعدها أفعى بيضاء بأعين زهرية بدأت بالزحف نحوهما..

(نافجة) تحمل السيف المبروق من على الأرض قابضة عليه بقوة: سأتخلص منها!

(شاور) رافعاً كفه خلال سيره تجاه الأفعى البيضاء: انتظري.. هذا رسول

(نافجة) مرخية قبضتها من على السيف وبتعجب: رسول؟

مد الفتى أطراف أصابعه تجاه الأفعى البيضاء التي التفت على ذراعه ليقبض هو على رأسها بيده الأخرى محدقاً بلسانها الأحمر وهو يخرج ويدخل من فمها ثم قام بقضم الرأس ولوكه بين أسنانه بأعين مغمضة..

(نافجة) متعجبة مما تراه أمامها: ماذا تفعل؟

ابتلع المتنور رأس الأفعى المفروم لتتحول عيناه للبياض التام لثوانٍ صمت خلالها بفم نصف مفتوح وكأنه دخل حالة من التأمل. رمى (شاور) ما تبقى من جسد الأفعى وعادت عيناه لطبيعتهما ثم أدار نظره نحو (نافجة) قائلاً بشيء من التوتر: «يجب أن نرحل في الحال..»

(نافجة): ما الأمر؟.. ما الذي حدث لك للتو؟

(شاور): تلك كانت أخباراً من القائد (روشني).. لقد قتل الماران وبذلك انتهى العقد المبرَم معه لقتلك ويأمرني بالعودة في الحال

(نافجة): هذه أخبار جيدة أليس كذلك؟

(شاور): دمك لا يزال مهدوراً يا عربية.. مهمة تصفيتك لا تزال قائمة بأمر من السيد الكبير

(نافجة): لا جديد إذاً..

(شاور): الرسول نقل شيئاً آخر

(نافجة): ما هو؟

(شاور): أن مهمة تصفيتك قد أوكلت لـ (هند)..

(نافجة): (هند)؟.. هل هي عربية؟

(شاور) بشيء من التشتت: لا يمكنني البقاء هنا أكثر.. سأوصلك لمضارب تلك القبيلة التي تريدين الاحتماء بها وبعدها يجب أن أعود لجبال الملح فوراً

(نافجة): لمَ أشعر أن هذا الرسول قد أثار بأخباره الرعب في نفسك؟

(شاور): أنتِ لا تعرفين (هند).. لو رأتني معكِ فستكون نهايتي

(نافجة): انتابني الفضول حول هذه العربية التي تسببت بجزعك هكذا

(شاور) متجاهلاً تعليق (نافجة) سائراً نحو التلة التي قال بأن (الغبساء) خلفها: سوف أحضر لكِ فرسك لنرحل.. ابقي مكانك

(نافجة) موجهة نظرها للنار المتراقصة أمامها محدثة نفسها: أنا لم أبقَ مكاني منذ سنواتٍ طويلة..

عاد المتنور الشاب يجر فرس العرجاء من لجامها وما أن رأت (نافجة) فرسها تقبل عليها حتى نهضت تقفز بقدمها نحوها إلى أن عانقت عنقها قائلةً:

«ظننت أني فقدتكِ يا قُرَّة عيني!»

(شاور) متعجباً: تتحدثين معها وكأنها ابنتك

(نافجة) مقبلة خطم (الغبساء) فاركة شعر عنقها متأملة في عينيها: هي أغلى عندي من أي ابنة كنت سأنجبها

(شاور) بتهكم: عرب عاطفيون.. لا شيء جديد..

(نافجة) تصعد فوق ظهر الغبساء وتشد على لجامها: العرب هم من أجبروك على القدوم إلى هنا ذليلاً لحماية أسيادك منهم

(شاور): سنرى من سيحتاج الحماية بعد عدة أيام..

سار الفتى إلى النار المشتعلة وأخمدها بالرمال ثم حمل السيف المبروق ومده للعرجاء المعتلية فوق فرسها قائلاً: أين يستوطن القوم الذين ستلجئين لهم؟

(نافجة) رافعة رأسها للسماء ممعنة النظر بالنجوم: قبيلة «الأزد» ديارها تقع غرباً من هنا..

(شاور) يمد يده آخذاً اللجام من يد العرجاء: غرباً إذاً..

بعد مسيرة ساعة من الزمان بمنطقة جبلية باردة أقبل الاثنان على مكانٍ مفتوح من الكثبان الرملية الحمراء ولا شيء يرى غيرها على مد البصر فقالت (نافجة) بعد ما توقف المتنور يتأمل المشهد أمامه: نحن على بعد مسيرة يومين من ديار «الأزد».. بعد أن نتجاوز تلك التلال سوف نصل إلى بقعة خضراء كبيرة يمر بها الكثير من الرعاة بالمنطقة ومنها سنسير جنوباً

(شاور) متأملاً الكثبان الحمراء المنتشرة في الأفق: لن أتوقف عن السير للراحة حتى نصل.. يمكنك النوم خلال الرحلة وقتما تشائين

(نافجة): هل تملك مثل هذا الجَلَد أيها الأعجمي؟

(شاور) يشد لجام (الغبساء) مستأنفاً المسير: أنا أملك أكثر من ذلك يا عربية..

لم يمضِ وقت طويل على سير الاثنين فوق الرمال تاركين خلفهما سلسلة الجبال السوداء مقبلين على التلال الحمراء حتى قالت (نافجة): كم عمرك أيها الأعجمي؟

(شاور) مبتسماً ونظره للأمام خلال سيره ويده قابضة على لجام الغبساء: ولمَ تسألين؟

(نافجة): ينتابني فضول من وصولك لهذه المرتبة العليا في طائفتكم وأنت بهذا العمر الصغير

(شاور): وهل تعرفين ما هي رتبتي؟

(نافجة): مجرد كونك مقرباً من أحد الوزراء يدل على مكانة رفيعة

(شاور): الرتب بطائفتنا لا يحددها العمر أو الأقدمية

(نافجة): ماذا إذاً؟

(شاور): القوة.. القوة فقط..

(نافجة): وأي قوة تملكها أنت خولتك لتصل إلى ما أنت عليه؟

(شاور): كنت طفلاً صغيراً وقتها.. ألعب أمام منزل أحد أصحابي مع بقية الأطفال.. مر هو ورأى شيئاً فيَّ لم يره أحد غيره.. أمسكني من معصمي وسحبني من بين الأطفال بهدوء وأخذني معه.. أخذني بكل بساطة وكأنه ينتقي خروفاً من سوق المواشي.. ومنذ ذلك الوقت لم أرَ أهلي ولم أعد لمدينتي

(نافجة): هل من أخذك كان (روشني)؟

(شاور): لا.. السيد (كلكامش).. هو من اختارني.. هو من اختار معظمنا

أحست العرجاء في نبرة حديث المتنور الشاب بعض الحزن والحنين عندما تطرق الموضوع لماضيه فوجدتها فرصة لتأخذ منه المزيد من العلم واستغلال استرساله في الكلام معها وقالت: «ألم تفكر بالعودة لأهلك وزيارتهم بعد كل تلك السنين؟»

(شاور): لا.. كنت صغيراً جدّاً ولا أذكر اسم المدينة التي أتيت منها ولم أسأل حتى بعد ما كبرت.. جذوري انتزعت من قبل أن تنمو.. السيد (كلكامش) كان قاسياً عليّ وعلى بقية الأطفال لكنه كما كان يقول يريد تحرير طاقاتنا

(نافجة): ومتى تحررت طاقتك المزعومة هذه؟

(شاور): كنا عشرة أطفال.. تحرر سبعة منا من أرواحهم وبقيت أنا وصبي وفتاة فقط.. نحن من تمكنا من الصمود والانتقال للمرحلة الثانية

(نافجة): وماذا حدث بعدها؟

(شاور): أمرنا السيد (كلكامش) بالاقتتال فيما بيننا كنوع من الانتخاب ووقتها أصابني نوع من اليقظة

(نافجة): اليقظة؟

(شاور): نعم.. طاقة من مستوى مختلف تحررت بداخلي مكنتني من قتل زملائي بسرعة خارقة ما زرع البهجة والسرور في قلب السيد (كلكامش) لثوانٍ لكن سعادته تضاءلت عندما أدرك أني لم أصل لمرحلة معينة كان يزعم أنها موجودة بالرغم من أن جميع الكهنة في الطائفة مؤمنون بأنه لا يوجد تحرر أكثر مما وصلت إليه

(نافجة): تقصد الطاقة التي يملكها الكهنة؟

(شاور): نعم فالطاقات حسب تقسيم طائفتنا ثلاث.. الميتة.. الكامنة.. المتحررة والأخيرة تتشعب لمرحلتين مشعة وهي التي يملكها معظم أفراد الطائفة خصوصاً القتلة المتفجرة وهذه نادرة جدّاً ولا يملكها إلا القليل من ضمنهم السيد الكبير لكن السيد (كلكامش) كان يصر أن هناك مرحلة ثالثة لم تكتشف بعد وقد ذهب ضحية اعتقاده الكثير من

الأرواح سعياً وراءَها والسيد الكبير لم يكن يعارضه في سعيه الدموي هذا لأنه كان يؤمن به وبمعتقداته

(نافجة): وما تلك المرحلة الثالثة التي يزعم (كلكامش) وجودَها؟

(شاور): المرحلة النجمية.. لكن كما أخبرتك لا يوجد مرحلة أعلى من المتفجرة وهي مجرد وهم في رأسه

(نافجة): وأنت قد وصلت للمرحلة المتفجرة؟

(شاور): نعم وهذا يخولني لأكون عضواً بشعبة الكهنة تحت قيادة السيد (آغ) لكن السيد (روشني) تدخل وطلب من السيد الكبير أن أكون ضمن فريقه مدعياً أن الكهنة لن يقبلوني بسهولة بين صفوفهم وقد يعاملونني بتحقير

(نافجة): كنت أظن أن العمر ليس مهمّاً في طائفتكم

(شاور): نعم صحيح فيما يختص بالتعيين بمنصب ما لكن هذا لا يحميك من الإقصاء والسيد (روشني) يكره الكهنة في قرارة نفسه ويكره استحواذهم على كل العناصر المميزة بالطائفة وكان يريد أن يظفر بي وقد حصل على ذلك بعد موافقة السيد الكبير فـ(فايو) يستولي

على جميع المتنورين أصحاب الهالات المشعة ليحولهم لقتلة و(آغ) على أصحاب الهالات المتفجرة ليضمهم للكهنة لأن الهالات المشعة لا تصل لمرحلة التفجر إلا بعد أن يتجاوز صاحبها العقد الخامس من العمر غالباً وحدوث ذلك من النوادر

(نافجة): من كان ينضم لمجموعة (روشني) إذاً؟

(شاور): الوزير (روشني) هو الأقل أتباعاً بسبب هذا التوزيع لذا فقوته تكمن في علاقاته الخارجية فقط مع من تتعامل معهم الطائفة وكذلك نقل الأوامر والتوجيهات من السيد الكبير إلى أتباعه

(نافجة): ألهذا يحاول سيدك الآن خيانة الطائفة بحمايتي؟

(شاور): هذه ليست خيانة.. إنه يسعى فقط لإزالة (فايو) وضم فرقة القتلة بعد ما يثبت فشلهم تحت قيادته.. بذلك سيكتسب قوة وهيمنة أكبر فالقتلة يعطون قائدهم مكانة غير مسبوقة وهذا ما دفع السيد (آغ) قبل عدة سنوات لتأسيس فرقة الكهنة القتلة

(نافجة): الكهنة القتلة؟.. لم أسمع بهم من قبل

(شاور): هذا لأن مشاركاتهم الخارجية محدودة وأعدادهم قليلة جدّاً

لا تتجاوز العشرات لكنهم مجموعة فتاكة ولم يفشلوا قط في تنفيذ أي مهمة ولا يلجأ لهم إلا في الأمور المستعصية

(نافجة): حدثني عنهم أكثر..

(شاور): لقد أفشيت ما يكفي من أسرار الطائفة؟

(نافجة): لا بأس بإفشاء المزيد لمن خيم ظلال الموت عليه.. أسراركم ستدفن معي قريباً أليس كذلك؟

(شاور) مبتسمًا: في هذه معكِ حق.. حسناً.. فرقة الكهنة القتلة هي مجموعة قام (آغ) بإنشائها كرد على صدام حدث بينه وبين (فايو) قبل سنوات عندما رفض الأخير إعارة أحد قتلته له لتنفيذ مهمة ما وهدد كبير الكهنة بأنه يستطيع القضاء عليه وعلى أتباعه بجيشه المدرب والمتأهب ومجموعته من الكهنة المهتمين بالعلم والبحث لن يصمدوا أمامه. بالطبع هذا لم يكن سيحدث بوجود السيد الكبير لكن ذلك التهديد ترك أثراً بالغاً في نفس (آغ) مما دفعه لطلب الإذن من السيد الكبير بتأسيس مجموعة خاصة به من القتلة المحترفين أصحاب الهالات المتفجرة ليتولوا مهام حماية الكهنة وصد أي تمرد من أتباع (فايو) وبالفعل وافق السيد الكبير وبدأ (كلكامش) باختيار من تنطبق عليهم

المواصفات التي طلبها (آغ) ليكونوا ضمن تلك الفرقة. لم يطلب أن يكونوا أقوياء بقدر أن يكونوا أذكياء ومع الوقت تمكن من الحصول على استثناء خاص لهم وحدهم وهو إمكانية استخدام السحر بالرغم من أن ذلك كان محرماً في الطائفة لكن تكالب (آغ) و(كلكامش) على السيد الكبير بالإلحاح أثمر واقتنع بمنحهم ذلك الحق.

(نافجة): وهل لهم مراتب ووشوم مثل القتلة الآخرين؟

(شاور): نعم.. هناك خمس مراتب فقط في طائفة الكهنة القتلة ووشومهم ليست نجوماً بل دوائر سوداء مصمتة

(نافجة): لقد أثرت سؤالاً في عقلي.. لقد قلت بأنكم تستعينون بهم في المهام المستعصية فلمَ لم تستعينوا بهم لقتلي حتى الآن.. أم أني لست عصية عليكم بعد؟

(شاور): الكهنة القتلة لا يتبعون السبل التقليدية في القتل لذلك لا يستعان بهم في مهام الاغتيال العادية مهما بلغت قوة الخصم.. هم لمهام مختلفة تماماً

(نافجة): لم أفهم

(شاور): سأعطيك مثالاً قد يوضح لكِ ما أقصد..

# بذور كلكامش

قبل عدة سنوات لجأ إلينا تاجر كبير من بلاد «ما وراء النهر».. كان فاحش الثراء وعرض على السيد الكبير أموالاً تكفي لبناء قصرٍ من الذهب وذلك مقابل طلبٍ غريب

(نافجة): ماذا طلب؟

(شاور) مستأنفاً حديثه: التاجر كان عقيماً وتزوج كثيرًا ولم يتمكن من الإنجاب وفي أحد اجتماعاته بملكهم عيّره الملك بذلك بشكل مهين وانتقص من فحولته أمام أعيان المملكة وتفاخر بنسله من أمراء وأميرات وكيف أن لقب عائلته سيمتد أبد الدهر لأنه زرع بذوره بعكس التاجر الذي سيموت مبتور النسل وستضيع أمواله التي جمعها لسنوات وستنتقل لخزينة المملكة وبالطبع لم يستطع التاجر الرد

واضطر للتبسم وابتلاع المهانة وفقدان الكثير من ثقله وكرامته بين وجهاء المملكة

(نافجة): كان يريد قتل الملك إذاً؟

(شاور): لا.. لو كان ذلك طلبه لكلفه الأمر ربع ما عرضه على السيد الكبير ولم يتطلب سوى إرسال قاتل من قتلة (فايو) برتبة لا تتجاوز الخمس النجوم ليقتحم القصر في مهمة انتحارية وينهي المهمة بسهولة

(نافجة): ماذا أراد إذاً؟

(شاور): أراد أن يذيقه المهانة مثلما حدث معه وأكثر وأن يسقيه من الكأس نفسها وببطء.. وبالفعل هذا ما حدث فبعد عدة أشهر تحقق مراده ونزل الملك على ركبتيه أمام جمع غفير من وجهاء المملكة قام بدعوتهم مسبقاً في قاعة عرشه الكبيرة وخلع حذاءَه وبدأ يضرب رأسه ووجهه به وسط ذهول الجميع ولم يحاول أحد منعه لأنه عُرف عنه كره من يتدخل بأي أمرٍ يقوم أو يأمر به

(نافجة) باستغراب: ولِمَ قام بذلك؟ وما علاقة الكهنة القتلة بما حدث؟

(شاور): عندما سمع السيد الكبير تفاصيل طلب التاجر الغريبة حول

المهمة على (آغ) ليوكلها لأحد الكهنة القتلة وبالفعل أوكلت لكاهن يدعى (مايزك) قام بالتشكل بطلسم التشكل النادر والتسلل للقصر وأخذ مكان أحد الخدم القدامى بعد ما قتله وأخفى جثته واختياره لذلك الخادم بالذات أتى بعد مراقبة طويلة لسكان القصر ومشاهدته مدى تفاعلهم معه وثقتهم خاصة أبناء الملك وبناته وزوجاته العشر. استغرق الأمر من (مايزك) عدة أشهر كي يقضي على جميع أبناء وبنات الملك واحداً تلو الآخر ويظهر تلك الفاجعات على أنها حوادث متفرقة أو أمراض أصابتهم ليخلق وهماً مفاده أن سوء طالع أو لعنة قد ألمت وأصابت العائلة الملكية ولم يُبقِ سوى على أصغر أبنائِه البالغ من العمر تسع سنين وكل ذلك فقط ليصل للهدف الرئيس وهو إهانة الملك بالشكل الذي طلبه التاجر

(نافجة) وهي متعجبة مما تسمع: أكمل..

(شاور): تمكن (مايزك) من التسلل للجناح الملكي ليلاً خلال نوم الحاكم مع إحدى زوجاته بالتشكل كأحد الحراس الملكيين وقام بتخديرهما بعشبة أحرقها في الغرفة ثم قام بإخصاء الملك وتطبيب جرحه بالكي ثم خرج خلسة كما دخل.. بقي الكاهن يراقب تدهور

حالة الملك النفسية لعدة أيام وكيف أن خوفه لفقدان وريثه الوحيد والأخير ارتفع بشكل جنوني فقد تخلى عن معظم حراسه ليقوموا بحراسة الأمير الصغير من أي مكروه قد يصيبه وينقطع بموته نسله للأبد. ترك (مايزك) الملك يتعذب نفسياً لفترة ليست بالقصيرة حتى اتخذ قرار إنهاء المهمة بالرغم من أنه كان يمكنه القيام بذلك قبلها بوقت طويل

(نافجة): هل كان هناك حكمة أو مقصد من تلك المماطلة؟

(شاور) مبتسماً: الكهنة القتلة يتم انتقاؤهم على أسس كثيرة من ضمنها صبرهم الحديدي وذكاؤُهم الاستثنائي وبالطبع هالاتهم المتفجرة لكن أهم صفة يجب أن تتوفر فيهم هي عقولهم المريضة التي تجد متعة في التفنن بتعذيب ضحاياهم وهي الأساس الذي يدفعهم لإنجاز تلك المهام بإتقان شديد فهم يجدون شغفهم من خلال هوسهم المريض والسيد الكبير والوزير (آغ) لا يتدخلان أبداً في طرق تنفيذهم لمهامهم مهما طال أمدها لأنهم على يقين تام بأنهم سينجزونها في نهاية المطاف وإهانة الملك كانت مهمة تطلبت هذا النوع من التكريس والإخلاص.

(نافجة) بتجهم: يستفزكم من يفخر بنسله ويملك عزة لأنكم فاقدون لها!

(شاور) بشيء من الفخر: وقد أهدرنا تلك الكرامة المزعومة.. لم ينفعه ذلك التفاخر بسلالته

(نافجة): من لا يملك ماضياً مجيداً لن يرى حاضراً عزيزاً.. مآلكم للسقوط وسترى

(شاور): لا يسقط إلا من كان معتليًا قمة.. أليس كذلك؟

(نافجة) تنصت عابسة بصمت..

استأنف (شاور) حديثه: تسلل (مايزك) مرة أخرى في إحدى الليالي للجناح الملكي وكان الحاكم نائماً وحدَه هذه المرة وقام بالتشكل بهيئته الحقيقية بعد ما ربطه وكممه. استيقظ الملك ليرى رجلاً غريباً بشعرٍ أبيضَ قصير لكن بوجهٍ يافع وسيم وعلى وجنته وشمت ثلاث دوائر سوداء يجلس بجانبه يتأمله مبتسماً.. حاول الملك جاهداً النهوض وطلب النجدة من الحرس الواقفين بالخارج لكن دون جدوى.

(مايزك): كيف وجدت الحياة بدون فحولتك؟

استشاط الملك غضباً عندما سمع هذا الكلام وبدأ بالصراخ بصوت مكبوت من وراء الكمامة..

(مايزك) ببرود: سمو الأمير الصغير يتجول يوميّاً أمامي وبالرغم من الحراسة المشددة حوله إلا أنه هدف سهل ويمكنني قطفه بأي لحظة..

هدأ الملك وتحول غيظه لبكاء...

(مايزك): لكني لن أفعل.. في حال وافقت على ما سأطلبه منك الآن.. واحذر أن تحاول البحث عني بأرجاء القصر لأنك لن تجدني أبداً.. لن تجد سوى جثة وريثك غارقاً في دمائه.. هل تفهم؟

هز الملك رأسه بالموافقة..

(مايزك) مبتسماً: جميل.. اسمع إذاً..

طلب الكاهن من الملك إعداد مأدبة كبيرة وأن يدعو لها جميع وجهاء البلد وأن يضرب نفسه بالحذاء أمامهم وبذلك فقط سيعفو عن الأمير الصغير. بعد ما نفذ الملك طلبه وانتهى من ضرب نفسه بالحذاء أمام الناس نهض وعاد وجلس على عرشه وأمر بانصراف الجميع وبعد ما خلا المكان ولم يتبقَّ سوى حراسه أجهش بالبكاء بحرقة.

(نافجة) بازدراء: مجموعة من العجم المرضى..

(شاور) متهكماً: العرب يشكلون ربع الطائفة الجنتية لعلمك

(نافجة) متجهمة: ليسوا عرباً بالنسبة لي.. فمن يبيع ولاءَه لغير أرضه ويغدر بإخوته في الدم يصبح بلا جذور ولا يحق له الانتساب إلينا ودمه مهدور بالنسبة لي

(شاور): ولاؤُنا للسيد الكبير يغنينا عن أي أرض

(نافجة): لا رغبة لي ببذل مجهود في إفهام خائن مثلك معنى الكرامة.. قد تكونون نجحتم في إهانة الملك لكنه انتصر ونسله استمر

(شاور): في الواقع (مايزك) لم يرحل قبل أن يأخذ معه رأس الأمير الصغير كتذكار بسيط وانتقل الحكم للوزير بالانتخاب ومُسح نسل الملك للأبد.. «عندما يفشل القتلة يتدخل الكهنة..» هذا هو شعارهم الذي يعتزون به ويحافظون عليه..

(نافجة) بسخرية: لعل يوماً ما تصلون لمرحلة ترسلون لي أحد هؤلاء الكلاب الكهنة ووقتها سنرى إن كانوا فعلاً لا يقهرون

(شاور): أشك أن ذلك سيحدث بعد دخول (هند) بالصورة..

(نافجة): تتحدث عنها وكأنها لا تقهر

(شاور): هناك طاقات نكتشفها من وقت لآخر تكون خارج التصنيف

الذي أخبرتك به.. طاقات بلغت مبلغاً من القوة لا يمكننا أن نضع لها تصنيفاً محدداً و(هند) هي إحدى تلك الطاقات المخيفة..

(نافجة): تقصد الطاقة النجمية؟.. ألم تقل بأنها وهم لا وجود له؟

(شاور): لا لا.. لم أقصد ذلك النوع من الطاقات.. طاقة مختلفة.. ذات توهج ومنحى مختلفين.. تشبه المتفجرة في قوتها لكنها لا تسير على القوانين أنفسها.. شرحها صعب

(نافجة): وهل رأيت طاقة أخرى من هذا النوع عدا (هند)؟

(شاور): في الحقيقة نعم.. وكانت تسير معكِ عندما كنت أتعقبك في الفترة الماضية

(نافجة): تسير معي؟.. عمن تتحدث؟

(شاور): عن الفتاة ذات الشعر الأحمر الفاقدة لإحدى عينيها.. قوتها مخيفة.. مخيفة جدّاً.. لم أرَ طاقة متوهجة مثلها من قبل

(نافجة): تقصد (عوراء)؟

(شاور): هل هذا اسمها أم أنكِ تعيرينها؟

(نافجة): هي من قالت إن الناس ينادونها بذلك.. ثم لا تغير الموضوع.. أنا لم أرَ منها أي شيء يدل على ما تقول

(شاور): ألم تتساءلي كيف نجوتِ من كل متنور حاول قتلك؟

تفكرت العرجاء قليلاً في الأحداث التي حدثت قبل وبعد كل هجمة تعرضت لها خلال رحلتها مع بناتها للبحث عن (شق وسطيح) وبدأت تستدرك حقيقة أن أموراً غريبة بالفعل كانت تحدث لهن ولـ (عوراء) بالتحديد وأن (رافدة) و(كُميت) حاولتا أكثر من مرة إثارة انتباهها لذلك فقالت: «هل قوتها هذه تشكل خطراً على من يصاحبها؟.. أقصد بناتي الأخريات؟»

(شاور): لا أعرف.. كل ما أعرفه أن طاقتها قوية بشكل استثنائي وغريب

(نافجة): غريب كيف؟

(شاور): المتنورون بعد تحرير طاقاتهم يستخدمون طريقة للتعرف بعضهم على بعض من خلال الأعين.. فأعيننا تملك لمعة مميزة نتعرف عليها بسهولة ومن خلالها نقيس إلى حد ما حجم طاقاتنا فيما بيننا والطريقة الأخرى هي اهتزاز أجسادنا عندما نقترب بعضنا من بعض وتأثر حركتنا وقوتنا حسب الطاقة المقتربة منا ولا يتعدى هذا الإحساس شعوراً بسيطاً بالخمول أو الإرهاق أو الرجفة في حالة

وجودنا حول طاقات قوية جدّاً أو متفجرة لكن الفتاة لم تملك تلك اللمعة بتاتاً ومع هذا كنت لا أستطيع الاقتراب منكم كثيراً لإحساسي بالشلل التام حتى وإن كنت على مسافة بعيدة منها.. لم أشهد طاقة سابقاً تستطيع فعل ذلك بي

(نافجة): هل ما تملكه (عوراء) من طاقة شبيه بما تملكه (هند)؟

(شاور): لا.. شيء مختلف تماماً.. الطاقة كانت حولها وليست بداخلها.. شيء لم أرَه من قبل.. السيد (كلكامش) كان يؤمن بأن هناك أموراً كثيرة نجهلها في علم الطاقات وأن ما اكتشفناه أقل القليل.. بالرغم من أنه كرس حياته لهذا العلم والبحث فيه إلا أنه لم يصل إلا لشيء بسيط من بحره والسيد الكبير والوزير (آغ) هما فقط من كانا مطلعين على أبحاثه عن قرب.. كان أشبه بمشروعهما السري مع (كلكامش) وقد منحاه كل الصلاحيات للبحث وإجراء كل تلك التجارب البشعة على الشبان والشابات سعياً وراء حلمه في إثبات وجود الطاقة النجمية لكنه لم يجدها قط

(نافجة): ولمَ لم نتأثر نحن مثلك بطاقة (عوراء)؟

(شاور): فقط أصحاب الطاقات الكبيرة والمفعلة تحديداً يشعرون

بذلك والكهنة هم الوحيدون من يستطيعون السيطرة على مدى تأثير الطاقات القوية عليهم وهذا أحد أسرارهم التي لا يشاركونها مع بقية أفراد الطائفة

(نافجة): معنى ذلك أن الكهنة القتلة يمتازون عن القتلة الآخرين بقدرتهم على الاقتراب من أصحاب الطاقات الكبيرة

(شاور): نعم بالضبط

(نافجة): وما الذي يحدد طاقة متنور ما؟

(شاور): كل إنسان في الأصل يولد بطاقة بدرجة ما لكن ما يحركها ويؤججها في داخله لتخرج أو «تتفعل» هي ظروف وعوامل خارجية.. عاطفة من نوع ما.. حزن.. غضب.. ثأر.. وبقدر تلك المشاعر تتفجر طاقتك الداخلية وهي إما أن تأتي مصادفة أو مفتعلة مثل ما كان يقوم به السيد (كلكامش) عندما كان يقوم بتعذيبنا لاستثارة مشاعرنا لتحرير طاقاتنا ومن ثم تفعيلها لاحقاً.. فالتحرير شيء والتفعيل مرحلة تأتي بعدها

(نافجة): وما الذي حرر طاقتك أنت؟

(شاور): أعتقد أنه الحرمان.. حرمت منذ صغري من أشياء كثيرة.. من عطف أمي التي ماتت بعد ولادتي بسنة.. من الحياة الكريمة مع أبي وإخوتي لأننا كنا فقراء معدمين وكل من يمر بنا يقوم باستغلالنا بأي شكل يستطيع ويرمي بنا على قارعة الطريق.. كنت أتأرجح على حافة السقوط منذ سنواتي الأولى على هذه الدنيا.. وسقطت.. بيد السيد (كلكامش) الذي فعل طاقتي المعذبة ليستغلها لمصلحة الطائفة

لم تكمل العرجاء نقاشها مع المتنور الشاب بعد ما لاحظت عليه الحزن والهم وهو يتحدث عن نفسه وماضيه وآثرت الصمت والتوقف عن الحديث معه..

بعد مضي ما يقارب نصف الساعة قضاها الاثنان في السير بين الكثبان الرملية الحمراء صامتين سمعا دبيباً متصاعدًا آتياً من خلف تلة رملية كبيرة كانا مقبلين عليها فتوقفت (الغبساء) عن السير وأخذت تضرب بحافرها الأرض والعرجاء تطبب على رقبتها بهدوء مطمئنة لها.

(شاور) ونظره على التلة التي قدم من ورائِها الصوت: ما هذا الصوت المقترب منا؟

(نافجة) وهي تخرج سيفها المبروق من غمده ببرود دون أن تتوتر: قطاع طرق.. عشرة إلى عشرين منهم على الأرجح

(شاور) ملتفتاً إليها ليراها متأهبة: هل تنوين مواجهتهم؟

(نافجة) وأعينها منصبة على قمة التلة: خيار الهرب ليس مطروحاً أيها الأعجمي

(شاور) مفلتاً لجام الفرس من يده مبتسماً: هناك خيار أفضل

خرج من وراء قمة التلة مجموعة من الرجال الملثمين المندفعين بمجموعة من النياق والخيول مشهّرين سيوفهم نحو العرجاء والمتنور الشاب في قاع الهضبة الرملية وكان من الواضح أنهم ينوون نهبهما لكن وقبل أن يصلوا إليهما انطلق الشاب جريًا بسرعة خاطفة نحوهم وقفز في الهواء وبدأ يقتلهم واحداً تلو الآخر بطرق مختلفة فتارة ينتزع قلب هذا من صدره وتارة أخرى ينحر آخر بمخلب سبابته الطويل ومجموعة منهم لقوا حتفهم بعد ما ركب وراءَهم على دوابهم وحطم أعناقهم في لحظة خاطفة. راقبت (نافجة) ما كان يحدث مبتسمة وهي تعيد سيفها المبروق لغمده وبعد ما انتهى المتنور من التخلص منهم جميعاً قال وهو يمسح كفوفه بملابسه: «يمكننا استئناف رحلتنا الآن..»

(نافجة) تشد لجام الغبساء عن يد (شاور) الذي حاول الإمساك به قائلة: «لم يعد هناك حاجة لأن تسير على أقدامك يا فتى..»

(شاور): ماذا تعنين؟

(نافجة) تومئ برأسها لمجموعة النياق والخيول السائبة والتي كان يمتطيها قطاع الطرق: انتقِ لك دابة من غنيمتك..

(شاور): غنيمتي؟

(نافجة): نعم غنيمتك.. لقد قتلت أصحابها وهي الآن غنائمك

(شاور): أنا لست سارق

(نافجة) ضاحكة: هل ترى القتل أهون من السرقة؟!

(شاور): قتلتهم دفاعاً عن نفسي فقط لكني لن أسرقهم

تجاهلت العرجاء كلام الفتى وسارت بفرسها نحو ناقة من النياق الواقفة وكانت تهدر بقوة فمسحت على سنامها لتهدئتها ثم قالت: «هذه الناقة الحمراء قوية وستتحمل عناء رحلتنا القصيرة..»

(شاور): لن آخذها

(نافجة) تشد لجام الناقة وتسير بها إلى (شاور) وتمده له قائلة: أنا غنمتها وأهديها لك.. أم أنك لا تقبل الهدايا أيها الأعجمي؟

أمسك (شاور) بلجام الناقة وقال: لم أمتطِ واحدة من قبل..

(نافجة): الأمر لا يختلف عن امتطاء الخيول

(شاور): لم أمتطِ خيلاً من قبل كذلك

(نافجة) مبتسمة: هل تحتاج درساً في ذلك؟

(شاور) وهو يحاول صعود ظهر الناقة: لا..

سقط المتنور من على ظهر الناقة بعد ما استقر فوق سنامها لثوانٍ معدودة و(نافجة) تضحك من منظره وهو ينكب على وجهه فوق الرمال..

بعد عدة محاولات فاشلة تمكن (شاور) من الاستقرار فوق ظهر الناقة وشد لجامها قائلاً: أعتقد أني تمكنت من السيطرة عليها الآن!

(نافجة) مبتسمة: المسكينة لم تتحرك من مكانها لتسيطر عليها.. سيطر على نفسك أنت

(شاور): ظهرها كبير وهذا هو سبب عجزي عن ركوبها.. لو كنتِ قد اخترتِ لي جواداً لكان أفضل

(نافجة): تقصد سنامها؟.. الجياد أكثر صعوبة عليك

(شاور): هذا السنام هو حيث تخزن هذه البهائم الماء أليس كذلك؟

(نافجة): الإبل لا تخزن الماء يا جاهل.. تخزن الشحم فقط

(شاور): حيوان غريب مثل هذه الأرض

شدت العرجاء لجام (الغبساء) وبدأت بالتقدم صعوداً لقمة التلة قائلة:

«اتبعني إذاً وكن قريباً مني كي لا تضيع في أرضنا الغريبة كما تقول..»

تقدمت العرجاء تاركة (شاور) بالأسفل يحاول تحريك ناقته بضربها بكواحله عدة مرات لكنها لم تتقدم خطوة واحدة فتبسمت (نافجة) وهي تراقب منظره خلال صعودها لقمة التلة وهو في حيرة من أمره وما أن بلغت القمة حتى فوجئت بامرأة تقف أمامها.. امرأة بشعرٍ أسودَ طويل وأعين مكحلة بوشم في ذقنها لكن الوشم الذي لفت انتباهها هو أربع عشرة نجمة وشمت على وجنتيها. لم يكن (شاور) وقتها قد صعد التلة ولم يرَ تلك المرأة وهي كذلك لم ترَه وقبل أن تقوم العرجاء بأي ردة فعل قبضت المرأة على عنق (نافجة) ورفعتها من على ظهر (الغبساء) وأبقتها معلقة في الهواء وقالت بهدوء خلال تفقدها بنظرها لقدمها المبتورة: «أنتِ الهدف إذاً..»

حاولت العرجاء المختنقة تحرير نفسها بفك القبضة المحكمة على عنقها وهي تصارع وتركل الهواء لكن دون جدوى وقبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة أرخت المرأة قبضتها وأسقطتها أرضاً تشهق بقوة بحثاً عن النفس. نظرت المرأة لـ (نافجة) بوجه خالٍ من التعابير وانتبهت لجرحها الحديث وقالت: «أنتِ مصابة..»

(نافجة) بتهكم وهي تسعل بعد ما أدركت أن هذه المرأة لم تكن سوى (هند): «هل ستداوينني قبل أن تقتليني يا متنورة؟»

أدارت (هند) ظهرها لـ (نافجة) وقالت: سأعود لاحقاً.. بعد أن تتعافي قليلاً.. ليس من المروءة قتلك وأنتِ بهذه الحالة.. يجب أن تحظي بفرصة كاملة للدفاع عن نفسك

مدت العرجاء يدها وأمسكت بلجام فرسها ونهضت بثقل قائلة: وأي مروءة وشرف تعرفينهما وأنتِ متحالفة مع العجم علينا؟.. أنهي الأمر الآن فلا حاجة بي لشفقتك

لم ترد (هند) لأنها اختفت عن الأنظار تاركة (نافجة) تمسح على عنقها باحثة بنظرها عنها في الأفق المظلم..

خرج (شاور) من ورائها قادمًا على ظهر ناقته من أسفل التلة وقال: أعتقد أني فهمت أخيراً الطريقة المثلى لامتطاء هذه الدابة

(نافجة) تصعد على ظهر الغبساء: وأنا أعتقد أني التقيت للتو مع المتنورة العربية

(شاور) بخليط من العجب والتوتر: (هند)؟!.. أين؟.. هل ما زالت بالجوار؟!

(نافجة) بتهكم: لا تجزع.. لقد رحلت.. من الواضح من نبرة صوتك أنك كنت ستفر كالفأر لو أنك رأيتها ولم تكن ستساعدني

(شاور): لو كنت قد تدخلت لكان الأمر سينتهي بموتنا جميعاً.. ما حدث كان في مصلحتك

(نافجة) وهي تشد لجام الفرس للتحرك: مؤقتًا فقط.. لنرحل من هنا

(شاور): ألن تخبريني بما دار بينكما؟.. ولِمَ لم تقتلك الآن؟

(نافجة): الأمر لا يعنيك يا أعجمي.. هيا الحق بي

استأنف الاثنان رحلتهما وهما يسيران بدوابهما بعضهما بجانب بعض ببطء تحت غطاء النجوم المضيئة ورياح الشتاء الباردة تداعب ظهورهما..

(شاور): أليس من الأحرى بنا أن نسرع أكثر؟

(نافجة): لا.. الناقة تحتاج وقتاً كي تعتاد عليك ولو دفعتها للجري فستلفظك من عليها.. بعد بضع ساعات سوف تألفك لا تستعجل

(شاور): ونسير بسرعة بعدها؟

(نافجة): ستكون الشمس قد أشرقت والجري تحت حرها يرهق الدواب خاصة وأننا لم نرَ مصدراً للماء بعد

(شاور): ما هذا التعقيد كله؟.. مسيرة يومين ستتحول لأسبوع

(نافجة): مرحباً بك في أرض العرب.. الأرض التي إن لم تسايرها وتحترمها فستلتهمك في لحظة دون تردد

(شاور): لا أرى سوى أرض متوحشة مثل قاطنيها

(نافجة) بتهكم: بالرغم من انتقاصك المتكرر لنا إلا أنك للتو كنت ترتجف خوفاً من أحد أبنائنا؟.. تجندون عرباً بين صفوفكم وتحتقرونهم.. حماقة لم أشهد لها مثيلاً

(شاور): تقصدين (هند)؟

(نافجة) بحنق: نعم (هند).. ما الثمن الذي قدمتموه لها كي تبيع

أرضها وولاءَها لأمثالكم؟.. حديثي المقتضب معها مكنني من معرفة أنها عربية أصيلة تملك عزة وأنفة فلمَ توالي أخساء مثلكم؟

(شاور) مبتسماً من عصبية (نافجة) وغضبها: مجرد اسم.. الثمن كان اسماً فقط..

(نافجة): اسم؟.. اسم من؟

(شاور): قاتل أختها

(نافجة): إذاً فالثأر كان محركها ومؤجج طاقتها

(شاور): لا.. هي كانت تملك تلك الطاقة من قبل أن نضمها إلينا.. نحن قمنا بتفعيلها فقط وليتنا لم نفعل

(نافجة): كيف انتهى بها الحال لتصبح واحدة منكم؟

(شاور): ولمَ هذا الاهتمام المفاجئ بها؟

(نافجة): أليست هي من يتعقبني الآن؟.. أريد معرفة كل شيء يخص من سيحاول قتلي

(شاور): هي لن تحاول.. بل ستنجح في مسعاها بلا شك والحديث

عنها سيكون كشفاً لمزيد من أسرار الطائفة وأعتقد أني كشفت الكثير لك حتى الآن

(نافجة): أخبرتك سابقاً.. لا يوجد سبب للقلق بهذا الخصوص فما ستقوله سيموت بعد تصفيتي المحتومة كما تقول

(شاور) وهو يشد على لجام الناقة محدقاً بالأفق أمامه: لا أشك في ذلك أبدًا .. حسناً فالطريق طويلة على أي حال.. لنبدأ من البداية..

# مائة ناقة

جنوب الجزيرة وتحديدًا بمدينة «معين» عاشت عائلة ثرية كبيرة تكونت من خمس فتيات وثلاثة صبية عاشوا في رخاء مع أمهم (حميدة) وأبيهم (معناد) الذي امتهن تجارة البهارات واللبان والتي كانت مصدر ثرائِه الفاحش. عاشت الأسرة حياة رغيدة لكن الأب كان يخاف على بناته من التعرض لأي مكروه خصوصاً الصغيرات منهنّ واللاتي لم يتزوجنَ بعد. الابنة الوحيدة التي لم تحظَ بقدر كبير من القلق والخوف هي ابنته الكبرى (هند) لأنها ملكت عقلاً راجحًا ومتزنًا وكانت دوماً تعاونه في السيطرة على بقية إخوتها واندفاعاتهم وتهورهم من وقتٍ لآخر وتساعده كذلك في حل معظم المشكلات التي تطرأ بينهم خاصة فيما يتعلق بالخروج من المنزل.

البنت الصغرى للتاجر (معناد) كانت الأكثر تدليلاً والأقرب لقلبه

لكنها أيضاً كانت الأكثر تهوراً وهذا سبب خوفه المستمر عليها وتعيينه لحراس دائمين لها يرافقونها حيثما تذهب خشية وقوعها في المشكلات. ابنته الكبرى لم تكن تشاركه ذلك القلق والحذر الشديد على أختها الصغرى وحاولت مراراً أن تقنع أباها بالتخفيف من تلك الحماية الخانقة والمبالغ فيها لكن دون جدوى. جلست (هند) مساء أحد الأيام عند أقدام أبيها وأمها وأخذت تدعكها مبتسمة قائلةً: «كيف حال الشمس والقمر اليوم؟»

(معناد): وأي منا القمر؟

(حميدة): القمر هي التي توجه نظرها للشمس كل يوم لتشع بنوره

(معناد) ضاحكاً: هل ترين يا (هند) كيف تستطيع والدتك الحصول على ما تريد بخبث؟

(هند) مبتسمة وهي مستمرة في دعك أقدام أبيها: وهل عشق أمي لك تسميه خبثاً يا أبي؟

(حميدة): أي خبث أملكه تعلمته منك يا تاجر اللبان

(معناد): ماذا عن بناتك؟.. جميعهنّ يملكنَ مكراً لم يرثنه مني خاصة عندما يردن شيئاً ما

(حميدة) ضاحكة: مكر بناتي لا يقارن بعنجهية أبنائك والتي بلا شك لم يرثوها إلا منك

(معناد) ماسحاً على رأس (هند): هذه هي ابنتي التي أستند عليها.. حتى إخوانها لا يعتمد عليهم وقت الشدائد

(هند): إخوتي جميعاً يعتمد عليهم يا أبي وأنا لست سوى ابنتك البكر

(حميدة): أنجبتك في عمر صغير وكنتِ أمّاً ثانية لإخوتك.. لقد حملتِ هم تربيتهم معي منذ نعومة أظفارك

(معناد): ولا يوجد هم أكبر من تربية تلك الطائشة (هنان).. هل تعرف إحداكما أين هي الآن؟

(هند) تنهض وتجلس بجانب أبيها واضعة يدها على ركبته: في السوق؟

(معناد): هل الحراس معها؟

(هند) باسمة: نعم بلا شك.. لم أكن لأسمح لها بالخروج بدونهم

(معناد) وهو يزفر: تلك الفتاة تقلقني كثيراً

(هند) بنبرة مطمئنة: لا تقلق يا أبي.. لن تصاب بأي مكروه

(حميدة): أختك منذ أن بلغت الرابعة عشرة تفكيرها تغير وأصبحت لا تطيق الجلوس في المنزل وتخرج كثيراً

(هند): جميعنا كنا كذلك في عمرها يا أمي

(معناد) متجهماً: لا!.. هذه الصبية مندفعة وستجلب لي مصيبة يوماً ما!

(حميدة) مبتسمة: على ذكر المصائب.. ابن عمك تقدم لخطبتك اليوم يا (هند) وقد وافقنا

(معناد): هل تنعتين ابن أخي بالمصيبة؟!

(حميدة): بل فراق ابنتي البكر هو المصيبة..

(معناد): ومن قال بأنكِ ستفارقينها؟.. منزلنا كبير وقد اشترطت على أخي أن يسكنا معنا هنا وقد وافق

(حميدة): من حق (هند) أن يكون لها منزلها الخاص

(هند): ما يأمر به أبي سيكون يا أمي

(معناد): الزواج سيتم بعد شهر من الآن.. مبارك يا (أم سعد)

(هند) ضاحكة: من (أم سعد) هذه يا أبي؟

(معناد): أنتِ بالطبع.. ابنك الأول ستسميانه على اسم جدك

(حميدة): وإن كانت بنتاً؟

(معناد): لن تكون بنتاً سيكون صبيّاً

تنظر (هند) باسمة لأمها التي بادلتها الابتسام..

نهاية ذلك اليوم توجهت (هند) لغرفة أختها الصغرى ولم تجدها فتوجهت خارج المنزل بحثاً عن الحراس المعنيين بحراستها وسألتهم عنها فقالوا لها بأنهم لم يروها بعد ما عادت عصرًا للمنزل.

(هند): أين ذهبت اليوم معكم؟

(الحارس): زارت منزل حكيم العائلة

(هند): حكيم العائلة؟.. هل كانت مريضة؟

(الحارس): لا أعرف.. لم يبدُ عليها المرض

(هند) باستغراب: لمَ تزوره إذاً؟

(الحارس): لا أعرف يا سيدتي؟.. لكن..

(هند): لكن ماذا؟.. أفصح

(الحارس): السيدة (هنان) قبل أيام أمرتنا بحصر السحرة بالمدينة.. وأخبرناها اليوم أن المدينة بها خمسة من السحرة.. اثنان منهم يعيشان

في المدينة واثنان آخران في الجبال والأخير مسافر خارج البلاد. فقررت الذهاب لمن كانا يقيمان بالجبل لكننا رفضنا مرافقتها وهددناها بإخبار السيد الكبير

(هند) بخليط من العجب والقلق: تسأل عن السحرة؟.. لمَ تفعل ذلك وماذا تريد منهم؟

(الحارس): لا أعرف يا سيدتي لكنها وبعد رفضنا أخذها للجبل عادت للمنزل ولم نرَها بعدها

(هند) بقلق شديد: اجمعوا جميع الحراس ورافقوني لمنزل الحكيم لنعرف الحقيقة وحذارِ أن يصل الخبر لأبي.. هل تفهمون؟

(الحارس): أمرك

توجهت (هند) مع مجموعة الحراس لمنزل الحكيم دون أن تعلم أباها وأمها بشيء وبعد وصولهم وطرقهم للباب فتح لهم الحكيم قائلاً: مرحباً سيدة (هند).. ما الذي أتى بك في هذه الساعة المتأخرة؟

(هند): أين (هنان)؟

(الحكيم): (هنان)؟.. لا أعرف.. آخر مرة رأيتها فيها عندما أحضرت لي صديق أبيك لعلاجه ورحلت مباشرة

(هند) باستنكار: صديق أبي؟

(الحكيم): نعم.. رجل غريب مصاب قالت بأنه صديق لوالدك وأنه يطلب مني علاجه

(هند): أين هذا الصديق الذي تتحدث عنه؟

(الحكيم) مشيراً لداخل منزله: بالداخل.. تفضلي..

دخلت (هند) مع الحراس لوسط المنزل ليروا رجلاً مطبباً من جرح في بطنه ورباط أحمر ملفوف حوله تعرفت عليه في الحال وقالت بتجهم وغضب شديد:

«من أين أتيت بهذا الرباط الأحمر؟!»

(الرجل المصاب): ربطته (هنان) حول جرحي عندما أحضرتني إلى هنا

(هند) بغضب: وأين هي الآن؟!.. ماذا فعلتم بها؟!

(الحكيم) مشاركاً في الحديث بقلق: ما الأمر يا سيدة (هند)؟

(هند) صارخة بوجهه: اخرس أنت!!

أمرت (هند) الحرس بالقبض على الحكيم والرجل المصاب واقتيادهما

لقصر حاكم المدينة الذي كانت تربطه علاقة قوية بأبيها وشرحت له كل ما حدث فوعدها بأنه سيتم تعذيبهما حتى يعترفا بجرمهما وبمكان أختها.

نقلت (هند) تلك الأخبار المؤلمة لأسرتها وكانت فاجعة كبيرة هزتهم جميعاً وأمضى أبوها وإخوانها شهراً كاملاً في البحث عن (هنان) بالمدينة والمدن المجاورة لكنهم لم يجدوا لها أثراً. بعد مرور شهرين كاملين على حبس وتعذيب الحكيم والرجل المصاب دون الحصول منهما على أي اعتراف قرر الحاكم إعدامهما بتهمة الخطف والقتل بالرغم من عدم إقرارهما بالجرم ولا وجود دليل صريح على ذلك. وفي يوم التنفيذ سيق الاثنان لساحة الإعدام وتم قطع رأس الحكيم أولاً وعندما حان الدور على الرجل تحول لطائر أبيض وحلق من المكان وسط ذهول الجميع.

ذلك اليوم انهارت أم (هند) ولم تتحمل الحقيقة التي اقتنع بها الجميع وهي أن (هنان) قد ماتت لذا طلبت من (معناد) الهجرة لأي مكان كي تنسى ما حل بابنتها وبالفعل لم تمضِ إلا أيام قليلة حتى باع زوجها كل أملاكه وتجارته ورحل عن «معين» مع أسرته. بالرغم من تلك الظروف والأجواء الكئيبة إلا أن (معناد) أصر على إتمام زواج (هند)

من ابن أخيه (قبير) فتمت مراسم الزواج على عجالة دون أي مظاهر احتفال أو فرح رحلت بعدها الأسرة واستقرت بمدينة بعيدة.

جنى (معناد) الكثير من الأموال بعد تصفية تجارته في «معين» إلا أن توقفه عن العمل بسبب المرض الذي أصابه بعد موت (هنان) جعل تلك الثروة تتناقص مع مرور السنين فقد اشترى منزلاً كبيراً له ولأسرته بالمدينة التي انتقلوا إليها وزوج جميع أبنائه وبناته وأصر أن يقيموا معه ويصرف عليهم ومصادر دخل الأسرة حُصرت في أعمال أبنائه وأزواج بناته البسيطة ومع ذلك لم ينحدروا في الفقر لكنهم وبلا شك لم يعودوا أثرياء كالسابق.

عاشت (هند) مع زوجها حياة متوترة بعض الشيء بسبب إهمالها له وعنايتها اللصيقة بوالديها ومهما حاولت أمها نصحها بالاهتمام بزوجها أكثر إلا أنها كانت ترفض وتمضي معظم يومها مع أبيها الذي نخر المرض عقله قبل جسده وبقيت تعتني به وتهتم لكل طلباته وكأنها كانت تشعر بالذنب لما حدث له والحرقة في قلبها على ما حدث لأختها لم يزد الأمر إلا سوءاً.

بلغ إهمال (هند) لأسرتها ذروته عندما أنجبت مولودها الأول بعد

سنواتٍ عديدة والذي أسمته (سعد) حسب رغبة أبيها وحملته مباشرة له ووضعته بحجره في محاولة يائسة لإدخال بعض البهجة والسرور على قلبه لكنها صدمت بردة فعله الباردة تجاه حفيده وحالة التوهان التي كان يعيشها والتي وصلت لحد الخرف والتصرف كالأطفال.

(هند) بحزن وهي تأخذ صغيرها من حجر والدها التائه: المرض يجعلك تذوي وتذوب للشيء ذاته الذي بدأت منه..

(معناد): ما بكِ يا (هنان)؟.. ألم تسأمي من الحزن؟

(هند) ودمعة تباغتها: هو من يتمسك بي ولا يتوقف عن عناقي يا أبي..

(معناد) ماسحاً على رأس ابنته: تعرفين أني أحبك ولا أطيق رؤية الحزن في عينيك

(هند): وأعدك بأنك لن تراه مرة أخرى..

(معناد): عِديني فقط يا (هنان) بأن تكوني كغيوم السماء لا تتغير لكنها متجددة كل يوم لا يمل من ينظر إليها أبداً..

كان (معناد) يهذي باسم (هنان) دوماً ويراها في بناته وينادي عليها

في يقظته ومنامه لذا قررت (هند) يوماً ترك المنزل والسفر عائدة لـ «معين» بحثاً عنها.

(حميدة): هل جننتِ يا ابنة (معناد)؟!.. تبحثين عن ماذا؟!.. أختك ماتت!

(هند) وهي تصر بعض الحاجيات في قطعة من القماش: يجب أن أعرف مصيرها سواء كانت حية أو ميتة

(حميدة) وقد بدأت بالبكاء: لقد قتلها الحكيم وذلك الساحر!.. عن أي مصير تتحدثين؟!

(هند): أنا لا أصدق ذلك.. لدي إحساس بأنها لا تزال على قيد الحياة

(حميدة) صارخة فيها: لقد ماتت!.. ماتت!

(هند) تشد عقدة الصرة القماشية دون أن تلتفت إلى أمها: حتى وإن ماتت.. أريد رؤية جثتها

(حميدة) ودموعها تنهمر: ماذا عن ابنك وزوجك؟.. هل ستهجرينهما؟!.. هل ستضحين بسعادتك معهما بكل هذه البساطة؟

(هند) حاملة الصرة على كتفها: السعادة لا تبدأ أو تنتهي عند أشخاص

لكنها قد تزدهر أو تذبل بسبب أحدهم.. وأنا لم أكن سعيدة يومًا قط معه.. ابني سيكون عندك وزوجي لن يهنأ بي ما دمت أحمل همّاً في قلبي

(حميدة): أنا لست راضية بما سوف تقومين به!

(هند) مقبلة رأس أمها: اعتني بأبي حتى أعود

دخلت (هند) على أبيها وقبلت يديه وقالت: سوف آتي لك بخبرها يا أبي

(معناد) ماسحاً على رأسها: أين كنتِ يا (هنان)؟.. لمَ تخرجين على الدوام؟

ابتسمت (هند) بحزن ونهضت من أمام أبيها وتوجهت لغرفتها حيث كان زوجها نائماً فأيقظته وأخبرته عن نيتها بالرحيل فقال وهو مستلقٍ على فراشه: «لن أمنعك من الرحيل لكن بعد عودتك سوف آخذ أبني وأرحل أنا..»

(هند): ولمَ لا ترحل الآن؟

(قبير): لن أحرمك من رؤيته للمرة الأخيرة

لم ترد (هند) عليه وخرجت من المنزل متوجهة لـ «معين» بعد ما امتطت إحدى الدواب في فناء منزلهم..

المسافة بين المدينة التي انتقلوا إليها و«معين» كانت طويلة وتقدر بمسيرة أسبوعين قطعت (هند) ثلاثة أيام منها قبل أن تصل لقرية صغيرة مجاورة لجبل كبير قررت التوقف عندها للتزود بالماء والزاد. ترجلت من على ظهر جوادها عند بئرة متهالكة لتسقي دابتها وتملأ قربتها وخلال ذلك اقترب منها رجل بدت عليه ملامح الفقر وقال لها: من أي أرضٍ أتيتِ يا امرأة؟

تجاهلت (هند) الرجل وسؤاله وأكملت ما كانت تقوم به بصمت..

تبسم الرجل وعاود الحديث معها قائلاً: لا تحقري من يريد تقديم العون لكِ..

(هند) وهي تسقي دابتها دون أن تلتفت إليه: لا حاجة لي عندك أيها الرجل.. ارحل في الحال..

(الرجل): الشمس ستغيب بعد سويعات.. لا تسيري خارج قريتنا ليلاً

(هند) واضعة القربة الممتلئة على ظهر جوادها: لا شأن لك بما أقوم به

(الرجل): قدمت نصيحتي وأنا براءٌ مما سيحدث لكِ بعدها

(هند) ملتفتة إليه بتجهم: هل تهددني أيها المنبوذ؟!

(الرجل) مبتسماً وهو يهم بالرحيل: إلى اللقاء يا ابنة العرب..

شدت (هند) وثاق قربة الماء وصعدت على ظهر الجواد وبدأت بالسير خروجاً من القرية الصغيرة. بعد ابتعادها عن حدود القرية بساعة لمحت مجموعة من النخيل المثمرة فتوقفت وترجلت عن دابتها وسارت نحوها للتزود بالطعام. صعدت النخلة وتناولت بعضَ البلح وهي لا تزال فوق النخلة ثم قطعت بخنجر كان معها عذقاً سقط على الأرض بجانب الجواد وهمت بالنزول ومع نزولها نزلت معها الشمس في الأفق. مدت (هند) بعض الثمار الناضجة عند فم الجواد وهي تقول: «تناول هذه..»

في تلك اللحظة التف حبل حول عنقها وسحبها بقوة للخلف لتجد نفسها مربوطة بجذع النخلة ومجموعة من الرجال يحيطون بها ضاحكين. صرخت فيهم لتحريرها لكنهم لم يلقوا لها بالاً وبدؤوا بتفتيش وتقليب حاجياتها على ظهر الجواد.

(هند) صارخة فيهم: ماذا تريدون؟!

رفع أحد الرجال رأس سيفه عند وجهها ومرر رأسه على خدها قائلاً: ستكون ليلة طويلة.. لا تهدري طاقتك بالصراخ من الآن

أشعل الرجال البالغ عددهم سبعة ناراً عند الشجرة وجلسوا يتسامرون و(هند) مربوطة بجانبهم عند جذع النخلة تنتظر مصيرها. بعد ساعتين استقر الليل ونهض أحدهم من أمام النار وسار نحوها ممسكاً سيفه وصاحبه من خلفه يقول ضاحكاً: ألن تنتظر وصول البقية؟

الرجل وهو مستمر بالسير نحوها بأعين تتأجج لهفة: القطاف الأول سيكون لي..

أدركت (هند) ما كان ينوي الرجل القيام به فبدأت تدفع جسدها بقوة محاولة تحرير نفسها لكن كل ذلك كان سدى. وصل الرجل ووقف أمامها ومد يده وقبض على عنقها وضغط بقوة حابساً أنفاسها وهو يقول: لم أرَ جمالاً كهذا من قبل..

بصقت (هند) في وجهه بالرغم من شعورها بالاختناق لكن ذلك لم يثنِ الرجل عن صفعها عدة صفعات والبدء بتمزيق ملابسها وسط ضحكات رفاقه المراقبين لما يحدث وهم مجتمعون حول النار.

قضت (هند) ليلة عصيبة مع خاطفيها فقدت خلالها الكثير وآخر ما فقدته كان وعيها ولم تستيقظ إلا بعد شروق الشمس لترى أن الجميع قد رحلوا آخذين معهم جوادها تاركيها مربوطة تنزف من عدة جروح ألحقوها بها. اشتدت حرارة الشمس مع مرور الوقت وبالرغم من أن النخلة وفرت لها بعض الظلال إلا أن العطش تمكن منها في اليوم الثالث من بقائها على تلك الحالة لتدخل في حالة من الهلوسة. قبل أن تنزلق في هاوية الهلاك رأت في الأفق خيال رجل يسير نحوها ومع اقترابه منها تعرفت عليه وتذكرت ملامحه فقد كان من حدثها عند البئرة وحذرها من الخروج خارج القرية ليلاً. وصل الرجل عندها وبقي يحدق فيها بصمت.

(هند) برأس مترنح وكلمات متقطعة: هل أتيت لتشمت بي؟

(الرجل): المنطقة مليئة بالوحوش المفترسة وبالرغم من رائحة الدم التي تفوح من جراحك النازفة إلا أنه لم يقترب أي منها منكِ..

(هند) وهي في حالة يرثى لها: يكفي الحيوانات التي افترستني

(الرجل) متأملاً جسدها المنتهك: ولا حتى ذبابة واحدة حطت عليكِ..

(هند) بالعة ريقها الجاف وبأعين زائغة: إذا كنت تنوي التعرض لي مثلهم فاقتلني قبلها

(الرجل) مديراً نظره خلفه: أريد القيام بشيء آخر لكني أحتاج إذنك قبلها

(هند) بتهكم: منذ متى يستأذن الذئب من الشاة؟

(الرجل): هل ترين نفسك كذلك يا (هند)؟.. شاة ضعيفة؟

(هند): كيف تعرف اسمي؟.. من أرسلك؟

(الرجل): سأمنحك فرصة للحياة.. ليس هذا فقط.. بل سأحقق لكِ كل ما تصبين إليه لكن بشرط

(هند): أخبرتك سابقاً.. لا أريد منك شيئاً..

(الرجل): حتى معرفة مصير أختك؟

انتفضت (هند) فجأة وصرخت بالرجل قائلة: ماذا تعرف عنها؟!.. هل أنت ورفاقك من ألحقوا بها الأذى؟!

(الرجل): أنا (خومج).. «مستسقٍ» وأعمل لمصلحة مجموعة مهتمة بمن هم مثلكِ

(هند): تقصد نخاساً يبحث عن العبيد

(خومج): أنتِ تملكين شيئاً نريده ونحن نملك أشياء كثيرة تريدينها.. سنقايضك

(هند) وقد بدأت تفقد تركيزها: اغرب عن وجهي

حل (خومج) وثاق (هند) لتسقط بوجهها على الأرض بفم وأعين مفتوحة..

(خومج) وهو يدفع قطعة لحم نيئة في فمها المفتوح: ستتماثلين للشفاء.. كبد الثعل سيرمم ما هُدم..

لفظت (هند) القطعة واللعاب يسيل من فمها وهي لا تزال مستلقية على بطنها: لا أريد منك شيئاً..

أغمضت بعد ذلك عينيها وغطت في نومٍ عميق..

استيقظت (هند) بعد فقدانها للوعي لفترة غير معلومة لها لتجد نفسها على فراش متواضع بالقرب من نار صغيرة مشتعلة بمنزل صغير في تلك القرية عند الجبل الأسود. نهضت ببطء متحسسة جسدها الذي خلا من أي إصابة حديثة وجميع جروحها شبه التأمت وخلال تعجبها من حالها دخل عليها الرجل الذي عرف بنفسه سابقاً بـ (خومج)

وقال لها مبتسماً: استيقظتِ أخيراً..

(هند) متجهمة لرؤيته: أريد أن أرحل في الحال!

(خومج): أنتِ لستِ أسيرة عندي ويمكنك الرحيل بأي وقت لكني أريد ردّاً قبلها

(هند) بعبوس: ردّاً على ماذا؟!

(خومج): على المقايضة

(هند) وهي مشتتة الذهن: عن ماذا تتحدث؟!

(خومج): أخبرتك قبل أن تفقدي الوعي بأني تابع لطائفة مهتمة لمن هم مثلك

(هند): ماذا تقصد بمثلي؟

(خومج): بعضنا يولد بطاقة خاصة تتوهج لأسباب مختلفة وأنتِ تملكين طاقة لم أرَها من قبل ومن واجبي أن أحاول تجنيدك لمصلحتنا لكن ذلك لن يكون بلا مقابل ومقابل مجزٍ

(هند): ما زلت لا أفهم عمَّ تتحدث

(خومج): فقط امنحيني فرصة لتحريرها لكِ وسترين ما أعني

(هند): لقد قلت بأنكم تستطيعون منحي أي شيء أريد أليس كذلك؟

(خومج): بلى أي شيء.. البعض يتم تجنيده بالقوة والإجبار والبعض الآخر بالتفاهم وأنا اخترت أن يكون الأمر معكِ بالتراضي

(هند): لمَ؟

(خومج): لأني لا أظن أني أستطيع إجبارك على شيء لا تريدينه ولستِ مقتنعة به ولو أوكلت المهمة لمن هم أعلى مني في الطائفة فسوف يتبعون أساليب مقيتة معكِ يا أختي وأنا لا أريد أن تتعرضي لذلك فهم إن لم يحصلوا على ما يريدون يتحولوا لمجموعة من الأوغاد

(هند): اتركني أرحل في حال سبيلي إذاً

(خومج): صدقيني أني أريد لكِ الخير.. فقط امنحيني الفرصة

(هند): وماذا تريد مني القيام به؟

(خومج): لا شيء سوى الاستلقاء وأنا سأهتم بالبقية.. طاقتك قوية جدّاً وتفعيلها لن يحتاج مجهوداً كبيراً خاصة بعد ما مررتِ به قبل أيام

استلقت (هند) على الفراش وهي مرتابة وفي حيرة مما كان يحدث وما أن أسندت رأسها على الوسادة حتى وضع (خومج) كفه على جبينها

وطلب منها إغماض عينيها ففعلت. بدأ الرجل بقراءة بعض العبارات ثم رفع كفه وصمت لثوانٍ أحست بعدها (هند) بلسعة حارقة في قاع قدمها فصرخت مفزوعة لترى (خومج) ممسكاً بسيخ حديدي ملتهب عند أقدامها فقالت له بغضب: ماذا تفعل أيها المجنون؟!

(خومج) مبتسماً: لقد تم الأمر.. أستطيع رؤية ذلك في عينيك

(هند) بعصبية: رؤية ماذا أيها المعتوه؟!

(خومج) وهو مدهوش: الطائفة ستبهر بكِ بلا شك ولا أستبعد أن ينصبوك بين الكهنة

(هند) متفحصة قاع قدمها بتجهم: أي جنون تعاني منه لتفعل ما فعلت؟

(خومج) معيداً السيخ للنار المشتعلة في الغرفة: اسمعيني يا أختي.. لدينا أيام معدودة قبل أن يصل من سيقومون بتجنيدك وحتى يحين الوقت يجب أن تتقني استخدام قوتك الجديدة

(هند): تجنيدي؟

خلال اليومين التاليين قام (خومج) بشرح كل شيء يتعلق بالطائفة الجنتية لـ (هند) ولقنها أساسيات استخدام قدراتها الجديدة وكانت

متعجبة لتمكنها من تحريك الجوامد والتحكم بها بحركة بسيطة من أناملها.

(خومج) مبتسماً برضا: أنتِ جاهزة الآن للمرحلة الثانية

(هند): وما هي المرحلة الثانية؟

(خومج): بعد أن يقبلك الأسياد سوف يأخذونك لجبال الملح لتعليمك استخدام طاقتك لأقصى درجة ممكنة وسوف أحصل أنا على مكافأتي

(هند): ماذا عن المقايضة التي تحدثت عنها؟.. أريد معرفة ما حل بأختي

(خومج): سيحققون لكِ كل ما تريدين عندما يرون طاقتك الاستثنائية لكن تذكري أن لا تعاهديهم على شيء قبل أن تحصلي على مبتغاك لأنكِ بعدها ستكونين ملكهم للأبد

(هند): ملكهم؟.. لن أكون عبدة لأحد

(خومج): حريتك ستكون المقابل لأي شيء تطلبينه يا أختي

(هند): وإذا رفضت؟

(خومج): لن تسمح لكِ الطائفة بذلك ولن يرحلوا قبل التخلص منكِ لكن أرجو بحق أن لا ترفضي

(هند): لمَ أشعر بأن الأمر بالنسبة لك شخصي وليس مجرد عمل عابر؟

(خومج): هل تريدين الحقيقة؟

(هند): ولا غيرها..

(خومج): هؤلاء القوم بالرغم من أنهم يدعون أنهم يعاملون أفراد الطائفة بمبدأ العدل والمساواة إلا أنهم لا يستطيعون إخفاء حقيقة تحقيرهم لنا كعرب وأننا لا نملك المؤهلات لنكون جزءاً منهم

(هند): أنت جزء من هذه الطائفة وأنت عربي

(خومج) مبتسماً بحسرة: «المستسقون» لا يعتبرون من المراتب العليا.. كنت أقصد الانضمام لمجموعة «القتلة» أو «الكهنة».. كثير منا حاولوا جاهدين الانضمام لتلك المجموعات لكن عنصريتهم الجلية في التعامل معنا كانت واضحة كالشمس المشرقة في وضح النهار.. يتعاملون معنا دوماً بازدراء مهما قدمنا لهم وأقصى ما وصل إليه المتنورون العرب هو قتلة يحصلون نجوماً لا تتعدى الخمس حتى وإن استحقوا أكثر من ذلك

(هند): ولمَ تتحملون هذه المهانة؟

(خومج): الدخول للطائفة مغرٍ في البداية لكن وبعد أن نكتشف حقيقة تعاملهم معنا كعرب يكون الوقت قد فات على الانسحاب

(هند): كلامك هذا يتناقض مع دعوتك لي بالانضمام إليهم

(خومج): على العكس تماماً.. كل عربي قمت بتجنيده للطائفة تم تهميشه مهما بلغت قدراته لكن أنتِ لن يستطيعوا تجاهل طاقتك وستصلين لمراتب عليا بلا شك وستكونين صوتنا المسروق ونصيرة لنا

(هند): أنت تبني عليّ آمالاً كبيرة لا أظن أني مستعدة لها.. أنا أريد معرفة ما حل بأختي فقط ولست مستعدة لدخول عالمكم هذا

(خومج): أرجوك يا أختي.. كوني سفيرتنا في «جبال الملح».. لقد سئمنا الإذلال منهم

صمتت (هند) لثوانٍ وهي ترى في أعين (خومج) نظرات التوسل ثم قالت: متى سيصلون؟

(خومج) مبتهجاً: قريباً!.. قريباً جدّاً!

فجر ذلك اليوم وخلال نوم (هند) في المنزل الصغير أحست بالجدران

حولها وهي تهتز فنهضت على عجالة لترى نوراً قويّاً يتوهج من أسفل الباب وسمعت صوت (خومج) وهو يتحدث بالخارج بلغة لم تألفها مع ما بدا أنهم مجموعة من الأشخاص. لم تخرج وبقيت مكانها تنصت لذلك الحوار الذي احتدم وأخذ نبرة مشحونة فيما يبدو. بعد دقائق دخل عليها (خومج) بوجه محبط وقال: «الأسياد ينتظرونكِ بالخارج..»

(هند): ما بك؟.. لمَ أنت مستاء هكذا؟

(خومج) ماسحاً دمعة بظهر يده: لا شيء.. اخرجي لهم فقط

(هند): لن أخرج قبل أن تخبرني

(خومج): لقد عاتبوني لأني فعلت هالتك دون إذنهم وحرموني مكافأة تجنيدك

(هند): هم لم يروني كي يجندوني بعد

(خومج): طاقتك يا أختي من القوة بحيث يمكنهم أن يحسوا بها من الخارج وهم مسرورون بها لكنهم وكعادتهم يهضمون حقوقنا في الارتقاء بالطائفة

نهضت (هند) بوجه متجهم وخرجت خارج المنزل لترى رجلين بملابس غريبة وأشكال أغرب فأحدهما كان رمادي الشعر بأعين حمراء يرتدي إزاراً أصفر وصدره المفتول العضلات كان مكشوفاً وغير مغطى وعلى جبينه سبع نجوم موشومة والآخر انسدل شعره الأسود الطويل لأسفل ظهره ويلبس جلباباً أخضر كعينيه وعلى عنقه وشمت عشر نجوم وما أن وقعت أعينهما عليها حتى تبسما وقال ذو الأعين الحمراء بعربية ضعيفة: «طاقة هائلة.. غنيمة كبيرة..»

(هند): لن تغنم شيئاً دون أن تنفذوا ما أريد

خرج (خومج) خلف (هند) وقال بتوتر: الأسياد يريدون..

(هند) مقاطعة ونظرها على الاثنين: قل لأسيادك إني لن أنضم لهم قبل أن يخبروني بما حل بأختي (هنان)

نظر المتنور ذو الجلباب الأخضر لـ (خومج) بوجه متسائل عما قالته (هند) فقام بترجمة كلامها له فتبسم المتنور وقال: «مى گه هرچي بخواهيد من براى شما انجام مى دم..»

(هند) لـ (خومج): ماذا يقول؟

(خومج) بتوتر: يقول بأنه سيحقق لكِ كل ما تريدين

(هند): ماذا ينتظر إذاً؟.. فليخبرني

(ذو الأعين الحمراء) بعربية ركيكة: يجب أن ترحلي معنا أولاً كي تقابلي السيد الكبير

(هند): لن أرحل معكما إلى أي مكان قبل أن أعرف ما حل بأختي

(ذو الأعين الخضراء): «أن را با زور بياوريد ..»

(خومج) للمتنور ذي الأعين الخضراء بقلقٍ شديد: «نه!.. نيازى نيست بنابراين من با او صحبت خواهم كرد!»

لم يلقِ المتنور ذو الأعين الخضراء بالاً لكلام (خومج) وأشار بيده للمتنور الآخر بالهجوم على (هند) فاندفع نحوها جرياً قابضاً على يده التي اشتعلت بنار زرقاء وقبل أن يضربها رفعت كفّيها أمامه كردة فعل عفوية لحماية وجهها فخرج من بينهما وهج قوي أحرق المتنور وحوله لسحابة من الرماد.

صرخ المتنور ذو الأعين الخضراء مفجوعاً مما رآه قائلاً: «شما أن را بپردازيد عرب!!»

قفز بعدها المتنور للأعلى وشق جلبابه مطلقاً سرباً من الغربان بمناقير حديدية انطلقت نحو (هند) و(خومج) وفي تلك اللحظة تحولت عيناها للون الأحمر الداكن وبرزت أنيابها وأظافرها وقفزت هي الأخرى تشق طريقها بين الغربان حتى وصلت للمتنور غارسة المخالب الحادة في بطنه ليسقط على الرمال يتلوى من جرحه الغائر. هبطت (هند) على الأرض بأطرافها الأربعة وهي تتنفس بثقل بفم مفتوح ومخالب تقطر دماً والمتنور يراقبها مرعوباً رافعاً كفه نحوها ويقول بجزع: «متوقفش كن!»

كانت (هند) في حالة أشبه بالسعار ولم تدرك ما كان يحدث لكن ذلك لم يمنعها من الانطلاق نحو المتنور مرة أخرى في محاولة للإجهاز عليه لكنه بصق في كفه وضرب الأرض تحته محدثاً حفرة كبيرة سقطت فيها (هند) على الفور لتغمرها الرمال وتدفنها بلمح البصر. نهض المتنور المتأثر بجراحه وسار نحو (خومج) متجهماً وعند وصوله إليه صفعه وقال غاضباً: «چه وحشيانه اى براى ما آوردى؟!»

وقبل أن يرد (خومج) المرعوب وجد نفسه يبحث عن النفس بعد ما انتزع المتنور قلبه بيده العارية من صدره وهو يقول: «أحمق عربي..»

سقط (خومج) صريعاً على الأرض فرمى المتنور قلبه الذي كان لا يزال ينبض بجانبه قبل أن يهم بالرحيل..

قبض المتنور ذو الأعين الخضراء يديه ومدهما أمامه كي ينتقل من المكان لكن وقبل أن يفعل انفجرت الأرض من خلفه لتخرج (هند) وبحركة خاطفة قسمته من خاصرته إلى نصفين. وقفت بعدها تتنفس بتسارع وهي تعود تدريجيّاً لحالتها الطبيعية لترى خلفها جثة (خومج).

رفعت بعدها كفوفها الدامية أمام ناظريها وقالت وهي مهزوزة: «ما الذي يحدث لي..؟»

أمضت (هند) الساعات التي تلت مواجهتها مع المتنورين في منزل (خومج) جالسة على الأرض مسندة ظهرها للجدار سارحة بالسقف مذهولة مما جرى وخلال سرحانها سمعت الباب يطرق بطرقات خفيفة قطعت سرحانها ودفعتها للنهوض بسرعة والوقوف أمامه دون أن تفتحه لتسمع صوتاً يحدثها من خلفه قائلاً: «هل يمكنني الدخول؟»

(هند) بصوت مرتبك ومتوجس: من أنت؟

- مجرد شخص يريد الحديث معكِ بهدوء

(هند): تحدث أنا منصتة..

- لن أتحدث مع قطعة من الخشب.. إما أن أدخل أو تخرجي

صمتت (هند) متفكرة قليلاً ثم قالت: ادخل أنت

تحركت درفة الباب ببطء محدثة صريراً حادّاً بينما أخذت (هند) بضع خطوات للوراء متأهبة لأي مفاجأة لترى رجلاً يلبس وشاحاً أبيضَ وذا شعر أشقر بأعين زرقاء كلون البحر يدخل عليها مبتسماً ويقول:

«لقد أحدثتِ فوضى عارمة بالخارج..»

(هند) بتجهم: أنت منهم!.. ماذا تريدون مني؟!

- هدئي من روعك.. أنا (روشني) وقد أتيت للحديث معكِ فقط

(هند): إن كنت تريد أن تقتص لأصحابك فلتعلم أنهم هم من هاجموني وليس العكس!

(روشني) رافعاً بكفه ما تدلى من وشاحه على كتفه: لا يهمني أمرهم.. ما يهمني هو أنتِ وما يمكن أن تقدميه لنا

(هند): لقد أخبرني (خومج) عنكم وعن طائفتكم وما رأيته حتى الآن كفيل بأن يجعلني أرفض أن أكون جزءًا منكم

(روشني): ما حدث كان سوء فهم بسيطاً وتقصيراً غير مغتفر من رسلنا وفيما يبدو أنهم دفعوا ثمن ذلك وانتهى الأمر.. لنتحدث في المستقبل

(هند): أنا لا أعرف ما يحدث لي ولا أستطيع السيطرة على نفسي

(روشني): هذا أمر طبيعي مع الهالات المتفجرة.. أعطينا الفرصة لنقوم بصقل موهبتك النادرة

(هند): أخبرني (خومج) بأنكم تستطيعون منحي أي شيء

(روشني): إلى حدٍّ ما نعم.. ماذا تريدين مقابل انضمامك إلينا؟

(هند): لدي أخت.. انقطعت أخبارها منذ مدة طويلة.. أريد معرفة مصيرها

(روشني): هل تملكين أي أثرٍ لها؟

(هند): لا شيء سوى الأثر المحفور في قلبي فقط..

(روشني): سنصل لمبتغاك لكن ذلك سيستغرق بعض الوقت لكني أعدك بأننا سنحقق لكِ طلبك

(هند): كم من الوقت؟.. أياماً؟.. أشهراً؟.. سنوات؟

(روشني): الوقت اللازم لإعدادك لتكوني مؤهلة للتصنيف

(هند): أخبرتك بأني لن أنضم إليكم قبل أن أعرف مصير أختي

(روشني) مبتسماً: هذه أول مرة أكون أنا من يحاول إقناع شخص بالانضمام إلينا وليس العكس.. على أي حال.. لن تصبحي جزءاً من الطائفة إلى أن تبايعي السيد الكبير على الولاء وهذا لن يحدث قبل أن تجتازي فترة من التأهيل في «جبال الملح»

(هند) بتساؤل: وأين تقع «جبال الملح»؟

(روشني): غرب «فارس».. سترحلين معي وتمضين عدة أشهر هناك بين الكهنة ليقيموا قدراتك وفترة أخرى مع فرقة القتلة لتحصلي على التدريب اللازم بعدها نقرر درجة تصنيفك.. وقبل أن تسألي.. لن نلزمك بشيء حتى يصلك الخبر اليقين عن مصير أختك.. ما قولك؟

(هند): موافقة.. لكنْ لدي سؤال

(روشني): اسألي ما تشائين

(هند): كم عربيّاً ينتمي لطائفتكم وتحديداً في فرقة الكهنة والقتلة؟

(روشني): نحن لا ننظر في الطائفة لأعراقنا بل لقدراتنا.. جميعنا سواء تحت ظل السيد الكبير

(هند): وكم منا نحن العرب تحت هذا الظل؟

(روشني) رافعاً نظره للأعلى مستذكراً: أعتقدك أنكِ الأولى لكن هذا لا يعني..

(هند) مقاطعة: لا تبرر شيئاً.. متى سنرحل لـ «جبال الملح»؟

المتنورون لم يكونوا يملكون قدرة للتنقل بمجموعات مثل قدرات السحرة في استخدام طلاسم الانتقال بل كانت قدراتهم محصورة في نقل أنفسهم فقط لذا عندما كانوا يرغبون في نقل أحد من مكان لآخر يستعينون بالسحر بالرغم من أن ذلك كان محرماً بالطائفة لأنه يتنافى مع جميع مبادئهم وعقوبته تصل إلى حد الموت لكن (روشني) والذي ملك بعض علوم السحر كان من المستثنين من هذا التحريم كحال جميع الكهنة والوزراء. وصلت (هند) مع الوزير (روشني) لجبال الملح

بعد ما انتقلا بطلسم الانتقال وما أن حطت أقدامهما على سفح أحد جباله الباردة حتى قالت العربية المغتربة وهي تشاهد الجبال البيضاء تحيط بها: «لم أرَ مكاناً كهذا من قبل..»

(روشني) متقدماً نحو بوابة حجرية كبيرة: وسترين أشياء أخرى أكثر إبهاراً يا.. ما اسمك بالمناسبة؟

(هند): .. (هند)..

(روشني) فاركاً سبابته بإبهامه: اسم جميل.. يحمل لحناً خفيفاً.. معناه بالفارسية «الفتاة القوية والصبور».. هل أنتِ كذلك؟

(هند): لست فارسية.. أحمل الاسم بمعناه العربي

(روشني): وأي معنى هذا؟

(هند): مائة من الإبل..

(روشني): وما المميز في ذلك؟

(هند): بالنسبة لك لا شيء ربما لكن للعرب ناقة واحدة قد تكون الفارق بين الحياة والموت

(روشني) مبتسماً: يجب أن أنهل من علوم العرب أكثر

(هند): أنت تجيد لغتنا بشكل جيد..

(روشني): وخمس لغات غيرها.. اللغة مفتاح العلوم

(هند): وكيف سأتفاهم مع أفراد قبيلتكم وأنا لا أجيد لغتكم؟

(روشني) مبتسماً: طائفة وليست قبيلة.. لن تحتاجي إجادة أي لغة فجميع الكهنة يجيدون العربية وكذلك (فايو)

(هند): (فايو) من؟

(روشني): من سيتولى تدريبك على القتال بعد أن ينتهي الكهنة من تقييمك

(هند): وأختي؟

(روشني): سأبدأ بنشر رسلنا منذ اليوم في أقاصي الأرض لتعقب أخبارها.. ما اسمها؟

(هند): .. (هنان).. اسمها (هنان)..

# حلف الدم

سلم الوزير (روشني) المرأة العربية التي أحضرها معه لكبير الكهنة (آغ) وأخبره بأنها تحمل طاقة استثنائية ويريد منه تقييمها قبل أن يتم تحويلها إلى (فايو) ليعدها لتصبح ضمن مجموعة القتلة التابعين للطائفة لكن وبعد أسبوع واحد فقط من بقائها في كهوف الكهنة تلقت فيه جميع أنواع الاختبارات اللازمة لتحديد مدى قوة طاقتها دخل (آغ) على (روشني) في قصره الرخامي بأحد الجبال التابعة لمقر الطائفة خلال اجتماعه مع بعض مساعديه وقال له: «أريد الحديث معك وحدَنا..»

أشار (روشني) لمن كانوا معه بالانصراف وبعد رحيلهم تقدم (آغ) وجلس على قطعة رخامية مصقولة معدة لاستقبال الضيوف وقال:

من أين أتيت بهذه العربية؟

(روشني): مثل غيرها.. وجدها أحد المستسقين في «عربستان» وتواصل معنا يطلب تقييمها للانضمام للطائفة.. لمَ تسأل؟.. ما الأمر؟

(آغ) بخليط من الحيرة والتوتر: هذه العربية غير طبيعية

(روشني) مبتسماً: ومنذ متى نجند الطبيعيين؟.. أليس هذا الغرض من الاستسقاء؟

(آغ) بجدية: أنت لا تفهم.. طاقتها خارجة عن المألوف.. وهناك من فعلها قبلنا وزاد الأمر سوءاً

(روشني): طاقتها مفعلة؟.. من قام بذلك؟.. هذا أحد أسرار الطائفة ولا يجيده أحد سوى أتباعنا

(آغ): هذا ليس أسوأ ما في الموضوع..

(روشني): ماذا إذاً؟

(آغ): العربية عندما أحضرتها لي وأخبرتني بما فعلته بـ (مايكوس) و(نترب) عندما هاجماها استنتجت أنها تملك طاقة توازي طاقة قاتل من الرتبة العاشرة أو الثانية عشرة على أقصى تقدير

(روشني): إذاً فهي تملك رتبة أعلى.. ما المشكلة؟

(آغ) بنظرة قلقة: لا يوجد عدد من النجوم يمكنه أن يصنف تلك

الطاقة.. لقد وصلت لمرحلة لم أصل إليها أنا والكهنة هنا.. لم أرَ طاقة شبيهة لها سوى عند السيد الكبير وحتى هو في أقصى حالاته تفجراً قد لا يضاهيها إذا تمكنت من تحرير كامل قوتها

(روشني): هذا أمر غير مطمئن.. هل تعتقد أن هذه هي المرحلة التي كان يتحدث عنها (كلكامش)؟.. المرحلة النجمية؟

(آغ): لا.. (كلكامش) وأنا كنا نبحث عن مرحلة أعلى من ذلك بكثير.. مرحلة تقاس بمعايير كونية وقد فقدت الأمل منذ زمن طويل في إيجادها خاصة بعد موته لكن ومع ذلك طاقة العربية تبقى استثنائية وغير مسبوقة على الطائفة

(روشني): لمَ أستشعر أنك غير مسرور بهذا الاكتشاف؟

(آغ): منذ تأسيس الطائفة كان سر بقائها وتماسكها هو التسلسل القيادي المبني على توازن القوى.. السيد الكبير هو الأقوى ومن ثم نأتي نحن الثلاثة يتذيلنا أتباعنا الذين نسيطر عليهم بقوتنا ومهما جندنا من طاقات جديدة كانت تبقى تحتنا.. ماذا تظن سيحدث عندما نقيم هذه العربية كقوة تتجاوز الجميع بمن فيهم السيد الكبير؟

(روشني) مشاركاً كبير الكهنة قلقه: وماذا تقترح أن نفعل؟

(آغ): أكره التفريط بمثل هذه الطاقة لكنها ستشكل خطرًا علينا ولن نستطيع السيطرة عليها لو تمردت خاصة وأنها من عرق غريب عن أرضنا وتاريخنا مع شعبها ملوث بالصراعات.. لا أرى خياراً أمامنا سوى التخلص منها

(روشني): ستقتلها؟!

(آغ): بالطبع لن نستطيع قتلها في مواجهة لذا سنستغل ثقتها الحالية بنا وسندس لها السم وبذلك تنتهي المشكلة

(روشني) يقف ويقول بغضب: لا!.. لا بد وأن هناك طريقة أخرى!

(آغ): طريقة أخرى لقتلها؟

(روشني) بعصبية: انسَ موضوع قتلها!.. كيف تفرط بكنزٍ ثمين كهذا؟!

(آغ): صدقني أنها ستكون لعنة علينا في يوم ما.. لنستغل الفرصة الآن ونتخلص منها

(روشني): اسمع.. أنا لدي اقتراح أفضل

(آغ): أنا منصت..

(روشني): نحولها لـ (فايو) ونهيئها لتكون ضمن فريق القتلة ونعيدها لأرضها لتعمل لمصلحتنا من هناك وبذلك نأمن شرها

(آغ): لا أعرف..

(روشني): صدقني هذا هو الخيار الأمثل

(آغ): الخيار الأمثل هو أن ننقل كل هذا الحديث للسيد الكبير وهو من يقرر ما نفعل

(روشني): موافق

نقل الوزيران قلقهما للسيد الكبير وشرح كل منهما وجهة نظره فمن ناحية أصر (آغ) على أن تصفية (هند) والتخلص منها هو الحل الآمن ومن جهة أخرى طالب (روشني) بإعطائها فرصة لإثبات وجودها وولائها وفائدتها للطائفة.

(السيد الكبير): قبل أن أعطيكما قراري يجب أن تعلما أن هذه العربية مهما بلغت من القوة فهي لن تضاهيني ولن تستطيع يوماً الخروج عن سيطرتنا هل تفهم ذلك يا (آغ)؟

(آغ) بتوتر: بالطبع يا صاحب العظمة فلم يساورني الشك في ذلك أبداً لكن..

(السيد الكبير) مقاطعاً: سوف تحال لـ (فايو) وفي حال اجتيازها مرحلة التدريب وتصنيفها ستؤدي قسم الولاء لي وتعاد لأرضها القاحلة لتنفذ مهامنا من هناك.. مفهوم؟

حنى الاثنان رؤوسهما وقالا بصوت واحد: أمرك..

بعد ما خرج الوزيران من مقر قائدهم الكبير قال (روشني): أرسلها لي قبل أن تسلمها لـ (فايو)

(آغ): لم تعد العربية من ضمن مسؤولياتك والسيد الكبير تعليماته كانت واضحة

(روشني): لا تنسَ أن ثمن مبايعتها لنا معي ولن تكون جزءاً من الطائفة دوني

(آغ): سأرسلها لك.. وتذكر كلامي جيدًا في اليوم الذي تنقلب فيه تلك العربية علينا

(روشني): لا تقلق.. حتى وإن فعلت فسنكون مستعدين

بعد ساعة من هذا الاجتماع دخلت (هند) على (روشني) في مقره وهي

تلبس ملابسَ غريبة. كانت تلبس رداءً أسودَ التف على كامل جسدها ووشاحاً أحمرَ حول عنقها فقال (روشني) مبتسماً: تبدين مختلفة عن آخر مرة التقينا فيها..

(هند): هؤلاء الكهنة غريبو الأطوار.. كانوا يعاملونني وكأني مصابة بالجرب

(روشني) ضاحكاً: ماذا تقصدين؟

(هند): طيلة المدة التي قضيتها معهم كانوا يقتربون مني حد الالتصاق لكنهم لا يلمسونني.. يشتمّونني وينفثون عليّ ويتمتمون في أذني بكلمات غير مفهومة وأشياء غريبة أخرى وجدتها ضربًا من الجنون

(روشني): هذه هي طريقتهم في تقييم طاقتك

(هند): وهل انتهوا؟

(روشني): نعم.. وقد قررنا أنكِ ستنضمين لفريق القتلة ومنذ اليوم ستكونين تابعة للسيد (فايو) وهو من سيقوم بتعليمك كل ما تحتاجينه في هذا المجال من استخدام طاقاتك للدفاع والهجوم وكذلك التعامل مع الرسل وترجمة رسائلهم

(هند): ماذا حل بخبر أختي؟

(رشني): ما زلنا نبحث.. لا تقلقي سنجد أثرها وسنعرف ما حل بها سواء كانت حية أو ميتة

(هند): أختي ميتة.. أنا متيقنة من ذلك

(روشني): ما الذي تريدين معرفته إذاً؟

(هند): مكان رفاتها.. وكذلك من قتلها؟.. هل تظن أني سأسمح له بأن يبقى على قيد الحياة؟

(روشني): لو احتجتِ مساعدة في هذا الأمر ففقط أخبريني وسنزودك بأي عدد تحتاجينه من القتلة ليعاونوك بالأخذ بثأر أختك

(هند): أحتاج فقط أن توجه سبابتك نحو القاتل..

(روشني): أسابيع معدودة وستكون المعلومة بين يدي.. انصرفي الآن لتبدئي تدريبك

أمضت (هند) ثلاثة أشهر مع الوزير (فايو) تلقت فيها جميع أسرار الطائفة في فنون القتل والاغتيال واستخدام الطاقات الكامنة وكان زعيم القتلة مبهوراً بقدراتها حد القلق فهو لم يرَ أحداً بهذه القدرات من قبل لدرجة أنه كان يتحاشى الصدام معها أمام بقية المقاتلين خلال

تدريبها خشية أن تقوم بإحراجه وكان ينفرد بها إذا أراد تعليمها مهارات جديدة تستلزم منه القتال معها لكن الأمر لم يكن منه مفر في اليوم الأخير من مرحلة التدريب فكان لزاماً على (فايو) مواجهة (هند) أمام الجميع في نهاية مرحلة تدريبها وقبل اعتمادها كأحد أفراد فرقة القتلة وذلك كان طقساً إلزامياً لكل متدرب ليتلقى هزيمة أمام رئيس الفرقة يمنح بعدها عدد النجوم التي سيوشم بها بناءً على أدائه.

أقصى عدد من النجوم يمكن أن يوشم به أي فرد من فرقة القتلة هو أربع عشرة نجمة فقط لأن الحد الأقصى مخصص لرئيس الفرقة فقط وهو خمس عشرة نجمة ولم يتم وشم أحد بهذا العدد سابقاً سوى مقاتل واحد فقط أعطاه السيد الكبير ذلك الحق لكنه لقي حتفه منذ سنوات طويلة على يد أحد كبار السحرة بـ «تخت سليمان».

اجتمع جميع مقاتلي فرقة القتلة بالطائفة الجنتية الموجودين في جبال الملح على إحدى قممها في يوم عاصف وبارد وشكلوا دائرة كبيرة توسطتها (هند) ومن أمامها (فايو) الذي قال بصوت مسموع للجميع:

«اليوم هو يوم الاختبار الأخير لأختكم.. سنرى إلى أي مدى يمكنها الصمود أمامي قبل أن تقع..»

هتف جميع المقاتلين والمقاتلات حماساً ليرفع (فايو) كفه للأعلى صارخاً: لنبدأ!

اشتبك الاثنان في قتال يدوي في بادئ الأمر وكان القتال محموماً منذ اللحظات الأولى وبالرغم من قدرات (هند) إلا أن (فايو) لم يكن لقمة سائغة لها وملك من الخبرة والمهارة ما مكنه من دحرها عدة مرات حتى قررت أن تستخدم أول ضربة مستعينة بطاقتها المتفجرة. قبضت (هند) بيديها على غرة شعرها وتحولت لكرة من اللهب الأحمر مندفعة بسرعة نحو (فايو) الذي بالكاد تحاشاها ليغرس أنامله في الأرض الصخرية أسفل منه مقتلعاً حجراً كبيراً متجمدًا رماه نحوها لكن الحجر تفتت لأحجار صغيرة ما أن لامس جسد (هند) التي بدأت بالتصفيق بشكل متسارع محدثة عدة زوابع أحاطت بـ (فايو) وهاجمته تباعاً لتفقده توازنه وتسقطه أرضاً وسط ذهول القتلة المتفرجين على النزال.

من على قمة جبل بعيد أعلى من الجبل الذي دار عليه النزال كان (روشني) و(آغ) يراقبان حلقة الصراع ويتحاوران فيما بينهما.

(آغ) ونظره على القتال الدائر من بعيد: كيف ترى أداء العربية؟

(روشني) وهو يشاركه النظر: إنها لا تقدم كل ما في جعبتها احتراماً لسيادة (فايو)

(آغ) يهز رأسه موافقاً: نعم صحيح.. يبدو أنها تملك بعض الحكمة وليس مجرد القوة

(روشني): سوف تخسر النزال باختيارها.. الفتاة ذكية

(آغ): وهذا الأمر يزيدني قلقاً..

(روشني): لقد حصلنا اليوم على الأخبار التي طلبتها العربية

(آغ): تقصد مصير أختها؟

(روشني): نعم..

(آغ): أخبار مفرحة لك إذاً.. تستطيع الآن إتمام تجنيدها

(روشني): لم أفرح كثيراً.. قتلتها من الفرس.. أحد كبار السحرة في تخت سليمان سابقاً.. ساحرة كانت تدعى (جهنم) وأمير من أمراء الجن الأزرق كان المنفذ

(آغ): يبدو أن أختها كانت قوية مثلها..

(روشني): كانت مجرد ساحرة بسيطة سخرت مجموعة من الشياطين لمساعدتها

(آغ): السحرة أعداء أزليون لنا وعلى الأخص سحرة تحت سليمان.. هل تظن أنها ستحاول الثأر منهم؟

(روشني) وهو يهم بالرحيل: سنرى ماذا تقرر بعد تلقيها الخبر

في تلك الأثناء بدأت قوى (فايو) بالتضعضع أمام ضربات (هند) المتتالية والتي كانت وبالرغم من قوتها إلا أنها لم تكن قاتلة تعمداً منها فقط لترسل له رسالة بأنها أقوى منه وعندما حان الوقت تخلت (هند) عن دفاعاتها أمام إحدى هجمات الوزير (فايو) وتلقت الضربة وسقطت أرضاً ولم تنهض مدعية الهزيمة فتعالت أصوات المقاتلين وصرخاتهم بهجة لانتصار قائدهم الذي سار نحو العربية الملقاة على الأرض ومد يده نحوها وعاونها على النهوض وهو يقول: «تصرف أحمق لكن نبيل..»

(هند) مبتسمة: عن ماذا تتحدث؟

رفع (فايو) ذراعه الضخم مسكتاً هتافات المقاتلين ثم قال بصوتٍ مرتفع: «أربع عشرة نجمة!»

انفجر المكان مرة أخرى بالهتاف وخرج من بين المقاتلين امرأة عجوز

تحمل معها إبرة وقنينة وسارت حتى وقفت أمام (هند) وقالت: أين تريدينها؟

التفتت (هند) على (فايو) بوجه متسائل فأجابها بقوله: ضعيها على وجنتيك كي تبثي الرعب في قلوب أعدائك

(هند): لكني لم ابايع السيد الكبير بعد

(فايو): حتى لو لم تبايعيه فقد استحقيتِ وشومكِ

هزت (هند) رأسها بالموافقة وبدأت العجوز بوشمها بنجومها..

بعد ما انتهت مراسم التصنيف أشار (فايو) لـ (هند) بأن تتبعه للمرحلة الثانية وهي مرحلة تقديم الولاء ومعاهدة السيد الكبير على السمع والطاعة فسار الاثنان حيث كان القصر الرئيس والمكان الذي يدير منه الوزراء جميع أمور الطائفة ودخلا غرفة العرش الكبيرة حيث كان (آغ) و(روشني) بانتظارهما وبانتظار حضور السيد الكبير.

(روشني) لـ (هند) مبتسماً: لقد حققتِ إنجازًا كبيرًا لم يصل إليه الكثير من قبل في هذه المدة القصيرة

(هند): لمَ أنا هنا؟.. لن أبايعكم قبل أن أحصل على ما اتفقنا عليه

(روشني): العلم الذي طلبتِه معي لكن من المتعارف عليه أن تتم مراسم المبايعة بعد التصنيف مباشرة ولا يمكن تأجيلها الآن

(هند) بحدة: بيننا اتفاق واضح!.. خبر أختي مقابل مبايعتكم!

(آغ) يدنو منهما قائلاً: هل هناك مشكلة؟

(روشني) رافعاً كفه مطمئنًا: لا يا وزير الكهنة لا يوجد مشكلة

(هند) بعصبية: بل يوجد!

(فايو) من ورائها: السيد الكبير في طريقه إلى هنا.. لا تفسدي الأمر بعنادك

(هند) تدير ظهرها وتهم بالرحيل: أنا عائدة لأرضي..

لم تأخذ (هند) بضع خطواتٍ مبتعدة حتى سمعت (روشني) يقول لها: أختك ماتت.. مقتولة.. فصل رأسها عن جسدها وهي تقاتل ساحرة..

استدارت (هند) وأعينها بدأت تنزف دمعاً: ماتت؟!

(روشني): نعم.. اهدئي الآن

(هند) تسير عائدة بأعين غارقة في الدموع وصوت مشحون غضباً: أين أجد هذه الساحرة؟!

(روشني): بايعي السيد الكبير وسأخبرك بكل شيء

(هند) بغضب: أخبرني الآن!

انقطع الحوار بدخول السيد الكبير مع مجموعة من الحراس فحنى الوزراء رؤوسهم عدا (هند) الغارقة في دموعها فقام (فايو) من خلفها بوضع كفه على كتفها وأشار لها بالقيام بالمثل ففعلت وراقبت دموعها تتساقط على الرخام الأملس أسفل منها. جلس السيد الكبير ثم قال بصوت غليظ: «ارفعي رأسك يا عربية..»

نفذت (هند) أمر السيد الكبير الذي لاحظ دموعها ووجهها المحتقن فقال: ما بكِ؟

(هند) ماسحة دموعها بباطن كفها الأيمن: لا شيء..

(السيد الكبير): هل أنتِ جاهزة لترتيل القسم؟

(هند) بصوتٍ يغص حزناً: لا أعرفه..

(آغ): سوف ألقنها العبارات يا سيدي بعد إذنك

(السيد الكبير): لا.. أريد أن تقولها بنفسها وبأي صيغة تريد

(هند) وملامحها تفيض قهراً: ماذا تريد مني أن أقول؟

(روشني) هامساً لها: تحدثي مع السيد الكبير بلباقة أكثر

(هند) متحاملة على نفسها مستنشقة دموعها: ما الذي تريد مني قوله يا سيدي؟

(السيد الكبير): يقال بأن العرب يملكون لغة فصيحة.. أتحفيني بما عندك

صمتت (هند) لفترة وجيزة وهي تحدق بأعين السيد الكبير ثم قالت:

أعاهدك بعهدٍ لا ينقطع إلا بقطعي.. وولاءٍ لا ينضب إلا بهلاكي

لك العين واليد والساعد.. العنق والساق والقدم..

لن أبطن في صدري ولن أحمل على ظهري.. إلا لما يسرك ويرضيك

موالية لك مسلمة مستسلمة..

وسأقطع الأرحام لوصلكم ما لم تمسوا من شاركني رحماً أنجبني..

وجه الحاضرون أنظارهم للسيد الكبير الذي بدا على وجهه خليط من الرضا والتعجب في الوقت نفسه ثم قال: «سنكرمك بالقبول.. عودي لعربستان..»

نهض السيد الكبير وخرج من المكان ومن خلفه حراسه..

أدارت (هند) نظرها نحو (روشني) وعينها تتفجر غضباً وتساؤلاً فقال بهدوء وهو يهم بالخروج من المكان: اتبعيني..

سار الاثنان حتى وصلا للخارج وقبل أن يبدأ أحدهما بالحديث خرج (فايو) من خلفهما وقال لـ (هند): عندما تنتهين عودي لمقرنا في قمة الجبل كي أعطيك مهمتك الأولى في «عربستان»

رحل قائد القتلة بعد ما رمق (روشني) بنظرة لم يلقِ لها بالاً وقال: أختك لقيت مصرعها على يد ساحرة فارسية اسمها (نزيم) وكانت تلقب بـ (جهنم) بعد ما حاصرتها في وادٍ بـ «تخت سليمان» مع مجموعة من أتباعها

(هند): دلني على مكانها!

(روشني): القاتل الفعلي لأختك والذي قام بفصل رأسها عن جسدها هو أحد أمراء الجن الأزرق يدعى (أزرق بن وندل)

(هند): الجن الأزرق؟.. فارسي هو الآخر أليس كذلك؟

(روشني): بلى.. لكن هذا ليس ما يهم

(هند) بتهكم ودموعها تجري على وشومها الحديثة: بالطبع لن تهتم.. خاصة وأن القتلة من أبناء جلدتك.. القتلة الذين أهانوا أختي وذبحوها كالأضحية

(روشني): لا علاقة لعرقهم بما أقول ثم إن أختك ماتت بشجاعة في أرض المعركة ولم ترضَ بالذل والهرب من المواجهة وقتلتها لقوا حتفهم والجني الأزرق مات بالطريقة نفسها

(هند): ماذا؟.. من قتلهم؟

(روشني): الأمير الأزرق مات على يد أحد أتباعه والساحرة قتلتها ساحرة عربية أخرى أقوى منها بكثير

(هند): ساحرة عربية؟

(روشني): نعم.. ساحرة عربية تدعى (دعجاء بنت وصبان).. وإلى هنا انقطع علمنا ولم نستطع تحديد مكانها لكننا تحققنا من أنها من أرض الجزيرة وأتت خصيصاً لقتل (جهنم)

(هند): سلمت يداها..

(روشني): هل انتهينا الآن؟

(هند): ماذا عن رفاتها؟

(روشني): الجني الأزرق أخذ رأسها وجثمانها لمكان غير معلوم

(هند) منزلة رأسها: قلبي يحترق..

(روشني): ابتلعي أي شيء يشوش ذهنك.. أنتِ الآن أحد أفراد أعظم طائفة في الدنيا وصفاء الذهن من أساسيات قوتنا وبقائنا

(هند): لا تقلق يا ابن العجم سوف أكون لكم كما تريدون

همت (هند) بالرحيل لكن وقبل أن تبتعد استوقفها (روشني) وقال: انتظري.. أريد أن أسألك عن نص العهد الذي تلوتِه أمام السيد الكبير

(هند): ما به؟

(روشني): ماذا قصدتِ بقول: «وسأقطع الأرحام لوصلكم ما لم تمسوا من شاركني رحماً أنجبني..»

(هند): الحرف النقي يعكره التفسير..

(روشني): هل أخبرتك قبلاً بأني لست فارسيّاً؟

(هند): من أي أرض أتيت؟

(روشني): هل يهمك معرفة من أين؟

(هند): لا.. لكن سيدكم الكبير فارسي أليس كذلك؟

(روشني): بلى

(هند) وهي تسير مبتعدة: هذا ما يهمني معرفته فقط..

بعد ما لقن (فايو) قاتلته العربية الجديدة نص طلسم الانتقال أخبرها بأن مهمتها الأولى هي قتل رجل يعيش في «اليمامة» وقدم لها كل المعلومات اللازمة كي تجده وتحدد مكانه وبحكم أنها لم تزر المنطقة من قبل قامت بالانتقال لـ «معين» ومن هناك انضمت لقافلة متوجهة لوسط الجزيرة دون أن تمر بأهلها أو تزورهم وخلال عدة أسابيع وصلت ونفذت مهمتها بكل برود وقتلت الرجل وهو بين زوجته وأطفاله في منزله بوضح النهار ولم تكترث للجلبة والفوضى التي أحدثتها عندما استنجدت الزوجة بالناس لأنها اختفت قبل أن يصل أحد لنجدتها.

(شاور) منهياً الحديث عن (هند) مع العرجاء: «ومنذ ذلك الوقت أصبحت (هند) أكثر قتلة الطائفة مهارة ولا يلجأ لها إلا في المهام

المستعصية في «عربستان» تحديداً..»

(نافجة): والتي هي أنا الآن

(شاور): نعم..

(نافجة): الساحرة التي تتحدث عنها.. تلك التي قتلت أخت (هند)

(شاور): .. (جهنم)..

(نافجة): نعم.. أعتقد أني أعرفها

(شاور): كيف تعرفينها ومن أين؟

(نافجة): قتلت أمها في الماضي.. (أفسار).. وفقدت قدمي بسببها

(شاور): أمها؟

(نافجة): فهمت الآن.. (هنان) كانت إحدى فتيات عصبة (دعجاء) التي سعت للثأر لهنّ

(شاور): ماذا تعرفين عنها؟ .. نحن لم نجد الكثير من العلم حولها

(نافجة): هي الساحرة الوحيدة التي أكن لها الاحترام والإجلال.. شعلة انطفأت قبل أوانها.. لا تشغل بالك.. أخبرني.. هل حافظت

(هند) على عهدها معكم حتى هذا اليوم؟

(شاور): غريب أن تسألي مثل هذا السؤال.. لكن.. نعم ولا

(نافجة): كيف؟

(شاور): منذ أن حطت قدمها على أرض «عربستان» ومهام الاغتيال تتهافت عليها من الطائفة بلا انقطاع.. شيوخ قبائل وزعماء عصابات لقطع الطريق.. تجار ولصوص.. سحرة وكهنة.. رجالاً ونساء.. القائمة كانت طويلة ومتراكمة والسيد الكبير كان يريد أن ينجز الكثير في وقت قصير

(نافجة): قائمة طويلة ومتنوعة بالفعل

(شاور): نحن لا نفرق بين الأهداف ومن يدفع الثمن المناسب يمكنه الاستفادة من خدماتنا مهما كان وأيّاً كان الهدف المطلوب تصفيته

(نافجة): إذاً فأنتم لستم سوى مجموعة من المرتزقة

(شاور): لا أنكر أن هذا جزء أساسي من عملنا لكنه ليس أساسه

(نافجة): و(هند) بالنسبة لكم مجرد أداة للتنفيذ

(شاور): هي لا تختلف عن أي عضو من أعضاء الطائفة.. جميعنا نخدم السيد الكبير دون أدنى سؤال أو تشكيك

(نافجة): بداية حديثك أشرت إلى أن (هند) لم تنصَعْ لجميع أوامركم

(شاور): أمر واحد فقط.. وكان من المفترض أن يكون ذلك كافياً ليصدر الأمر بإبعادها وتصفيتها هي الأخرى.. لكن..

(نافجة): لكن من الواضح أن هذا لم يحدث

(شاور) مستأنفاً حديثه: أرسلنا لها رسولاً لاغتيال أحد شيوخ قبائل الشمال.. شيخ قبيلة الهوازن.. وكان السيد الكبير مهتّماً بالأمر بنفسه وحريصاً على إنجاز المهمة بأسرع وقت لأن ذلك الشيخ قتل أحد أعضاء الطائفة كان قد أرسل لـ «عربستان» في مهمة مختلفة وشكل هذا صدمة لنا فالمتنورون وخاصة القتلة منهم لا يلقون حتفهم على يد شخص عادي لا يملك أي مقومات تؤهله لمقارعة أحد أعضاء الطائفة الجنتية

(نافجة): شيوخ القبائل فرسان منذ الصغر ويتم تربيتهم وتهيئتهم على ذلك

(شاور): مهما كانت حدة نصله وشدة بأسه فهو لم يكن ليستطيع مجاراة متنور بنجمة واحدة من طائفتنا

(نافجة) بتهكم: والدليل أنه قتل أحد أتباعكم..

(شاور): وليس أي تابع.. متنوراً من الدرجة السادسة

(نافجة): فقام كبيركم بإرسال (هند) لاستعادة كرامتكم المهانة

(شاور): نعم.. لكن (هند) أهانتها أكثر

(نافجة): كيف؟

(شاور): بعد عدة أيام من استلامها أمر قتل شيخ القبيلة أرسلت هي رسولاً موجهاً مباشرة للسيد (روشني) تحذره من الاقتراب من هذا الشيخ وأنه لو أرسل متنوراً آخر لإكمال المهمة فإنها سوف تنشق عن الطائفة وتأتي بنفسها لجبال الملح لتقتص منهم

(نافجة): تصرف غريب منها خاصة وأنها لم تمانع قتل غيره في الماضي

(شاور): لا أعرف ما حدث بينها وبين ذلك الشيخ لكن الوزراء كانوا غاضبين جدّاً وكاد الأمر يخرج عن السيطرة لولا أمر السيد الكبير بإنهاء الموضوع وترك الشيخ في حاله

(نافجة): لِمَ غفر كبير المتنورين لـ (هند) تلك الإهانة؟

(شاور): لأنه يخشاها ويريد اتقاء شرها ويعرف أنها قادرة على هز أركان الطائفة الجنتية لو عقدت العزم على ذلك.. تنبؤ (آغ) كان في محله وأنها ستكون مصدر قلق مستقبلاً

(نافجة): لا أصدق أن مجرد تهديد بسيط منها يجعل سيدكم الكبير يتغاضى عنها بكل هذه السهولة

(شاور): ومن قال بأنه لم يحاول؟.. سبب عفوه عنها هو أنه حاول معاقبتها بطريقة غير مباشرة ليدرك بعدها أن معاداتها ليست بالأمر الحكيم

(نافجة): لم أفهم

(شاور): في بادئ الأمر كان الجميع متفقين على تصفيتها لكنهم لم يريدوا أن يتم ذلك من خلال الطائفة لأنهم وقتها لا يزالون يجهلون مدى قوتها بالكامل وخشوا أن يقعوا في دوامة من الصراع معها فاقترح السيد (آغ) إرسالها في مهمة مستحيلة مقابل ترك شيخ (الهوازن) وشأنه لتلاقي حتفها بعيداً عنهم وبدون تدخلهم حفاظًا على ماء الوجه وردّاً لاعتبارهم بالرغم من أن خبر تمردها لم ينتشر في ذلك الوقت بين أفراد الطائفة ولم نعلم به إلا لاحقاً..

(نافجة): وماذا كانت تلك المهمة المستحيلة؟

(شاور): أرسلت الطائفة لها رسولاً يخبرها بأن ثمن رقبة الشيخ هو رقبة شخص آخر.. كاهن منشق عن الطائفة لقب بالكاهن الأسود.. تمرد على القائد الكبير واعتزل مع مجموعة من المتنورين بأرض «بابل» وكان يعد العدة للانقلاب على الطائفة ولسنواتٍ عديدة لم نتمكن من التخلص منه لأنه يعرف الكثير من أسرارنا ناهيك عن قوته وقوة أتباعه المحيطين به فهم جميعاً من الكهنة الأقوياء والقائد الكبير لم يرد الدخول معهم في صدام مباشر خشية تلويث سمعة الطائفة وكي لا يشاع أن بيننا منشقين لا يمكن ضبطهم فتجاهلهم لسنوات طويلة بالرغم من أعمالهم التخريبية ضدنا من وقتٍ لآخر. الكاهن الأسود انعزل مع أتباعه الأحد عشر بـ «جبل سنجار» وكان يجب على (هند) التسلل لقتله هو فقط فهو لم يكن نداً سهلاً ولو احتمى بأتباعه فستكون المواجهة غير عادلة

(نافجة): وكيف تمكنت من تجنبهم والتسلل؟

(شاور): هذا ما أثار خوف السيد الكبير منها فهي لم تتسلل أو تتجنب مواجهة أي من أتباعه.. دخلت بهدوء من مدخل الجبل الرئيس

وقتلتهم جميعاً في هجمة واحدة لننتهي نحن من مشكلة الكاهن الأسود وحل مكانها مشكلة أخرى.. (هند)

(نافجة): أنا مستغربة حقّاً من أنني لم أسمع بها من قبل؟.. حتى عجوز القدر لم تذكرها لي

(شاور): عجوز القدر من؟

(نافجة): ساحرة مخضرمة باليمامة وتملك علماً واسعاً عن سحرة الجزيرة وعن طائفتكم وقد لجأت إليها لأتزود من علمها عندما أحسست بخطركم

(شاور): المتنورون يعملون في الخفاء ويبقون متوارين عن الأنظار قدر الإمكان ولا يخرجون ويتركون مواطنهم إلا لتنفيذ المهام فقط على عكس السحرة الذين يَذِيع صيتهم بين الناس ناهيك عن أن معظم المتنورين يأتون من خارج الأرض التي ينوون تنفيذ مهمة داخلها وقليل منهم يكون مستقرّاً فيها.. (هند) من الحالات القليلة التي يكون فيها المتنور مقيماً في أرض واحدة فنحن دائمو الترحال وهذا استثناء منح لها مع الكثير من الاستثناءات الأخرى

(نافجة): بسبب قوتها..

(شاور): ولاتقاء شرها كما قلت لكِ.. كما قال السيد (آغ) سابقاً: «لو كان الشيطان امرأة فستكون (هند)..»

أمضى المتنور الشاب والعرجاء يوماً آخر في عبور الصحراء الحمراء حتى أقبلا على منطقة جبلية سوداء تحيط بها مسطحات خضراء وسماؤُها ملبدة بالغيوم فقالت (نافجة): ديار «الأزد» على بعد يسير من هنا.. يمكنك الرحيل الآن

(شاور): هل أنتِ واثقة من أنكِ لا تريدين مني أن أرافقك لمسافة أطول حتى نراهم؟

(نافجة): لا.. أطلق الناقة هنا وارحل

(شاور) مترجلاً عن ظهر الناقة: كما تشائين

وضع المتنور كفه على صدره وقبل أن يختفي مع الريح قال: «رافقتك السلامة يا عربية..»

(نافجة) وهي تراقب خياله يضمحل: «ولك مثلها أيها الأعجمي.. وبالتوفيق في مسعاك الخاص»

وصلت العرجاء لديار «الأزد» نهاية ذلك النهار وكان أول مستقبليها فرسان القبيلة الذين تعرفوا عليها في الحال عندما عَرَّفت بنفسها وطلبت أن تستجير بهم فأخذوها لشيخهم (كهلان) الذي رحب بـ (نافجة) ترحيباً كبيراً وقدم لها كل ما يمكن أن تحتاج إليه من مأوى وزاد وعرضها على مطبب القبيلة ليقوم بالعناية بها وبجرحها. مُنحت العرجاء خيمتها الخاصة وجارية لخدمتها والإشراف على فترة نقاهتها وصُنع لها عكازٌ لتتمكن من التنقل بسهولة عندما ترغب في ذلك.

دخل الشيخ (كهلان) عليها في خيمتها بعد ثلاثة أيام من وصولها بعد ما استأذن وجلس بجانبها وهي مستلقية وقال: «كيف حالك اليوم يا فخر العرب؟»

(نافجة) معتدلة في جلستها احتراماً للشيخ: أغرق في كرمك وحسن ضيافتك يا شيخ (كهلان)..

(الشيخ كهلان) رافعاً كفه: لا تنهضي من مكانك.. لا يزال أمامك الكثير لتستعيدي عافيتك بالكامل

(نافجة): لا يستقيم ظهري بحضورك يا تاج الرأس

(الشيخ كهلان) مبتسماً: لطالما أردت لقاء العرجاء التي حاربت

الدخلاء على أرضنا.. أمجادك سبقتك وها نحن اليوم ننعم بحضورك

(نافجة): لا مجد لي دونك يا عزوتي.. أرضي هي أرضكم وجميعنا فداء لها

(الشيخ كهلان): من تسبب لك بتلك الإصابة؟

(نافجة): لا تحمل هذا الهم..

(الشيخ كهلان): لدي ألف فارس يمكنهم أن يقتصوا لك ممن تعرض لك.. وجهيني نحوهم فقط

(نافجة) مبتسمة: كانت أمي (فيصاء) عندما تتشاجر مع أبي وتهدده بهجره ويرد عليها بأن لا مكان لها تلجأ إليه تردد عبارة واحدة علقت بذهني

(الشيخ كهلان) وهو يبادلها الابتسام: ماذا كانت تقول؟

(نافجة): كانت تصرخ بلكنتها الجنوبية بغضب: «لو تخلى عني جميع أهلي فسأجد في «الأزد» عزوتي..»

(الشيخ كهلان) ضاحكاً: وكيف كان يتعامل أبوك مع دم أمك الفائر؟

(نافجة) مبتسمة بحزن مستذكرة طفولتها: بعذوبة كلماته التي كانت كعذوبة ينابيع أرضه.. «هجر».. حيث تركت قلبي

(الشيخ كهلان): أعدك بأن أرسلك مع قافلة إلى هناك بعد ما تستعيدين عافيتك

(نافجة): العودة لـ «هجر» ستأخذ وقتاً أطول يا شيخ (كهلان) لكني ممتنة لك على أي حال

(الشيخ كهلان): بالمناسبة.. لِمَ لَمْ تخبريني بأنكِ أتيتِ مع مرافق؟

(نافجة) متعجبة: مرافق؟.. ألم يرحل ذلك الأعجمي؟

(الشيخ كهلان) باستغراب: أعجمي؟.. لا.. كنت أقصد المرأة التي أتت للسؤال عنكِ بعد يوم من قدومك

(نافجة): عن أي امرأة تتحدث؟

(الشيخ كهلان): امرأة قدمت إلينا وسألت عن حالك وصحتك وقالت بأنها كانت ترافقك في السفر لكنها افترقت عنكِ قبل عدة أيام وأرادت الاطمئنان عليكِ ومعرفة متى سوف تتماثلين للشفاء وعندما أخبرها المطبب بأنكِ تحتاجين عشرة أيام على الأقل رحلت وقالت بأنها سوف تعود بعد انقضائها

(نافجة) بتوتر: صفها لي يا شيخ

(الشيخ كهلان): أوضح معالمها كان أربع عشرة نجمة موشومة على وجنتيها..

# الساحرة الهجينة

«لا يوجد شيء لتعتذرنَ عنه.. أنا (أنهار).. وأنتنّ؟»

(عوراء) بحماس: وأنا اسمي (عوراء)!

أرخت (أنهار) قبضتها من مصافحة (كُميت) وقالت باسمة: تشرفنا بكِ يا (عوراء)

(دوسر) وهو محتضن لساق (أنهار): هذه صديقتي الجديدة يا خالة

(أنهار): تبدو لطيفة.. ماذا عن الأخريين؟

(كُميت) منزلة اللثام عن وجهها بطرف سبابتها: أنا (كُميت) وتلك أختي (رافدة).. نحن ممتنات لمساعدتك

(أنهار) واضعة كفها على رأس الصبي الصغير: كان ردّاً لصنيعكن مع صغيري (دوسر)

(رافدة): لمَ تتحدثين بعربية ركيكة؟

(أنهار) مبتسمة: لأنها ليست لغتي الأولى

(رافدة): ابنك يتحدثها بشكل جيد.. هل أنتِ متزوجة من عربي؟

(كُميت) بصوت خفيض لـ (رافدة): ما هذا التطفل؟!

(أنهار) مبتسمة: لا بأس.. لا أمانع تساؤلها

(عوراء) مبتهجة: أنا أيضاً لست عربية لكني أتحدثها!

(دوسر) متخلياً عن احتضانه لساق خالته سائراً نحو (عوراء): هل أنتِ فارسية مثل خالتي؟

(رافدة) بتجهم: فارسية؟

(أنهار): نعم.. من «ديلم».. هل تعرفينها؟

(رافدة) بخليط من العبوس والتعجب: لكن لون بشرتك مثلنا

(أنهار): أمي عربية وأبي فارسي

(كُميت) لـ (رافدة): لنتوقف عن هذا الاستجواب غير اللائق ولنرحل قبل أن يعود المزيد من حراس السوق

(أنهار): إلى أين أنتنّ راحلات؟

(كُميت): سنترك المدينة بعد ما حدث عند بائع الخبز.. لا يمكننا البقاء هنا.. سنقرر وجهتنا بعد ما نتجاوز أسوار المدينة

(رافدة): يجب أن نعود لإحضار جوادي (لشيم) من أمام الخباز.. لن أرحل بدونه

(كُميت): لكن ذلك سيكون مخاطرة كبيرة

(أنهار): اتركن ذلك عليَّ.. سوف أحضر لكنّ الدابة خارج المدينة

(رافدة): ولِمَ تفعلين ذلك؟

(أنهار) وهي تربت على حقيبة جلدية بنية اللون كانت معلقة على كتفها ومستندة لخاصرتها: أنا أيضاً راحلة من هنا

(كُميت): لا نريد أن نثقل عليكِ

(أنهار) وهي تبدأ بالسير مبتعدة: عندما تبدأ الشمس بالمغيب.. تحركن في الظلمة شرقاً من هنا وستجدن ثقباً صغيراً بسور المدينة.. اعبرن من خلاله وانتظرنني هناك

لحق (دوسر) بخالته تاركاً الفتيات الثلاث في حيرة..

(رافدة): أمر هذه المرأة مريب

(عوراء): أعتقد أنها لطيفة..

(رافدة): أنتِ ترين كل شيء لطيفاً

(عوراء) ضاحكة: وقامتها طويلة جدّاً!.. أنتما بجانبها تبدوان كالطفلين الصغيرين!

(رافدة): وأنتِ بجانبها تبدين كماذا؟

(عوراء) بلا اكتراث: كلامك لن يجرحني يا بدوية

(رافدة) لـ (كُميت): هل سنلحق بها فعلاً؟

(كُميت): في الوقت الحالي لا خيار أمامنا سوى مجاراة قدرنا حتى نخرج بسلام

(عوراء): ماذا عن (زمجد)؟.. هل سنرحل قبل أن يعود؟

(رافدة): الفارسي الأزرق يمكنه أن يجدك بسهولة لا تقلقي

(كُميت): لنتحرك إذاً ونتوارَ عن الأنظار حتى تغيب الشمس ونتوجه للمكان الذي أخبرتنا عنه السيدة (أنهار)

(رافدة) بسخرية: سيدة؟.. لمَ هذا التبجيل لتلك الفارسية؟

(كُميت) متجاهلة (رافدة) موجهة كلامها لـ (عوراء): هيا اتبعيني وكوني بقربي ولا تبتعدي عني

خرج الثلاث من الزقاق وسرن بين المنازل الطينية محاولات تفادي النظر في وجوه الناس حتى وصلن لزقاقٍ آخر ودخلنه وبقين فيه حتى بدأت الشمس بالمغيب.

(كُميت) وهي تطل للخارج من وسط الزقاق: الوقت مناسب الآن للتحرك نحو الفتحة

(رافدة): هل سنرحل قبل أن نبتاع لأنفسنا أسلحة ودابة أخرى كما كان الاتفاق؟

(عوراء) بتجهم: ولا تنسيا أنكما وعدتماني بملابس جديدة أيضاً!.. هذه الخيمة تشعرني بالحكة على الدوام!

(كُميت) تخطو للخارج بحذر: يمكننا أن نجد كل هذا في مدينة أخرى.. هيا اتبعاني

وصلت المجموعة لنهاية طرف المدينة الشرقي ورأين أن السور مكتمل

ولا يوجد به أي فتحة فقالت (رافدة) متهكمة: أين الفتحة التي قالت عنها سيدتك؟

(كُميت) وهي تسير بمحاذاة الجدار الطيني الشاهق ماسحة عليه بأناملها: لا بد أن تكون هنا..

(عوراء) ملتفتة خلفها: أعتقد أني أسمع أحدًا يقترب منا

(رافدة): لا يمكننا البقاء هنا أكثر.. من الواضح أن تلك المرأة خدعتنا

قبل أن ترد (كُميت) على أختها بدأ جزء من جدار السور الطيني بالتشقق بجانبهن ليتهاوى جزء منه كاشفاً عن الصحراء المفتوحة بالخارج فقالت الحجازية: أعتقد أن هذا هو الطريق

(رافدة) وهي تسمع الأصوات من حولهن في التعالي: سواء كان هو أو غيره فلا خيار أمامنا سواه

جرت الثلاث نحو الفتحة الجدارية الحديثة وخرجن من خلالها للخارج وما أن تجاوزنها حتى بدأت قطع الطين والحجارة التي تساقطت بالتحرك والارتفاع لتسد الفتحة مرة أخرى وكأن شيئاً لم يحدث.

(عوراء) بتعجب: من فعل ذلك؟

(رافدة): أمر غريب

(كُميت): لا يهم.. لنتوجه لتلك التلة ونختبئ خلفها

جرت (كُميت) و(رافدة) نحو التلة لكن (عوراء) لم تلحق بهما وقالت: أنا سأنتظر (زمجد)..

(رافدة) تلوح بيدها لها وبصوتٍ غاضب مكبوت: لا تكوني حمقاء واتبعينا قبل أن يرانا أحد!

(عوراء) عاقدة أذرعها: لا!.. سأنتظره هنا!

(كُميت) تتوقف وتقول لـ (رافدة): أكملي أنتِ السير نحو التلة وأنا سأعود وأحضرها

(رافدة) مشيرة نحو (عوراء) وبأعين مفزوعة: من هذا؟!

وجهت (كُميت) نظرها حيث كانت أختها تشير لترى رجلاً ضخماً يقف خلف (عوراء) يحمل على ظهره سيفاً كبيراً بنصلٍ عريض جدّاً فنزلت على ركبتها بسرعة وشدت سهماً على قوسها صارخة فيها قائلة: انزلي على الأرض!

(عوراء) بتعجب دون أن تنتبه للرجل خلفها: ماذا؟.. لا لن أنزل؟

أطبق الرجل على فم (عوراء) بيد وباليد الأخرى سل سيفه الكبير ووضع حد النصل عند خدها وهو يقول: أين العرجاء؟

بدأت (عوراء) بمحاولة الصراخ والتفلت من ذلك الرجل لكنه شد من قبضته عليها أكثر بيده التي وشم عليها ثماني نجوم وقال: لا تتحركي وإلا أرقت دمك على الرمال!

(رافدة) بقلق وتوتر لـ (كُميت) التي لا تزال موجهة لنصل سهمها نحو المتنور: ما العمل الآن؟!.. كيف سنخلصها منه؟!

(كُميت) مغمضة إحدى عينيها محاولة التركيز: أحتاج أن أصيبه بين عينيه فقط لأمنحها فرصة للهرب

(رافدة) بقلق خلال سحب سيفها من غمده: لا أظن أن تلك الحمقاء ستفهم وتجري في الوقت المناسب

(كُميت) وهي على حالها من التأهب للإطلاق: إذا كان لديك حل آخر فقوليه الآن قبل أن أطلق السهم!

صرخ المتنور فيهما قائلاً: أنزلا أسلحتكما وإلا..!!

بدأت (عوراء) تتنفس بتسارع شديد وكأنها تدخل نوبة من الهلع وقبل أن ينتبه إليها المتنور أحس بضربة قوية على عنقه من الخلف أسقطته أرضاً محررة (عوراء) التي وقفت في حالة من الذهول والصدمة دون أن تلتفت خلفها فصرخت فيها (رافدة): اجري نحونا يا غبية!

همت الصبية بالجري لكن المتنور قبض على قدمها الحافية قائلاً: إلى أين؟!

سقطت (عوراء) على الأرض والمتنور لا يزال قابضاً عليها وهي تصرخ وتستنجد فقام بسحبها نحوه لكنه وقبل أن يتمكن منها وجد سهم (كُميت) يخترق عينه اليسرى ليصرخ مفلتاً قدمها لتنهض وتجري نحو أختيها وتتعثر مرتين خلال جريها نحوهما قبل أن تصل لأحضان (رافدة)

(كُميت) تشد سهماً آخر على قوسها قائلة: اهربا من هنا على الفور!

(رافدة) وهي محتضنة لـ (عوراء): لكن..

(كُميت) تلتفت نحوها صارخة: هيا لا تضيعي الوقت!!

قبل أن تجري البدوية مع الصبية تعرضت الحجازية للطمة قوية

حطمت قوسها ورمت بها بعيداً فرفعت (رافدة) نظرها لتشاهد المتنور الضخم يقف فوقها ممسكاً سيفه الضخم والسهم لا يزال مركوزاً في عينه يتنفس بثقل ويقول غاضباً:

«ستدفعن ثمن ما فعلتنه!»

دفعت (رافدة) بـ (عوراء) جانباً على الرمال ووجهت سيفها نحو المتنور لتطعنه لكنه حطمه بضربة واحدة من سيفه الضخم أتبعها بنطحة بجبينه على صدرها أوقعتها أرضاً. قبض المتنور على مقبض سلاحه ورفعه فوق رأسه استعداداً لإنزاله على (رافدة) لكنه بدأ ينتفض وكأنه أصيب بصعقة وصوت من خلفه يقول: «دع الصغيرات وواجهني أنا..»

وجه الجميع أنظارهم نحو مصدر الصوت بمن فيهم المتنور ليروا (أنهار) تلقي بحقيبتها الجلدية جانباً ثم تضع راحة كفها الأيسر على معصمها الأيمن مبتسمة و(دوسر) يقف بجانبها يشد جزءاً من ملابسها بوجه خائف.

(المتنور) محاولاً النظر لأقدام (أنهار): هل أنتِ العرجاء؟

(أنهار) تسحب كفها الأيسر عبر ذراعها الأيمن مروراً بزندها: ابتعد يا (دوسر)..

جرى الصغير بعيداً عن خالته فجرت (عوراء) نحوه ولحقت به..

خرج من كف (أنهار) ما يشبه الحمم البركانية المتدفقة كالشلال وجهتها مباشرة نحو المتنور الذي احتمى بسيفه الكبير لكنه ومع ذلك أصيب بالحروق في بعض أجزاء جسده مما دفعه للجري نحوها محاولاً الانقضاض عليها فما كان منها إلا أن وضعت كفوفها على أكتافها مغمضة عينيها وبدأت بتمتمة بعض الكلمات ليتشكل أمامها سبعة سباع بيضاء كبيرة انطلقت جرياً نحو المتنور وهي تزأر بوحشية واشتبكت معه. قاوم المتنور السباع وقتلها جميعاً لكنها تسببت له ببعض الجروح المتفرقة في ظهره وبطنه وقبل أن يستعيد تركيزه صفقت (أنهار) كفيها بعضهما ببعض لتنشق الأرض من تحته ويخرج منها مجموعة من السلاسل التي قيدته وسحبت سلاحه من قبضته ورمت به بعيداً. بدأت (أنهار) بالسير ببطء نحو المتنور المقيد وهو يصرخ غاضباً ومتوعداً وعندما وقفت أمامه قالت بهدوء بالفارسية:

«چرا مى خواهى دختران را بكشيد؟»

(المتنور) بتعجب والعرق يتصبب من جبينه:

«آيا شما زبان ما صحبت مى كنيد؟.. پس چرا مى خواى منو بكشى؟»

ابتسمت (أنهار) ورفعت سبابتها لتشتد معها قبضة السلاسل على جسد المتنور وتقطعه إرباً..

في ذلك الوقت كانت (رافدة) قد وصلت لـ (كُميت) للاطمئنان عليها ووجدت أن إصابتها لم تكن بليغة لكنها كانت في حالة تشوش وقالت: ماذا حدث؟

(رافدة) وهي تعاونها على الوقوف: سيدتك أتت لنجدتنا

(كُميت) تفك اللثام عن وجهها لتأخذ نفساً: سيدتي من؟

حركت (أنهار) كفها بشكل دائري ودفنت ما تبقى من جثة المتنور تحت كومة من الرمال وكأن شيئاً لم يكن. حملت بعدها حقيبتها الجلدية على كتفها ثم أشارت لـ (دوسر) بالعودة إليها وقد كان وقتها مع (عوراء) المحتضنة له خوفاً عليه فسارت معه الصبية حتى وصلت إليها وقالت: لا تقلقي فهو لم يُصَبْ بأي أذى

(أنهار) مبتسمة: شكراً لحمايته يا (عوراء)

(عوراء) بسعادة: هذا من دواعي سروري!.. (دوسر) أصبح أخي الآن!

(دوسر): كنت أظن أني صديقك فقط

(عوراء) تلف ذراعها على عنقه ضاحكة: أريدك أن تكون أخي!

(دوسر) فرحاً: وأنا أيضاً!

راقبتهما (أنهار) مبتسمة لكن ابتسامتها ذابت عندما وجهت نظرها لـ (رافدة) و(كُميت) الواقفتين على بعد منهم وقالت: هيا لنذهب لأختيك يا (عوراء)..

سارت (أنهار) ومن خلفها (عوراء) وهي ممسكة بيد (دوسر) وعندما رأتها البدوية مقبلة عليهما قالت لأختها: ماذا تنوين أن تفعلي معها؟

(كُميت) مغطية وجهها بلثامها سائرة نحو (أنهار): سأشكرها بالطبع..

توقفت الساحرة الفارسية عندما رأت أن (كُميت) تتقدم نحوها لكن (عوراء) و(دوسر) استمرا بالسير متجاوزيها حتى وصلا لـ (رافدة) التي احتضنتهما وهي تقول: هل أنتما بخير؟

(كُميت) بعد ما وقفت أمام (أنهار): شكراً لكِ لإنقاذ حياتنا مرة أخرى

(أنهار): لقد أخرت يوم مماتكن فقط.. الموت مصير الجميع ولا يمكن لأحد إنقاذكن منه

(كُميت): في كل الأحوال نحن ممتنات لكِ

(أنهار) مبتسمة: لا داعي لذلك.. أكره أن أرى الظلم يقع على أحد

(دوسر) يعود لخالته ويشد لباسها: هل سنبقى هنا يا خالة؟

(أنهار): لا.. يجب أن نرحل من المدينة كي لا يصاب أحد بالأذى

(دوسر): لكنك قوية وتستطيعين حمايتنا

(أنهار) ماسحة على رأسه مبتسمة: لم أكن أتحدث عنا..

(رافدة) تسير وتقف بجانبهما مشاركة في الحديث قائلة لـ (كُميت): ونحن أيضاً يجب أن نرحل وبأسرع وقت

(أنهار): وكيف ستسافرن بلا دواب؟.. والمدينة الآن بلا شك في حالة استنفار بحثاً عنكن وعندما يجدون جثث حراس السوق ستلتصق بكن التهمة لا محالة

(رافدة) بحماس وكأنها تستذكر أمراً هامّاً: ماذا عن لشـ..

(أنهار) رافعة كفها بسرعة خاطفة مقاطعة حديثها: ماذا عن ماذا؟

(رافدة) وملامحها تتحول للحيرة: نسيت.. كنت أريد أن أسأل عن أمر هام لكني نسيته فجأة

(أنهار) منزلة كفها بهدوء: لم تجبنني.. كيف ستسافرن بلا دواب؟

(كُميت): سنتصرف.. لا تشغلي بالك

(أنهار): إلى أين أنتن متجهات؟

(رافدة): لا نعلم بعد..

(عوراء) مشاركة في الحديث: كيف لا نعلم؟.. ألم تقولي بأننا سنقتل (الماران)

(كُميت) وهي تسد فم (عوراء) بكفها باسمة: بلى! بلى!.. الفئران

(أنهار): الماران؟.. زعيم اليعاقبة؟.. ما الخصومة التي بينكن وبينه لتحاولن قتله؟

(رافدة): سؤال غريب لا يصدر إلا من شخص لا يملك عروبة!

(كُميت): لا تكوني فظة!

(رافدة): أنا لم أقل غير الحقيقة

(كُميت) لـ(عوراء): اذهبي والعبي مع (دوسر) بعيداً حتى ننتهي من الحديث

(عوراء): لماذا؟.. أريد أن أسمع

(كُميت): اذهبي يا (عوراء) ولا تجادليني!

(عوراء) بعبوس: حسناً!.. تعال يا (دوسر)

رحلت الصبية والصبي بعيداً يلعبان في الرمال..

(أنهار) مستأنفة حديثها مع (رافدة) بهدوء: اليعاقبة أقوى بكثير منكن.. العرب يجب أن يفكروا بعقد سلام مع الماران وينهوا كل هذه الصراعات؟

(رافدة) بتجهم: لا صلح ولا سلام مع سحرة أرض كنعان وقبيلتي تأتي أولاً..

(أنهار): قبيلتك؟.. ومن هم قبيلتك؟

(رافدة): قبائل العرب كلها قبيلة واحدة الآن!

(أنهار) بنبرة ساخرة: وستعودون للاقتتال فيما بينكم لاحقاً كالعادة.. فهمت

(رافدة): شيء لم تفهمْه ولن تفهمه فارسية مثلكِ

(أنهار) متجاهلة استفزاز (رافدة) لها وموجهة حديثها لـ (كُميت): هل تحتجن مساعدة؟

(كُميت): في ماذا؟

(أنهار) بتهكم وهي تنظر لـ (رافدة): في قتل الفئران..

(رافدة) بعبوس: لا، شكراً!.. يمكننا تدبير شؤوننا بأنفسنا!

(أنهار): أستطيع أن أكون عوناً لكن

(رافدة): لمَ تصرين على عرض خدماتك علينا بلا مقابل.. نحن ممتنات لما قمتِ به مع المتنور لكن لا تقحمي نفسك علينا!

(أنهار): من قال إنها ستكون بلا مقابل؟

(كُميت): نحن لا نملك شيئًا نقدمه لكِ.. حتى جوادنا الوحيد فقدناه

(رافدة) مستذكرة: نعم صحيح!.. أين (الشيم)؟!.. لقد قلتِ بأنكِ ستجلبينه معكِ!

(أنهار) بوجهٍ مستاء من تذكر البدوية دابتها: لم أجده.. يبدو أن أحداً قام بسرقته

(رافدة) صارخة: ماذا؟!.. يجب أن نعود ونبحث عنه!

(أنهار): المدينة ليست آمنة الآن ولا يمكن لأي منا العودة إليها في الوقت الحالي

(رافدة) بعصبية: لن أرحل بدونه!

(كُميت) لأختها الغاضبة: لا تكوني حمقاء!.. السيدة (أنهار) معها حق

(رافدة): لا شأن لي بما تقوله سيدتك!.. سوف أعود وأبحث عنه وحدي إذا لم تأتي معي!

(كُميت) محاولة تهدئتها: بالطبع سآتي معكِ

(رافدة) بعصبية: هيا بنا إذاً ماذا ننتظر؟!.. وأحضري (عوراء) معنا ولا تتركيها هنا!

همت (رافدة) بالسير عائدة نحو سور «هجر» لكن ما أن مرت بجانب (أنهار) حتى أحست بثقل عظيم يعتلي أكتافها أجبرها على النزول على ركبتيها. جرت (كُميت) نحو أختها وجلست بجانبها وهي تقول بقلق شديد: ما بكِ؟!

(رافدة) واضعة يدها على صدرها: أشعر بالاختناق

(كُميت): هدئي من روعك وحاولي التقاط أنفاسك!

(رافدة) باحثة عن الأنفاس: أشعر بأني سأموت!

كان ذلك يحدث و(أنهار) تتأمل في (دوسر) و(عوراء) وهما يلعبان دون إظهار أي تفاعل أو اهتمام لحالة البدوية..

تجاوزت (رافدة) نوبة التعب لكنها لم تتمكن من الوقوف على أقدامها فبقيت (كميت) بجانبها تمسح على صدرها بقلق فقالت (أنهار) دون أن تلتفت إليهما:

«سأعينكن على التصدي للهجمات التي تتعرضن لها فمن الواضح أن من هاجمكن اليوم لم يكن الأول ولن يكون الأخير.. لكن هناك أمر ما يشغلني وهو كيف تعاملتن مع الهجمات السابقة؟»

(كُميت) وهي منشغلة بأختها المتعبة: لا نعرف..

(أنهار) مديرة رأسها نحوهما: كيف لا تعرفن؟

(رافدة) تتنفس بصعوبة قائلة: لمَ تسألين؟!.. ما شأنكِ أنتِ؟!

(أنهار): أخبرتك يا شابة.. أريد مساعدتكن

(كُميت): مساعدتنا في ماذا تحديداً؟

(أنهار): في مسعاكن الذي دفع (الطائفة الجنتية) لمطاردتكن.. هل تظننّ أني لم أعرف هوية من هاجمكن وانتماءَه؟.. هؤلاء القوم لا يطاردون مجموعة بسيطة من الفتيات دون سبب ولا يرسلون قاتلاً بهذه الرتبة إلا إذا فشل من قبله وهم غالباً أقل منه تصنيفاً.. أنا مطاردة من قبلهم

منذ وقتٍ طويل فقط لأني قتلت أحدهم خلال خلافٍ عابر تسبب به هو ومع ذلك لا يزالون يحاولون الانتقام مني إلى هذا اليوم.. المتنورون لا ينسون ثأرهم مهما طال الزمن

تبادلت الأختان النظرات بصمت ولم ترد أيٌّ منهما عليها..

(أنهار) معيدة نظرها للأفق: لم أرَ صغيري (دوسر) من قبل بهذه السعادة.. أختكما الصغيرة منسجمة بصحبته وأريدها أن تبقى معه

(رافدة) بتجهم: أختنا ليست جارية للبيع يا فارسية!

(أنهار) وعينها على (عوراء) وبنبرة مشبعة بالحزن: لا هي ولا غيرها يستحق أن يباع ويشترى.. كل ما أريده هو بقاؤُكن معي لفترة وجيزة لمساعدتي في أمرٍ ما

(رافدة) وهي تحاول الوقوف لكنها تعجز عن ذلك: لا تبدين كشخص يحتاج المساعدة من أي أحد

(أنهار): بعض الأمور لا يمكن الحصول عليها بالقوة فقط..

حاولت (رافدة) النهوض مرة أخرى لكن سيقانها لم تستجب لها فضربت بسخط بقبضتيها على أفخاذها وقالت بعصبية شديدة: ما بها أرجلي؟!

(كُميت) لـ (أنهار): نحن في رحلة لقتل شخص يلقب بـ (الماران).. هل تعرفينه؟

(أنهار) مبتسمة: كاهن أرض كنعان..

(كُميت): هو بعينه

(أنهار) ضاحكة: أنتنّ لستنّ بفتيات عاديات!

(رافدة): هذا هو الثمن..

(أنهار) محدثة نفسها بصوت مسموع لهما: ولذلك تطاردكن الطائفة الجنتية.. إذاً فـ (الماران) على علمٍ بنيتكن ويحاول ردعكن.. لكني ما زلت لا أرى الخطر الذي تشكلنه كي يشحذ لكن كاهن كنعان مثل هذه القوة لتصفيتكن.. أي مجموعة من جنوده المنتشرين في «عربستان» يمكنها تولي تلك المهمة.. الأمر لا يستدعي الاستعانة بالمتنورين أبداً.. ما الذي تخفينه علي؟

(رافدة): لا تحققي معنا وأعطينا إجابة.. هل تستطيعين مساعدتنا في محاولة قتله أم لا؟

(أنهار) ببرود ونبرة واثقة: أنا لن أحاول.. أنا سأقدم رأسه لكما إذا وافقتما على مرافقتي حتى أحقق مسعاي الخاص بي

(كُميت): وما هو مسعاك هذا؟

(أنهار): لا تشغلا بالكما بالتفاصيل في الوقت الراهن.. هل نحن متفقات؟

نظرت (كُميت) لـ (رافدة) بنظرة «ما رأيك؟» فأومأت لها وهزت رأسها بالموافقة..

(أنهار) تنفخ تجاه (رافدة): هيا بنا إذاً.. لنرحل من هنا

احست (رافدة) فجأة بزوال الثقل عنها وتحررت سيقانها لتتمكن من الوقوف وهي متعجبة مما يحدث..

(أنهار) منادية على (دوسر): .. «(دوسر)!.. بيا اينجا!»

جرى (دوسر) ومن خلفه (عوراء) الضاحكة وعند وقوفهما أمام (أنهار) قالت الصبية مبتهجة: (دوسر) صبي شقي يا خالة (أنهار)!

(أنهار) واضعة كفها خلف رأس الصبي الصغير ضاغطة وجهه لبطنها وبنبرة سعيدة: إنه فقط مسرور لوجودكِ معه وسيسر أكثر عندما يعلم بأنكِ ستسافرين معنا

(دوسر) رافعاً وجهه الصغير نحو خالته: حقّاً!

(أنهار) ماسحة على رأسه مبتسمة: نعم.. سترافقنا (عوراء)

(عوراء) لأختيها بحماس: هل حقّاً ماتقوله الخالة (أنهار)؟!

(كُميت) ببرود: نعم صحيح.. لقد كانت مصرة على أن تكوني مع (دوسر)

(عوارء) تندفع وتعانق (أنهار): شكراً يا خالة!

في تلك اللحظة فتحت (أنهار) فمها واتسعت عيناها وكأنها أحست بألم في صدرها أو أصيبت بضربة في بطنها وبقيت على هذه الحالة حتى فكت (عوراء) عناقها وسحبت (دوسر) من ذراعه وعانقته هو الآخر. بقيت (أنهار) تحدق بالصبية المعانقة لـ (دوسر) بذهول وهي تتنفس بثقل وعلى محياها ظهرت معالم الرهبة والجزع. لاحظت الفتاتان ما حدث لها فقامت (رافدة) بوكز (كُميت) بطرف كوعها فقالت الحجازية بصوت خفيض ونظرها على الفارسية المرهقة:

«نعم.. نعم.. رأيت ما حدث..»

مسحت (أنهار) بعض اللعاب الذي سال من زاوية فمها على ذقنها ونصبت قامتها التي انحنت مما حدث للتو وقالت بصوت مرتبك: هيا لنرحل..

(رافدة): نرحل إلى أين؟.. هل نسيتِ أننا لا نملك أي دواب؟

(كُميت): هل سنسير على أقدامنا في الصحراء؟.. نحن مجردات من السلاح

(أنهار) تمسح شعر غرتها الذي تبعثر وتهذب هندامها: لا حاجة لنا بالدواب أو السلاح

(رافدة): كيف لا نحتاجها؟.. الصحراء مكان خطر خصوصاً في الليل

(دوسر) بحماس: الخالة (أنهار) يمكنها الطيران!

(عوراء) بتعجب: حقّاً؟!

(دوسر): نعم!.. نحن نطير على الدوام من مكان لمكان!.. أخبريهن يا خالة!

(رافدة): أنتِ ساحرة إذاً

(أنهار): ألم يتضح ذلك مما حدث مع من هاجمكن؟.. هل لديك مشكلة مع الساحرات؟

صمتت (رافدة) ولم ترد وبقيت تحدق في (أنهار) بريبة..

(أنهار): ابقين هنا حتى أعود

(كُميت): إلى أين ستذهبين؟

(أنهار) مشيرة لتلة قريبة: للصلاة..

(عوراء): الصلاة؟

(أنهار): نعم.. هل تريدين مشاركتي الصلاة مع (دوسر)؟

(عوراء) بحماس: نعم!

(أنهار) تسير نحو التلة: اتبعاني إذاً

شدت (عوراء) يد (دوسر) وتبعت (أنهار) المتجهة نحو التلة الرملية..

(رافدة) لـ (كُميت) وهي تراقبهم يبتعدون: ما زلت أجد صعوبة في تصديق أن ساحرة متمكنة مثلها بحاجة لنا

(كُميت) تشاركها النظر: لمَ الاستغراب؟.. ألم تكن القائدة بحاجتنا؟

(رافدة) ملتفتة نحوها: هل نسيتِ أم تتناسين؟.. جميعنا أتينا معها بالتوسل إليها أو الإصرار عليها و(زمجد) أُهدي لها رغماً عنها.. الساحرات لا يحببن الرفقة

(كُميت): إلا إذا كنَّ ينوين تشكيل عصبة

(رافدة): وهل ترين أننا نملك مقومات تجعلنا جذابات ليتم ضمنا لأي عصبة وخصوصاً عصبة ساحرة؟.. لا.. الأمر مختلف

(كُميت): ماذا تريد هذه الغريبة منا إذاً؟

(رافدة) وهي تشاهد (أنهار) في الأفق تجلس على ركبتيها وتطلب من الصغيرين أن يجلسا بجانبها: لا أعرف لكنها صادقة في أمر واحد فقط..

(كُميت): ما هو؟

(رافدة): أننا بحاجة لحمايتها.. في الوقت الراهن على الأقل.. لو تعرضنا لأي هجوم من أبسط متنور فسنلاقي حتفنا بلا شك

(كُميت): سنبقى معها إذاً حتى نتخلص من الماران ومن مطاردة المتنورين

(رافدة): نعم ولنرى ماذا تضمر لنا.. خيرًا كان أم شرّاً فلنكن حذرات منها على الدوام.

# واحة الأيتام

بقيت الأختان تراقبان (أنهار) التي أشعلت ناراً أمامها ثم أخرجت سبحة خشبية من حقيبتها الجلدية وضمت كفيها بعضهما ببعض مغمضة عينيها وبدأت تتمتم وتهمس بينما كانت (عوراء) و(دوسر) يحاولان تقليدها. بعد فترة قصيرة انتهت الفارسية من طقوسها ونهضت وبدأت بالسير عائدة نحوهما والصغيران يتبعانها.

(رافدة) بعد ما وصلوا عندهما: هل انتهيتِ؟

(أنهار): «بلى..»

(رافدة): ماذا؟

(أنهار) باسطة ذراعيها جانباً: الآن.. ليمسك كل منا بيد الآخر وشكلوا حلقة

(رافدة) بتهكم: لماذا؟.. هل سنلعب لعبة؟

(عوراء) ممسكة بيد (دوسر): أنا أحب الألعاب؟!

(دوسر) والذي بدوره أمسك بيد (أنهار) متحمساً: لا لا.. سوف نطير الآن!

(أنهار) تمد يدها لـ (كُميت) بصمت..

أمسكت الحجازية بيد الفارسية بيد وباليد الأخرى أمسكت يد (رافدة) التي أغلقت الدائرة بالإمساك بيد (عوراء) ثم قالت: ماذا الآن؟

(أنهار): أغمضوا أعينكم ولا تفتحوها حتى أقول لكم

أغمض الجميع أعينهم بصمت عدا (رافدة) التي كانت تزفر متذمرة..

بعد عدة ثوانٍ سمع الجميع (أنهار) وهي تقول: يمكنكم فتحها الآن

فتح الجميع أعينهم ليجدوا أنفسهم في غابة بأشجار نخيل شاهقة وصوت الكائنات الليلية من طيور وحشرات يزن ويطن حولهم فقالت (كُميت): أين نحن؟

(أنهار) ماسحة كفّيها بعضهما ببعض مشعلة ناراً أمامها: سنبيت هنا الليلة

(عوراء) محتضنة (دوسر): المكان مخيف

(رافدة): كيف وصلنا إلى هنا؟

(أنهار) وهي تجلس أمام النار: طلسم الانتقال..

(رافدة): طلسم ماذا؟

(أنهار): أنصحك بعدم السؤال كثيراً خلال رحلتنا لأنكِ سترين الكثير من الأمور التي ستفوق معرفتك وفهمك

(رافدة) بتجهم: أنا لست غبية ومن حقي أن أعرف كل شيء يدور حولي!

(كُميت) تشد على ساعد (رافدة) قائلة: هذا ليس وقته!

تجاهلت (أنهار) حديث البدوية الغاضب وأشارت باسمة لـ (دوسر) و(عوراء) بالجلوس بجانبها..

(كُميت) لـ (رافدة) وهي تمسك يدها بهدوء: هيا لنجلس أمام النار

سحبت (رافدة) يدها بغضب مكبوت وجلست أمام (أنهار) مباشرة وألسنة النار المشتعلة تتراقص بينهما وبقيت تحدق بها وتتبادل النظرات معها بعبوس لكن الفارسية تجاهلتها وأخذت تداعب وتلاعب الصبي

والصبية وتمازحهما ضاحكة. جلست (كُميت) بجانب أختها الغاضبة واضعة كفها على كتفها ثم هزته برفق في إشارة لها بأن تهدئ من توترها لكن البدوية لم تزح نظرها عن الفارسية وقالت لها: ماذا الآن؟.. هل يمكن أن تتفضلي علينا بشرح سبب وجودنا في هذا المكان الموحش؟

(أنهار) واضعة كفها على رأس (دوسر) محدقة فيه باسمة ومحدثة نفسها بصوت مسموع للجميع:

«لقد طلبت مني تحقيق حلمها.. حلم أبيها (آشور).. لكني لم أقوَ على ذلك.. أخبرتها بأني لن أستطيع لكنها أصرت عليّ بقولها: «ستنجحين يا هجينة.. ستحققين حلمي وحلمنا جميعاً».. لسوء حظك يا خالة ساحرتك الهجينة كان لها أحلامها الخاصة ومن ضمنها أن لا تغدر بشعب أمها..»

(دوسر): الخالة (أفسار) البغيضة التي تأتيك خلال منامك وتجعلك تبكين؟

(أنهار) باسمة بحزن: نعم يا عزيزي

(دوسر) متجهماً: أكرهها لأنكِ تبكين عندما تزورك!

(كُميت): عمن تتحدثين؟

(أنهار) مديرة نظرها نحو (رافدة) و(كُميت): من سلبتني حياتي في الماضي.. أدركت متأخراً أنها كانت أسوأ شيء حدث في حياتي.. بسببها.. فقدت ابتسامتي.. وخسرت كرامتي.. ولم يبقَ سوى سخطي.. سخطي عليها وعلى كل ما تؤمن به بالرغم من أنها هي من علمتني كل شيء أعرفه الآن لكن ومع ذلك لن أسامحها أبداً

(رافدة): أنتِ تدركين أننا لا نفهم شيئاً من حديثك..

ابتسمت (أنهار) وأخذت رأس (دوسر) ووضعته على فخذها الأيمن وهي متربعة أمام النار وطلبت من (عوراء) أن تفعل المثل على فخذها الأيسر وعندما استلقيا على ذلك الوضع وأعينها تحدق بالنار المشتعلة مسحت بيديها على وجوههما ليغطا مباشرة في نومٍ عميق ثم قالت: يمكننا الحديث بأريحية الآن.

(كُميت): وما نوع الحديث الذي لا تريدين منهما سماعه؟

(أنهار): الأطفال في عمرهما يجب أن لا يسمعوا كل شيء.. لا أريد سلبهما طفولتهما قبل أوانها.. الذين يفقدون آباءَهم وهم بعمرٍ صغير يصابون بشيء في عقولهم

(كُميت): هل تقصدين أنهم مجانين؟

(أنهار) مبتسمة: لا لم أقصد ذلك لكن..

(رافدة): ماذا يعني كلامك هذا إذاً؟

(أنهار): أعني أنهم يصابون بشيء من.. بشيء من الخلل.. وهم لا يحتاجون سماع المزيد من المآسي

(رافدة): هذا الصبي ليس ابنك.. أليس كذلك؟

(أنهار): لم أحمله في بطني لكني حملته على ظهري..

(رافدة): سرقتِه من أهله؟

(أنهار): الموت سرقهم منه قبل ذلك.. (دوسر) يتيم مثلي وكان يعيش حياة صعبة جدّاً عندما وجدته وقد انتزعته من أحضان تلك الحياة القاسية قبل أن تفعل به ما فعلته بي

(كُميت): الأيتام كُثر.. لمَ وقع اختياركِ عليه هو بالذات؟

(أنهار) موجهة نظرها لـ (دوسر) الغارق في النوم بفم مفتوح مبتسمة: هو من اختارني وليس العكس..

شعرت الأختان بعدم الارتياح وهما تشاهدان (أنهار) تمسح على رأس

(دوسر) المستند على حجرها أمام النار بطريقة عبرت عن هوسها به وهي تقول:

«هو النور الذي أشرق في ظلمة حياتي وأنا سعيدة لأن الأقدار أتت به وجلبته لي وها هي الآن تأتي بالجميلة (عوراء) أيضاً لتشاركنا حياتنا.. هي يتيمة أيضاً ودخلت قلوبنا دون استئذان..»

(رافدة) بتجهم: أخبرتكِ سابقاً بأنها ليست جارية لتأخذيها معكِ

(أنهار) رافعة رأسها وبأعين جادة تلمع مع ألسنة اللهب: ومن سيمنعني؟.. أنتِ؟

صمتت (رافدة) بوجهٍ محتقن لكنها لم ترد..

(كُميت) محاولة تغيير الموضوع قبل أن يحتدم النقاش أكثر: ألن تخبرينا ماذا تريدين منا مقابل مساعدتنا في قتل (الماران)؟

(أنهار): أنا أنوي العودة لـ «فارس».. فبالرغم من عشقي لأرض أمي إلا أن «ديلم» لا تزال تسكنني وأريد العودة إليها

(رافدة): وما الذي يمنعك؟.. عودي..

(أنهار): لا أستطيع العودة لـ «فارس» وهي لا تزال هناك.. سوف

تتعقبني وتعاقبني ولا شك بأنها ستقتلني لتخاذلي عن تنفيذ المهمة التي أوكلتها لي لذا يجب أن أقتلها أنا قبلها إن كنت أريد استعادة حياتي وخالتي ليست ساحرة هينة فالطلاسم التي علمتني إياها من السحر الأسود ما هي سوى غيضٍ من فيض علمها العميق ولهذا السبب بقيت في «عربستان» لسنوات أعمل على تقوية نفسي وصقل مهارتي لأكون مستعدة لمواجهتها وأتمكن من دحرها ودحر كل من قد يقف معها ويساعدها وغالباً سيكنَّ أخواتي

(كُميت): ألم تقولي بأنكِ يتيمة؟

(أنهار): أخواتي في العصبة.. لا بد وأنهنّ الآن من أقوى ساحرات «فارس» ومواجهة الخالة (أفسار) تعني مواجهتهنّ أيضاً لكن تراب «ديلم» يستحق مني المحاولة وسوف أنجح

(رافدة): أكره أن أحبط طموحك لكنني مع أختي لسنا مقاتلتين قويتين لهذا الحد وقد رأيتِ ذلك خلال مواجهتنا مع المتنور

(أنهار): لا أريد منكما القتال معي.. أريد شيئاً آخر.. مساعدتي في جمع آخر لبنات حصني المنيع ضد (أفسار بنت آشور).. سأريكما شيئاً

أزاحت (أنهار) رأس (دوسر) عن فخذها بهدوء ووضعته على الأرض برفق وبالمثل فعلت مع (عوراء) ثم نهضت من مكانها وأشارت للفتاتين بأن تتبعاها وسط الغابة الكثيفة.

(كُميت) تقف متسائلة: سنتركهما وحدَهما هنا أمام النار؟.. هل المكان آمن؟

لم ترد الساحرة الهجينة عليها واختفت خلف أشجار النخيل المتقاربة..

(رافدة) وهي لا تزال جالسة: هل سنلحق بها كما تريد؟

(كُميت) ونظرها للغابة الكثيفة المظلمة: وهل أمامنا خيار آخر؟

(رافدة) تنهض وتقف بجانب أختها وتشاركها النظر: حسناً لكن لنكن حذرتين منها فطريقة كلامها وعيناها خلال حديثها معنا تدل على أنها امرأة غير مستقرة

(كُميت) مبتسمة: تقصدين أنها مجنونة؟

(رافدة) تبدأ بالسير نحو الغابة: ليتها مجنونة فقط..

سارت الاثنتان بين جذوع النخيل شبه المتلاصقة وبسبب تقاربها لم يكن هناك الكثير من نور قمر السماء ينفذ إليهما ليوفر رؤية أفضل لكن

ومع ذلك استمرتا بالسير حتى خرجتا لبحيرة مستديرة لمع سطحها وتلألأ بسبب ضوء القمر شبه المكتمل ورأتا الساحرة الهجينة تقف عند طرفها تتأمل المنظر بهدوء. اقتربت الفتاتان ووقفتا خلفها صامتتين فبدأت (أنهار) بخلع ملابسها بالكامل وهما تراقبانها بتعجب وبعد ما رمت آخر قطعة على الأرض قفزت في الماء وأخذت تسبح على ظهرها متأملة النجوم.

(رافدة): هل رأيتِ جسدها؟.. إنه ممتلئ بالنُّدب والحروق بأشكالٍ وأحجامٍ مختلفة.... ذكرتني بجسد (عوراء)..

(كُميت): الماء بارد جدّاً في هذا الوقت من العام وغير ملائم للاستحمام

في تلك اللحظة أشارت (أنهار) لهما من وسط البحيرة بالانضمام إليها..

(رافدة): انظري.. إنها تطلب منا أن نعوم معها

(كُميت): هل سنعوم بملابسنا؟

(رافدة): ومن قال بأني سأفعل؟.. لا أظنني أستطيع ذلك

(كُميت): هل تخجلين منها أو مني؟

(رافدة) بتهكم: أنتِ بالكاد تظهرين وجهكِ فلا تتحدثي عن الخجل

(كُميت) وقد بدأت بخلع ملابسها: حسناً سنرى من منا يخجل من الآخر

(رافدة) ضاحكة: آه لو رأتك العمة الآن!

(كُميت) وهي تقفز في الماء بعد ما رمت بملابسها فوق ملابس (أنهار): بانتظارك يا بدوية!

ترددت (رافدة) بالانضمام إليهما وبقيت عند طرف البحيرة وهي تشاهد (كُميت) تعوم نحو الساحرة الهجينة التي توسطت سطح الماء.. وصلت الحجازية لـ (أنهار) ومسحت قطرات الماء من على وجهها وحدقت بأعينها المميزة كأعين القطط في الساحرة الهجينة التي قالت لها: «چشمان شما بسيار زيباست... به خصوص با مهتاب..»

(كُميت): ماذا تقولين؟

(أنهار) مبتسمة: عيناك جميلتان جدّاً.. خصوصاً مع ضوء القمر

(كُميت) مستدركة بابتسامة حزينة: عند ولادتي قالوا لأمي بأنه عيب في خلقتي

(أنهار): الخالق لا يخلق عيوباً.. فقط نحن من نعيب بأنفسنا حسب أهوائنا..

(كُميت): سهل على جميلة مثلك أن تقول مثل هذا الكلام

(أنهار) ماسحة بعض الماء بكفها من على شفتيها وهي تضحك: هل تعتقدين أني جميلة؟

(كُميت): هذه حقيقة جلية دون أن أقولها ولا تتظاهري بأنكِ لا تعرفين ذلك

(أنهار): سيبقى الجميل جميلاً وإن وجدنا ما هو أجمل.. وأنتِ جميلة يا (كُميت)

صمتت الحجازية خجلاً ولم ترد..

(أنهار) مستأنفة حديثها: هل تعرفين أن جمالي الذي تتحدثين عنه هو سبب شقائي.. لولاه لما وقع عليّ الاختيار وبقيت مكاني بدار الأيتام في «ديلم» أعيش بهدوء

(كُميت): النُّدب والحروق المنتشرة على جسدك هل هي جزء من هذا الشقاء؟

(أنهار) متجاهلة سؤال الحجازية ملتفتة إلى (رافدة) عند طرف البحيرة البعيد: لِمَ لم تأتِ أختك؟

(كُميت) تشاركها النظر قائلة: لا أعرف.. لعلها لا تريد السباحة في الماء البارد

(أنهار) معيدة نظرها لـ (كُميت) التي لا تزال تحدق في (رافدة): لكنك أنتِ أردتِ ذلك..

(كُميت) دون أن تحيد بنظرها عن أختها: نعم..

(أنهار): ما هي أحلامك؟

(كُميت) مديرة نظرها للساحرة الهجينة: ماذا؟

(أنهار): أحلامك.. ما هي؟

(كُميت): أنا أحلم بالسعادة فقط.. وأنتِ؟

(أنهار): أنا أبحث عنها ولا أحلم بها..

(كُميت): لن تجديها في هذه الواحة المخيفة بلا شك

ابتسمت الساحرة الهجينة ولم ترد وعوضاً عن ذلك دفعت بكفيها سطح الماء لترتطم موجة منه برقبة (كُميت) التي تفاجأت ضاحكة وقالت: ماذا تفعلين؟!

(أنهار) تشاركها الضحك قائلة: عيناك غريبتان!

(كُميت) مبتسمة ماسحة عينيها من الماء الذي دخلهما: نعم نعم أعرف لقد أقررت بذلك سابقاً

(أنهار): نادي على أختك.. يجب أن تدخل الماء معنا لنتحدث في أمرٍ هام

(كُميت) باستغراب: يجب؟.. لنعد نحن إليها ونتحدث معها هناك

(أنهار): لا.. سيسمعوننا لو تحدثنا في مكان آخر فهم لا يستطيعون استراق السمع هنا

(كُميت): عمن تتحدثين؟

(أنهار): اذهبي فقط وأقنعيها بأن تأتي.. ويجب ألا تدخل بملابسها وإلا فسيتمكنون من الإنصات إلى أحاديثنا

(كُميت) تهم بالعودة بوجهٍ متعجب: حسناً..

(رافدة) وهي جالسة تراقب أختها تعوم عائدة نحوها: ما الذي حدث بينهما كي تعود بهذه السرعة؟

عندما أصبحت (كُميت) عند مسافة قريبة من طرف البحيرة بحيث يكون صوتها مسموعاً لأختها نادت عليها قائلة: الفارسية تريدك أن تأتي..!

(رافدة): أخبريها بأني لا أريد السباحة

(كُميت): الماء ليس بذلك السوء وبرودته تزول بعد ما تغطسين فيه

(رافدة) ونظرها يوجه لـ (أنهار) البعيدة وسط البحيرة: هذا ليس السبب في عدم رغبتي في السباحة.. هذه المرأة غريبة ولا أريد أن أكون حولها كثيراً

(كُميت) مقتربة أكثر لطرف البحيرة: تقول بأنها تريد إخبارنا بشيء مهم ولا ترغب في التحدث دون أن تكوني موجودة.. وقالت أيضاً بأننا لا بد وأن نخلع ملابسنا قبل العوم وإلا فلن تتمكن من الحديث معنا

(رافدة): وهل صدقتِ كلامها؟.. هذه حيلة منها

(كُميت): حيلة لأي غرض؟

(رافدة): لا أعرف لكن الأمر مريب

(كُميت): ماذا أخبرها إذاً؟

(رافدة): قولي لها بأن أختي ليست حمقاء مثلي

(كُميت) بسخرية: تريدين مني أن أكذب؟

(رافدة) مبتسمة: لو ترين شكلك الآن بشعرك المبلول وعينيك ذواتي السواد الصغير فستعرفين أني على حق وأنكِ بالفعل حمقاء وأن هذه المجنونة ستقودك للتهلكة

(كُميت) تبادلها الابتسام: لا تتركي أختك الحمقاء إذاً وحدَها مع المرأة المجنونة

(رافدة) تقف وتبدأ بخلع ملابسها: لو اقتربت مني تلك الفارسية فسأصفعها

(كُميت) تهم بالعودة لوسط البحيرة باسمة: سنكون بانتظارك!

قبل أن تصل الحجازية لـ (أنهار) سمعت (رافدة) تصرخ فتوقفت عن العوم ونادت عليها: ما بكِ؟!.. ما الذي حدث؟!

(رافدة) صارخة فيها بعصبية: الماء كالصقيع!.. لقد خدعتني!

(كُميت) ضاحكة: ستعتادين عليه أعدك بذلك!

(أنهار) لـ (رافدة) بعد وصولها إليهما: سعيدة بأنكِ قررتِ الانضمام إلينا

(رافدة) بتهكم: المهم أن تكوني راضية يا سيدتي

ضحكت (كُميت) وهي تعصر الماء من أنفها بإبهامها وسبابتها وقالت: كفي عن ذلك!

(أنهار): أعرف أن ما طلبته منكما غريب لكنه كان ضرورياً كي لا يسمعونا

(رافدة): المسكينان غطا في نومٍ عميق بعد ما مسحتِ على وجوههما.. لم أرَ (عوراء) تشخر بهذا الشكل من قبل ولم يستدعِ الأمر هذا كله

(أنهار): أنا لا أعني (دوسر) و(عوراء).. بل أتحدث عن الجن القاطنين هنا

(كُميت) بتوتر: جن؟

(أنهار): نعم.. نحن في «واحة الجن» في «الصحراء الخاوية»

(رافدة) وأكتافها ترتجف: ولمَ جلبتِنا إلى هنا؟

(كُميت): لمَ ترتجفين؟.. هل أنتِ خائفة إلى هذا الحد

(رافدة): لا يا حمقاء.. أنا لم أعتدْ على برودة الماء كما قلتِ وسوف أصاب بالمرض بسببك!

(أنهار): الجن هنا لا يمكنهم الاقتراب من وسط البحيرة.. حدودهم تنتهي عند أطرافها ولهذا السبب هنا أنسب مكان للحديث وخلع ملابسكما كان ضروريًّا لمنع أي منهم من ركوب أكتافكما

(رافدة): الجزئية الأخيرة من حديثك ليست مقنعة لكن أكملي فالأمر برمته جنون

(أنهار): أخبرتكما أني أسعى لتقوية نفسي لمواجهة خالتي وأخواتي والطلاسم وحدَها ليست كافية حتى بعد ما تعلمت طلاسم غير التي لقنتها لي معلمتي الأولى والتي نقلتني لمرحلة تفوقت بها على الكثير من السحرة ومع ذلك ما زلت غير واثقة من قدرتي على الانتصار عليهنّ لذا سعيت للحصول على أمور أخرى

(كُميت): أمور مثل ماذا؟

(أنهار): قدرات إضافية لا يمكن الحصول عليها بالسحر أو الطلاسم.. وقد جلت «عربستان» كلها بحثاً عن كل ما يمكنه أن يزيد من قوتي ويعطيني اليد العليا في مواجهة ما أنا مقبلة عليه وقد حصرت مرادي في ثلاثة أشياء.. أحدها مدفون في هذه الواحة ولا أستطيع الحصول عليه إلا بمساعدتكما.. هل فهمتما؟

(رافدة) وهي تعقد شعرها الطويل بقبضتيها وتعصره: إذا كانت القطة الحجازية فهمت فأنا فهمت

(كُميت) لـ (أنهار) باهتمام: وما هو الشيء المدفون هنا ولمَ لا تخرجينه أنتِ بنفسك؟

(أنهار): القناع الذهبي.. قناع (أديس) ابنة الشيطان الأسير.. لا شك بأنكما تعرفانها

(رافدة) بسخرية: نعم لقد تناولنا معها العشاء قبل عدة أشهر

تجهمت (أنهار) من طريقة البدوية الساخرة في الحديث فقالت (كُميت) لها بشيء من العتب: كوني جادة!

(رافدة) متهكمة بلا اكتراث: ألا تسمعينها؟.. أي عاقل يصدق مثل هذا الكلام؟

(كُميت): أعتقد أننا رأينا مع العمة ما يكفي لتصديق مثل هذا الأمر.. هل نسيتِ الوشق؟

(رافدة) مستذكرة: وكيف أنسى ذلك الشيطان اللعين الذي لم ينهِ قصته وعلقني بين الأرض والسماء

(أنهار): هل ترغبين في سماع قصة أخرى؟.. وأعدك أن لها نهاية

(رافدة) وهي تمسح على زنديها من البرد: هل ستكون طويلة؟

(أنهار) مقتربة من (رافدة): يمكنني أن أمنحك الدفء

(رافدة) رافعة كفها في وجهها: لا! لا! شكراً! .. أفضل التجمد على ذلك!

ابتسمت (أنهار) وغطست أطراف أناملها في الماء بينهنّ متمتمة ببعض الكلمات لترتفع حرارة الماء تدريجيّاً حتى تصاعدت منه الأبخرة ثم قالت: كيف تجدين الماء الآن؟

(رافدة) بابتسامة مشبعة بالارتياب: أفضل بكثير

تبسمت (كُميت) كذلك وهزت رأسها يميناً ويساراً من تصرفات أختها الغريبة..

(أنهار): القصة التي سأرويها لكما ليست لتستأنسا بها.. بل لتعرفا ما نحن مقبلات عليه الليلة ولِمَ أحتاجكما لتساعداني..

(رافدة): الليلة؟

(أنهار): نعم الليلة.. سأحكي لكما عن آخر شخص حصل على القناع الذهبي وقد عُرف ذلك الرجل لاحقاً بلقب تداوله الجن قبل الإنس..

(كُميت): بماذا لقبوه؟

# الفارس المخلد

ذبابة..

تطير وسط قاعة كبيرة..

تعبر بين مجموعة من الحراس المدججين بالحراب والسيوف..

تستمر الحشرة الصغيرة بالتحليق وتشق طريقها باتجاه عرشٍ ضخم مصنوع من الذهب والعاج..

توسط العرش نهاية تلك القاعة الكبيرة حيث جلس عليه ملك عظيم بوجهٍ شاحب سكنه الخوف والقلق الشديد..

وقبل أن تحط الذبابة بأقدامها الهزيلة على أنف الملك خطفها نصل سهمٍ حاد وثبتها على أقرب جدار..

يشد الرامي سهماً آخر على قوسه ويوجهه نحو بوابة القاعة كحال العشرات من الرماة المنتشرين حول الملك..

(الملك) لوزيره الواقف بجانبه: هل هناك أي أخبار عن مكانه الآن؟

(الوزير): بلغنا أنه اخترق آخر حاجز بيننا وبينه وهو حاليّاً متجه نحو القصر

(الملك): وكم المسافة التي تفصلنا عنه؟

(الوزير): مسيرة نصف يوم بالخيول ويوم بالجمال

(الملك): وأيها يستخدم؟

(الوزير): إنه يجري يا جلالة الملك

(الملك) مديراً نظره للوزير وبنبرة مشبعة بالجزع: يجري؟!

## قبل هذا اليوم بشهر..

مزارع من «بلاد ما بين النهرين» يدخل سوقاً كبيراً يتبع قرية مشهورة عرف بـ «سوق المحاصيل» لأن جميع التجار والمزارعين وأصحاب الحرف يأتون إليه لعرض منتجاتهم فيه وللتزود بما يحتاجونه من مؤن لإنتاج المزيد. قدم المزارع من مزرعته الواقعة عند ضفاف نهر يبعد

عن منطقة السوق مسيرة ربع يوم تقريباً. أتى مع زوجته التي تزوجها حديثاً بفارق عمر كبير بينهما فهو كان في منتصف عقده الرابع من العمر وهي لا تزال في بداية عقدها الثاني وخلال تجولهما بين المحلات والدكاكين لشراء بعض الحاجيات لمزرعتهما قالت الزوجة: «سوق هذه القرية لا يوفر كل ما نحتاجه.. لمَ لا نسافر يوماً للمدينة ونبتاع كل لوازمنا من سوقها يا (قماد)؟»

(قماد) مبتسماً: هذا السوق من أكبر وأشهر الأسواق بالبلاد ثم كيف لنا أن نقطع رحلة طويلة كهذه يا (شادِن) ونترك مزرعتنا ومواشينا دون رقيب؟

(شادِن): اذهب أنت وأنا سأبقى للعناية بها

(قماد) ممازحاً: أنتِ أكثرهم حاجة للعناية

(شادِن) بتجهم: ماذا تقصد؟!.. هل أنا إحدى بهائمك التي ترعاها؟!

(قماد) ضاحكاً: لا لا لم أقصد!.. حسناً لكِ ذلك.. سوف أبحث عن شخص ليبقى في المزرعة خلال غيابنا وسأحقق رغبتك

(شادِن) مقلبة بعض قطع الفاكهة عند محل الخضروات بوجه عابس:

يجب أن تكون رغبتك أنت أيضاً.. المزرعة تحتاج الكثير من المعدات كي نقوم بإنتاج محاصيل تستحق البيع

(قماد) متأملاً ملامح زوجته العابسة بابتسامة رضا: أمرك يا جلالة الملكة

(شادِن) تضع بعض التفاح في سلة من الحصير جلباها معهما: من المعيب أننا كمزارعين نقوم بشراء الفاكهة.. من المفترض أن نأكل من محاصيلنا.. أريد زراعة شجرة تفاح في مزرعتنا

(قماد) وهو يعاونها في انتقاء حبات التفاح: زراعة التفاح ليست بالأمر السهل وحصاد محصولها يستغرق وقتاً طويلاً

(شادِن) تمد للبائع ثمن التفاح وهي تقول لزوجها: أي نوع من المزارعين أنت؟.. أبي كان يقول دوماً إن من لا يزرع التفاح لا يعرف متعة الفلاحة؟

(قماد) بتودد: ألهذا قام بزراعتك؟

(شادِن) تدفع بكفها وجه (قماد) محاولة عدم الضحك: اغرب عن وجهي أيها المزارع الفاشل!

سار الاثنان لمحلٍّ آخر كان يعرض أدوات للطبخ وبعض البهارات فتوقفت الزوجة عنده تتأمل معروضاته..

(قهاد) رافعاً السلة التي كادت تمتلئ: ألم ننتهِ؟.. السلة أصبحت ثقيلة

(شادِن) وهي تتمعن في المنتجات المعروضة: استأجر من يحملها عنك للمزرعة فأنا سأشتري الكثير من هذا المحل أم أنك لا تريد تناول العشاء اليوم؟

(قهاد): إذا كنتِ ستطبخين الدجاجة الصفراء فسوف أستأجر عربة كاملة لتوصل كل ما ستبتاعين

(شادِن) ملتفتة على زوجها: ما قصتك مع تلك الدجاجة؟

(قهاد) مستغرباً من سؤالها باسماً: أي قصة؟

(شادِن): لا تظن أني لم ألاحظ أنك تحاول ومنذ أيام أن أذبح هذه الدجاجة بالذات.. نحن نملك العشرات من الدجاجات وأنت تصر على أن تكون الصفراء وجبتك دون غيرها.. لماذا؟

(قهاد) ضاحكاً بتوتر: ما هذه الملاحظة الغريبة.. اذبحي أي واحدة منها لا يهمني

(شادِن): هذا ما سيحدث لكن الفضول يقتلني لمعرفة لمَ هي بالذات؟..

تلك الدجاجة نحيلة ومعدومة اللحم وتنتج الكثير من البيض وأي مزارع يملك عقلاً لا يمكن أن يفكر بذبحها ولأني أعرف تفكيرك أردت معرفة السبب

(قماد) وهو يضع السلة على الأرض ضاحكاً: لقد كشفتِ أمري

(شادِن) مبتسمة بغرور: وما الجديد؟.. هيا أفصح.. لمَ تريد مني أن أذبحها؟

(قماد): لأنها الدجاجة الوحيدة التي تنقر ديكنا على رأسه كلما اقترب منها

(شادِن) متعجبة من الإجابة: ماذا؟!.. هل أنت جاد؟!

(قماد) مبتسماً: نعم.. ديكنا وحيد بين عشرات الدجاجات اللاتي يتمنين نظرة منه وهي الوحيدة التي تتمنع عنه وكأنها تملك ريشاً من ذهب

(شادِن) ضاحكة: ديكك أحمق مثلك!. ومن حقها أن ترفض اقتراب ذلك الديك الأعور منها

(قماد) يشاركها الضحك قائلاً: ديكي أعور بسببها!

(شادِن): منذ اليوم هذه الدجاجة ستكون تحت حمايتي وسأطعمها بنفسي دون الدجاجات الأخريات وإياك أنت وديكك الأعور والاقتراب منها.. بل سوف أنقلها من العشة لتعيش معنا في المنزل.. ما رأيك؟

(قهاد): الخسارة لها فديكي لن يفتقدها

(شادِن) تعود لتفحص أدوات الطبخ بالمحل: وهي لن تفتقد نظراته المخيفة لها.. يكفي أنه كبير بالسن وفاقد لمعظم ريشه.. لو كان هناك طائر يستحق الذبح في تلك العشة فهو ذلك الديك الأحول

(قهاد) ممازحاً: أعور وليس أحول

(شادِن) ممسكة بقدرٍ صغير متجهمة: في كل الأحوال يستحق الذبح

(قهاد) مبتسماً: هل ما زلنا نتحدث عن الديك أم عن شخصٍ آخر؟

(شادِن) متجاهلة زوجها موجهة حديثها للبائع: بكم هذا القدر؟

(البائع): بدرهمين لكنه لا يكفي لطبخ ديك..

ضحك (قهاد) على تعليق البائع فقامت الزوجة برمي القدر الصغير بوجهه قائلة: لن نشتري منك شيئاً!

(قهاد) وهو مستمر بالضحك: ما بكِ يا صفراء؟!

رفعت الزوجة قدرًا آخر أكبر حجماً وهمت بضرب رأس زوجها به لكنها توقفت عندما رأت فارساً يمتطي جواداً أسود ضخماً يشق طريقه بين الناس في السوق. انتبه الزوج لملامح زوجته التي تغيرت للتوتر فوجه نظره حيث كانت تنظر ورأى الفارس يسير نحوهما. مد المزارع يده وأنزل القدر من قبضة زوجته الخائفة وقال لها: ابقي هنا ولا تتحركي..

هم الرجل بالسير نحو الفارس لكنها أمسكت بذراعه وبنبرة قلقة: إلى أين يا أحمق!

(قماد) مبتسماً وبنبرة مطمئنة ونظره منصب إلى الفارس المدجج بالسلاح والدروع: لا تقلقي لن أغيب.. أكملي التسوق وانتقي الحاجيات التي تريدينها من المحل ريثما أعود

سار المزارع بين مجاميع الناس التي بدأت بالتنحي عن طريق ذلك الفارس المهيب لأنه كان يحمل على صدره شعار البلاط الملكي وعندما أصبح خطم الجواد عند وجه المزارع شد الفارس لجامه وترجل عنه وأخذ بضع خطوات نحو (قماد) الذي حدق به بحدة وصرامة. حتى

الفارس رأسه قليلاً وعلى عجالة وكأنه لا يريد أن ينتبه له أحد وهو يقوم بذلك.

(قماد) بنبرة جادة: لا تفعل..

(الفارس الملكي): أعتذر يا سيدي

(قماد): ما الأمر؟.. ما الذي أتى بك إلى هنا؟

(الفارس الملكي): لقد أتيت برسالة من الملك الأعظم حاكم البلاد

(قماد): أخبرتكم أكثر من مرة بأني لن أعود

(الفارس الملكي): لكن جلالة الملك..

(قماد) مقاطعاً: أعرف ما ستقوله سلفاً.. هذه ليست المرة الأولى التي تصلني رسالة منه.. لقد تركت قيادة جيشه بموافقته فلمَ يتراجع الآن؟

(الفارس الملكي) مرتبكاً: أنا هنا فقط لإيصال رسالة

(قماد) بنبرة جادة وصارمة: أوصل هذه الرسالة لجلالته إذاً.. أخبره بأن (قماد) لا نية له بالعودة أبدًا مهما كانت المغريات

(الفارس الملكي): سأفعل.. لكن..

(قماد): لكن ماذا؟

(الفارس الملكي): أنت لا تعرفني شخصيّاً يا سيدي لكني خدمت تحت إمرتك في حروب كثيرة وكان شرفاً لي فأنا لم أرَ قائدًا مثلك لا من قبل ولا من بعد

(قهاد): ممتن لهذا الإطراء.. لكن من خلفني في المنصب قائد عظيم وله بطولات كثيرة وأنا من رشحته ليتولى قيادة جيش الملك من بعدي

(الفارس الملكي): أعرف يا سيدي لكننا لم ننتصر في حرب واحدة من بعد رحيلك والملك مقتنع بأن السبب هو خسارة الجيش لقيادتك

(قهاد): نصر المجموعة لا يتحقق برجلٍ واحد.. الجميع يشاركون فيه

(الفارس الملكي): لا أحد يستطيع قول هذا لجلالة الملك وجهاً لوجه غيرك.. لذلك لو تكرمت وأتيت معي و..

(قهاد) مقاطعاً: لقد بدأت حياة جديدة ولا نية لي للسفر والعودة للعاصمة لإقناع أحد بشيء.. رافقتك السلامة

حنى الفارس الملكي رأسه بصمت قبل أن يركب جواده ويعود أدراجه..

استدار (قهاد) وعاد لزوجته باسماً: هل اخترتِ ما تريدين؟

(شادِن) وهي تراقب غبار جواد الفارس الملكي المنطلق في الأفق: من كان ذلك الرجل وماذا كان يريد منك؟

(قماد): لا شيء.. صديق قديم

(شادِن): هذا فارس من البلاط الملكي.. كيف لمزارعٍ بسيط مثلك أن يعرفه؟

(قماد) ضاحكاً: لمَ كل هذه الاستهانة بي؟!.. قمت بالتجارة معه في الماضي وهذا سبب معرفتي به

(شادِن): أنا لا أستهين بك لكن لا خير يأتي من هؤلاء القوم وأنت تعرف ذلك

(قماد): هؤلاء القوم هم من يحكموننا ويحكمون مدننا

(شادِن): تتحدث وكأنك لا تعرف ملكنا وبطشه بشعبه قبل الشعوب المجاورة لقد ابتلينا بحاكم لا يرانا سوى مصدرٍ لزيادة ثروته وسلطته.. حاكم ظالم بقلبٍ مظلم

(قماد): وما الذي أصابك من الملك كي تقولي بأنه ظالم؟

(شادِن): عندما ترى الأبرياء يخشون العقاب والسخط وهم لم يقترفوا شيئًا فاعلم أن من يحكمهم طاغية..

(قهاد): الملك يملك بعض الصفات الحسنة فلا تظلميه أنتِ بهذا الحكم المسبق

(شادِن): أنا مؤمنة بأن الناس جميعاً في أصلهم طيبون لكن ما أنا مقتنعة به أكثر هو أنك لن تؤمن بوجود الخير حتى تؤمن بوجود الشر..

(قهاد) رافعاً صرة من الفجل من السلة ممعناً النظر إليها باسماً: هل يمكن أن نغير الموضوع؟

(شادِن): أعدك بأني لن أتحدث فيه مرة أخرى لكن اقطع أنت وعداً لي في المقابل

(قهاد) وهو يشد على مقابض السلة الثقيلة ويرفعها: أعدك بماذا يا عزيزتي؟

(شادِن) بنبرة حزينة مشبعة بالقلق: أن لا تخفي علي شيئاً قد يسلبك مني.. أنت ما تبقى لي بعد موت أبي ولا أريد أن أخسرك أنت أيضاً

(قهاد) مبتسماً: لا تقلقي من هذه الناحية سأبقى لصيقاً لك مدى الحياة وحتى بعد المهات

(شادِن): عدني بذلك..

(قماد): أعدك وأقسم لك بعدد المرات التي قلت فيها أحبك..

(شادِن) وهي تسير مبتعدة عن المحل مبتسمة: لا تستشهد بذلك فأنت لم تقلها لي منذ زمن طويل

(قماد) يتبعها حاملاً السلة ويقول: لكني أثبتها لكِ كل يوم أليس كذلك؟!

(شادِن): أحتاج لسماعها من وقتٍ لآخر..

(قماد) محدثاً نفسه: شتان بين من يقولها لك ويريد سماعها منك وبين من يثبتها لك كل يومٍ بصمت..

استمر الاثنان بالسير في السوق بحثاً عن عربة لتوصلهما للمزرعة ولتنقل الحاجيات التي اشترياها فهما قد أتيا سيراً على الأقدام لكن (شادِن) اشترت الكثير وتركت تلك المشتريات في المحلات كي يعرجا عليها لاحقاً ويأخذاها بعد ما دفعا قيمتها بالكامل. اتفق (قماد) مع رجل يملك عربة صغيرة يجرها حمار على أن يقوم بتحميل جميع أغراضهما بعد ما زوده بأماكن المحلات التي اشتريا منها واتفق معه على أنه سيكون هو وزوجته بانتظاره عند العجان ريثما ينتهي.

(قماد) لـ (شادِن) وهو يضع السلة في العربة قبل أن تنطلق لجمع بقية مشترياتهما: أعتقد أننا اشترينا ربع البضائع بالسوق..

(شادِن) وهي تجول بنظرها على أصناف الكعك المعروضة في المخبز: لا تبالغ.. أي نوع من الكعك تريد يا ديكي الأعور؟

(قماد) مقترباً من زوجته ماسحاً كفوفه المتسخة على صدره: هل خَبَز العجان اليوم كعكة المشمش؟ فهي المفضلة عندي

(شادِن) تضع يدها على جبينها وتقول بلوم وحسرة: لا تمسح يديك بملابسك!

(قماد) ملتقطاً كعكته المفضلة آخذًا قضمة منها: لا أريد أن أمسك الكعكة بيد متسخة

(شادِن) تضرب على صدره نافضة الغبار: ومن سيقوم بتنظيف هذه الملابس غيري؟!

(قماد) وهو يلوك الكعكة في فمه: زوجتي الحبيبة بالطبع

(شادِن) تمسح بعض المشمش المهروس الذي التصق على أطراف فم زوجها: أنت كالطفل الكبير

(قماد) غامزاً: ومتى ستحضرين لي أخاً؟

(شادِن) تلتقط كعكة كرز: يكفيني أنت في الوقت الحالي
وقف الزوجان يراقبان المتسوقين أثناء تناولهما للكعك وخلال ذلك شاهدا مجموعة من الرجال يضربون متسولاً عجوزًا بطريقة وحشية حتى أسقطوه أرضاً لينهالوا عليه بالركل والرفس.
(شادِن) مستاءة من المنظر: لمَ يضربونه بهذا الشكل؟.. ما الذي يبرر ذلك؟.. الرجل كبير في السن وسوف يموت
(قماد): هذا المتسول مسكين
(شادِن): وهل هناك متسولون غير مساكين؟
(قماد): لا لم أقصد ذلك.. هذا (ربيعة).. أقدم متسول في السوق وهناك إشاعة تطارده وتدور حوله منذ سنوات وعلى الأرجح أنها سبب ما يتعرض له الآن
(شادِن) وهي تشاهد بوجهٍ عابس أحد الرجال يركل أنف (ربيعة) ويكسره له: إشاعة ماذا؟
(قماد): بأنه ثري جدّاً ويدعي الفقر فقط كي يجمع المزيد من الأموال
(شادِن) ملتفتة نحو زوجها بوجه مستنكر: ما هذا الكلام الفارغ؟!.. الرجل سيموت بين أيديهم.. لو كان يملك شيئاً لما عرض نفسه لهذا العذاب

(قهاد) يأخذ قضمة من كعكة المشمش ونظره على العراك من طرف واحد وببرود: هذا ما يشاع عنه..

(شادِن) تخطف الكعكة من يده وبوجه متجهم ونبرة غاضبة: ساعده!

(قهاد): أنا لم أكمل تناولها

(شادِن) صارخة فيه: سأحتفظ بها عندي حتى تعود!.. لكن ساعده أرجوك!

(قهاد) يبتسم لها قبل أن يسير نحوهم: احتفظي بها ولا تأكليها..

وصل (قهاد) للمجموعة المحيطة بـ (ربيعة) وحاول التفرقة بينهم وبينه لكنهم هاجموه هو الآخر وحاولوا ضربه فما كان منه إلا أن وجه قبضته لوجه أحد المعتدين وأسقطه أرضاً أتبعها بأخرى لبطن زميله الثاني ولم يتوقف عن ضربهم حتى هرب المعتدون جميعاً مدحورين يكيلون له السباب والشتائم.

(قهاد) يمد يده للمتسول الواقع على الأرض وينهضه قائلاً: هل أنت بخير؟

لم يجب المتسول ووضع يده على وجهه مغطياً أنفه الدامي وابتعد عن المكان لكن (قهاد) لحق به وأوقفه ووضع في يده بعض المال قائلاً: إذا

احتجت أي شيء فأخبرني.. مزرعتي قريبة من هنا.. عند التلة الخضراء جنوباً.. لا تتردد في المرور بي في أي وقت

هز المتسول رأسه ويده لا تزال تغطي وجهه وكأنه يخجل من أمرٍ ما وقبل أن يهم بالرحيل مرة أخرى شد (قماد) ذراعه وأشار لزوجته التي وصلت عندهما بوجه قلق على حال (ربيعة) وقال:

«وإذا لم تجدني فستجد زوجتي بالتأكيد وهي ستقوم باللازم وتطعمك وتعطيك المال..»

(شادِن) باسمة: نعم يا عم.. مرحباً بك في أي وقت

رمق المتسول (شادِن) سريعاً ليعرف شكلها ثم قال بصوت منكسر: أريد الذهاب الآن أرجوكما..

أفلت (قماد) قبضته الممسكة بالمتسول العجوز وتركه يرحل بسلام وودعه قائلاً: تذكر أننا نرحب بك في أي وقت!

(شادِن) وهي تراقب (ربيعة) يرحل بخطوات مثقلة من الضرب الذي تعرض له: أشفق على حاله..

(قماد) آخذاً ما تبقى من كعكته من يد زوجته: سيكون بخير لا تقلقي

(شادِن) بحزن شديد: ما هذا العالم الذي نعيش فيه حيث لا يستطيع رجل فقير كهذا أن يعيش بسلام

(قماد): لا تبالغي يا عزيزتي..

(شادِن) ملتفتة إلى زوجها: لا تنتظر اليوم الذي تفترس فيه لتعرف أننا نعيش في غابة.. سيبقى السلام سراباً نجري خلفه حتى ندرك هذه الحقيقة..

(قماد): أرفض تصديق ذلك.. العالم به خير كثير

(شادِن) وهي تمد ما تبقى من كعكة الكرز لزوجها: صدق ما تريد

(قماد): ألن تكمليها؟

(شادِن): فقدت شهيتي..

(قماد) وهو يأخذ الكعكة ويلمح العربة عائدة بمشترياتها: هيا لنعد إلى المنزل ونضع هذا اليوم خلفنا..

مضت عدة أيام وحل موسم الربيع وهو أجمل أوقات السنة التي يقضيها (قماد) وزوجته الشابة في مزرعتهما التي ورثتها عن أبيها بعد وفاته وذلك الوقت من العام له معزة خاصة عند (شادِن) فهي الفترة التي تعرفت بها على زوجها عندما أتى طارقاً بابهم طالباً للعمل

وانتهى به المطاف طالباً يدها للزواج بعد ما أغرم بها وأغرمت به. بالرغم من الفارق العمري بينهما إلا أن والد (شادِن) رأى في (قماد) الرجل الذي طالما بحث عنه ليبقى مع ابنته لأنه كان يشعر بالخوف من تركها وحدَها لو حدث له مكروه خاصة وأنه هو كذلك تزوج متأخراً ولم تدم حياته مع أم (شادِن) طويلاً لأن المرض خطفها في عمرٍ صغير. وصية الأب على فراش موته لـ (قماد) كانت واضحة وصريحة وهي أن يسعد ابنته قدر استطاعته وأن لا يتخلى عنها أبداً وكان الحوار في غيابها وقد أعطاه زوج ابنته قسماً على أنه لن يعكر مزاجها يوماً وسيفني حياته لإسعادها حتى وإن كان ذلك على حساب سعادته وراحته.

(شادِن) خلال تقديمها الطعام لزوجها: طبخت لك وجبتك المفضلة اليوم.. الدجاج المحمر بالبطاطا والبصل

(قماد) يأخذ قضمة من صدر الدجاجة التي وضعتها أمامه على المائدة ويقول مبهوراً: الطعام لذيذ اليوم!

(شادِن) بتفاخر: وهل طبخت لك يوماً شيئاً لم يرق لك من قبل؟.. ثم إن حبك للحم الدجاج لم أرَ مثيلاً له.. أعتقد أنك لو تناولته نيئاً فسيعجبك أيضاً

(قماد) ضاحكاً: لا أنكر ذلك! لكن حقيقة هذه المرة استثنائية.. لحم هذه الدجاجة يذوب كالزبدة!

(شادِن): هذا لأني تركتها تطبخ مدة أكثر من المعتاد وعلى نار هادئة

(قماد) متناولاً المزيد من اللحم ضاحكاً: أي من دجاجات ديكي الأعور وقع عليها الاختيار هذه المرة؟

(شادِن) واضعة بعض أرغفة الخبز على المائدة: الصفراء عدوتك اللدود

(قماد) ممسكاً أحد الأرغفة وبوجه مبتسم ومتعجب: ماذا؟ لمَ قررتِ ذبحها؟

(شادِن) ماسحة على يدها بتجهم: اللعينة نقرتني وأنا أحاول أخذ البيض من تحتها

(قماد) ضاحكاً بقوة: أخبرتكِ بأنها مجنونة!

(شادِن) تضع المزيد من أطباق الطعام على المائدة: لا أنكر أني استمتعت بنحر رقبتها النحيلة..

(قماد) وهو مستمر بالضحك آخذًا قضمة من فخذ الدجاجة: كلامك مخيف يا عزيزتي!

(شادِن) رافعة سكيناً من سطح المائدة ملوحة بها في وجه زوجها ممازحة:

«القتل يكون أكثر متعة عندما يكون المقتول يستحق ذلك..»

(قهاد) متظاهرًا بالخوف بطريقة فكاهية: أتمنى أن لا أكون منهم إذاً!

(شادِن) موجهة رأس السكين أمام أنفه باسمة: لا تبحث عن دجاجة غيري وستكون بمأمن من نصل سكيني الحادة!

(قهاد) متوددًا: ديكك الأعور لا يرى غيرك بعينه يا صغيرتي الجميلة..

(شادِن) غارسة السكين في سطح المائدة الخشبي ضاحكة: ولن يرى أجمل مني مهما بحث!

ابتسم (قهاد) لها وهو يمص عظمة فخذ الدجاجة..

(شادِن) مستذكرة: نسيت أن أخبرك بشيء!

(قهاد) يحتسي بعض الماء قائلاً: ماذا؟

(شادِن): خمن من عرج بنا اليوم؟

(قهاد): من..؟

(شادِن) تجلس بجانبه باسمة: خمن!

(قماد): الشخص الوحيد الذي أريده أن يأتي هو بائع الشعير لأوبخه.. المحصول الذي باعني إياه كان فاسداً

(شادِن): لا لم يكن بائع الشعير

(قماد): من كان إذاً؟

(شادِن): المتسول..

(قماد): أي متسول؟

(شادِن): هل حقّاً نسيته؟.. المتسول (ربيعة) الذي خلصته عندما كنا في «سوق المحاصيل» ممن كانوا يعتدون عليه بالضرب

(قماد) وهو يستأنف تناول طعامه: آها نعم تذكرته.. ماذا كان يريد؟

(شادِن) تمد يدها للطبق وتشاركه تناول الطعام: ماذا تقصد ماذا يريد؟.. أنت من دعوته للمرور بنا إذا احتاج لشيء

(قماد): نعم صحيح تذكرت.. هل كان معكِ مال لتعطيه؟

(شادِن): المسكين لم يكن يريد مالاً ورفضه عندما عرضته عليه

(قماد): ماذا كان يريد إذاً؟

(شادِن): كان جائعاً فقط فأطعمته وطلبت منه أن يأتي وقتما يشاء

(قماد): خيرًا فعلتِ.. قلبك الطيب هو سبب حبي لكِ

(شادِن) بنظرة مستنكرة: فقط؟

(قماد) واضعاً عينيه بعينيها باسماً: وأشياء أخرى..

(شادِن) مسندة وجنتيها على كفيها ممعنة النظر في محيا زوجها: قلها

(قماد): أقول ماذا؟

(شادِن): تلك الأشياء الأخرى

(قماد) باسماً: لو ذكرتها جميعاً فلن أنتهي من تناول طعامي إلا ليلاً

(شادِن): قل واحداً منها وسأكتفي

(قماد) يزفر مبتسماً ثم يقول: «لا أعي ولا أستوعب معنى الغروب من شمس السماء عندما تأفل بل عندما تغيبين عني ولو للحظاتٍ لتحضري طبقي المفضل.. ولا أفرح بفجر يومٍ جديد حتى أرى ابتسامتك تشرق قبل شمسه.. منذ أن وقعت عيناي عليكِ أصبحتِ كل وقتي وزماني.. العبير لأنفاسي.. كل شيء يحمل معنى وطعماً في حياتي الحاضرة والماضية والآتية.. عشت كثيراً لكني لم أحيَ إلا معكِ..

لم أعرف أني كنت غارقاً في الحرمان إلا عندما حظيت بكِ وأدركت أني قد أهدرت الكثير من سِنِيَّ أجهل معنى السعادة.. لو فقدتكِ يوماً فسأفقد عقلي وقلبي وروحي لأنها ارتبطت بكِ ولن تفارقكِ حتى وإن افترقنا.. وسترحل معكِ».

احمرت وجنات (شادِن) خجلاً واكتفت بالابتسام خلال نزول دمعة من محجرها..

(فهاد) مستأنفاً: كنت أقول لنفسي دوماً: «سيطر على عواطفك وأحكم قبضتك على مشاعرك وبذلك ستسيطر على حياتك بأكملها..» لكن حياتي لم تزهر إلا عندما أطلقت العنان لتلك المشاعر معكِ حتى وإن لم أقلْها بلساني..

(شادِن) ماسحة دمعتها بباطن كفها باسمة: أراها بعينيك دوماً وأغرق بها مع كل عناقٍ تهبه لي.. خلاله يتحدث قلبي مع قلبك وأشعر بالأمان وأعلم بأني لن أهاب ظلم الدنيا وأنا بقربك.. بالرغم من أن عناقي الأول لك لم يكن موفقاً

(فهاد): ماذا تقصدين؟

(شادِن): لا أعرف.. عناقنا الأول كان غريباً.. كان أشبه بعناق شخصٍ بلا أذرع.. كنت خاوياً.. مجرد جسد منهك من ماضٍ أجهله..

(قماد): لم ألحظ ذلك وقتها..

(شادِن): هذا لأني تذكرت مقولة أمي قبل أن أفك عناقك..

(قماد): ماذا قالت؟

(شادِن): كانت تقول دوماً بأن «أكثر وقتٍ يكون فيها قلبان متقاربين هو خلال العناق.. عانقي من تحبين كي تتحدث قلوبكما بما صمتت عنه ألسنتكما..» وبالفعل كانت محقة.. حدث قلبك قلبي خلال ذلك العناق البارد وطمأنني بأنك ستتغير.. قررت يومها أن أبحث عن السعادة وأهديها لك

(قماد): الباحث عن السعادة لغيره ليس ملزماً بأن يكون تعيساً معه خلال البحث..

(شادِن): ومن قال لك بأني تعيسة؟.. لقد وجدتها معك وعشناها معاً وسنعيشها للأبد

(قماد): رأيت وما زلت أرى بكِ إنسانة قوية بالرغم من رقتها.. ذكية بالرغم من عاطفتها وحنانها.. تعرفين ما تريدين وتسعين له.. غيوراً

على ما تملكين ولا يهمكِ رأي الناس في قناعاتكِ.. يمكن أن تخسري الجميع لأجل نفسك أو شخص تعتبرينه مكانها»

(شادِن): لا أعرف ما الذي أحبه فيك لكني أعرف ما الذي أكرهه..

(قماد) بشيء من الاستغراب من كلامها: وما الذي تكرهينه فيَّ؟

(شادِن): أنك تقسو على نفسك لترضيني وتبذل الكثير لإسعادي جاهلاً أو متجاهلاً أن كلمة واحدة منك كفيلة بأن تحقق لك هذا كله دون عناء العمل..

(قماد): لا تثق بالأفكار التي تحثك على الكلام.. كنت وما زلت مؤمناً بأن العمل أوقع من الكلام..

(شادِن) باسمة بحزن: لعله من الأفضل أنك لا تتكلم كثيراً فكلماتك أحياناً تكون كالسهام المخترقة لقلبي وتسبب لي ألماً لا تدرك حجمه

(قماد) باسماً وممازحاً: لو لم تذبحي تلك الدجاجة التي نقرتك لكنت ذبحتها أنا فلن أستطيع النوم وهناك من تسببت لكِ بذرة ألم يسير على هذه الأرض

(شادِن) تنهض من مكانها وتقول باسمة بنبرة حزينة: لقد وفرت عليك العناء وتخلصت منها..

(قهاد) ينهض حاملاً الطبق ضاحكاً: ولم يبقَ منها سوى العظام

يسمع الزوجان صوت دبيب مجموعة من الدواب خارج المنزل..

(شادِن) مستغربة: ما هذا الصوت؟.. هل تركت باب الزريبة مفتوحاً؟

(قهاد) متوجهاً للنافذة: لا.. لقد أغلقته بعد ما أطعمت المواشي

نظر (قهاد) من النافذة وتغيرت ملامح وجهه لتجهمٍ خفيف وبقي يراقب بصمت حتى سارت (شادِن) ووقفت بجانبه وشاركته النظر لترى مجموعة كبيرة من الفرسان المسلحين يركبون خيولاً سوداء ضخمة تتوسطهم فرس بيضاء يركبها رجل مهيب بملابس فاخرة وتاج ذهبي مرصع بالأحجار الكريمة.

(شادِن) سارحة بفم مفتوح بمن يركب الفرس البيضاء: من هذا؟

(قهاد) وعلامات التجهم تزداد على محياه: الملك (جبليس)..

(شادِن): الملك؟.. وما الذي أتى به إلى هنا؟

(قهاد) يهم بالخروج من المنزل: ابقي هنا ولا تخرجي

(شادِن) تشده من ملابسه: إلى أين؟!.. لا تخرج!

(قهاد) مطمئناً: لا تقلقي.. سيكون حديثًا قصيرًا

(شادِن) دون أن تفك من قبضتها على زوجها وبقلق شديد: لمَ يأتي الملك لزيارتك؟!

(قماد) يفك قبضة أصابعها بملابسه برفق باسماً: سأخبرك بكل شيء عندما أعود.. أعدكِ بذلك

حررت الزوجة زوجها من قبضتها القوية ليخرج من الباب وتبقى هي بالداخل ويبدأ هو بالسير نحو الملك وعندما التقت أعينهما تبسم الملك (جبليس) وقال: القائد (قماد).. لم أعرفك بدون هندامك العسكري.. لقد تغيرت كثيراً

(قماد) حانياً رأسه: إنه لشرف عظيم أن أحظى بزيارتك يا جلالة الملك..

(الملك جبليس): رفضك المستمر لقبول دعواتي المرسلة مع رسلي أجبرني على الحضور بنفسي لأرى وأسمع سبب تجاهلك لي

(قماد) وهو يجول بنظره محصياً أعداد الخيالة المحيطين بالملك والمنتشرين حول مزرعته: العفو يا جلالة الملك أنا لست سوى خادم من خدمك..

(الملك جبليس): جيد أنك ما زلت تعرف ذلك.. سوف أكون

بانتظارك في العاصمة لتتولى قيادة جيشي مرة أخرى.. يكفي ما تكبدناه من خسائر منذ رحيلك

(قهاد) معيداً نظره لأعين الملك: لقد حصلت على عفو شخصي من جلالتك والحياة العسكرية وضعتها خلفي بإذنٍ منك

(الملك جبليس): وأنا أسحب هذا العفو وآمرك بالعودة.. هل لديك اعتراض؟

(قهاد): ليس اعتراضاً بل اعتذار.. لن أعود

بدأ بعض الفرسان يوجهون أنظارهم نحو الملك وكأنهم متعجبون من جرأة (قهاد) في الحديث معه بتلك الطريقة وكانوا في انتظار الأوامر بقتله لكن الملك تبسم قائلاً: «إذاً فرحلتي الطويلة هذه كانت بلا نتيجة ولا تحمل قيمة عندك؟..»

(قهاد): قدومك شخصيّاً محل تقدير عندي يا جلالة الملك وأرجو أن تكرمني وتحل ضيفاً عليّ

(الملك جبليس): لقد أكرمتني بما فيه الكفاية برفضك..

خرجت (شادِن) من المنزل وعلى وجهها معالم القلق الشديد ولم تستطع البقاء في الداخل لتوترها الشديد وسارت نحو زوجها الذي أشار لها

بالاقتراب واحتضنها بذراعه وقال للملك:

«صدقني يا جلالة الملك أنه من الصعب التخلي عن السعادة عندما نجدها..»

عبس (الملك جبليس) وشد لجام جواده الأبيض وقال قبل أن يهم بالرحيل: إهانتك هذه لن تغتفر!

رحل بعدها ومن خلفه فرسانه وحاشيته..

(شادِن) خلال مراقبتها لهم وهم يرحلون: ماذا كان يريد منك؟

(قماد) رافعاً ذراعه من على زوجته عائداً للمنزل: أتى للسلام عليّ فقط

(شادِن) مستديرة نحو زوجها السائر للمنزل: ومنذ متى يزورنا الملوك لإلقاء التحية؟.. ماذا تخفي علي؟

توقف (قماد) عن السير دون أن يلتفت إليها وحدق بباب منزلها وقال: هل لديكِ مشكلة لو بعنا المزرعة ورحلنا عن هنا؟

(شادِن): نبيع مزرعة أبي؟ هذا المكان هو كل ما أعرفه في الدنيا.. ولدت ونشأت فيها وأريد أن أدفن في ترابها

أنزل (قماد) رأسه ولم يرد..

(شادِن): من الواضح أنك لا تنوي إخباري بشيء الآن.. على أي حال الأبقار تحتاج للحلب لأن أثداءَها تورمت وتكاد تنفجر

(قماد): حسناً سأذهب إليها الآن..

قبل أن يتوجه (قماد) للزريبة سمع خبيب الخيول مرة أخرى فوجه نظره للأفق خلف زوجته ليرى أن مجموعة من الفرسان والرماة تخلوا عن مواقعهم بموكب الملك وانطلقوا مسرعين عائدين باتجاه المزرعة. أدرك (قماد) في تلك اللحظة أن (الملك جبليس) قد أعطى الأوامر بتصفيته فجرى نحو زوجته وهز أكتافها قائلاً:

اذهبي فوراً للزريبة وأغلقي على نفسكِ ولا تفتحي أبداً حتى تسمعي صوتي!

(شادِن) وهي غير منتبهة لما يحدث خلفها: لماذا ما الذي يحدث؟!

(قماد) صارخاً فيها: لا تناقشيني واذهبي فوراً!

نفذت الزوجة أمر زوجها وجرت باتجاه الزريبة ليتوجه هو مباشرة للمنزل ويركل الباب بقوة ويبدأ بالبحث بنظره في المكان حتى وقعت عيناه على السكين التي غرستها (شادِن) سابقاً على المائدة فنزعها

وخرج مسرعاً واستمر بالجري عائدًا للكتيبة التي دخلت المزرعة وانتشرت في المكان تبحث عنه. قفز (قماد) فوق أحد الخيول ونحر رقبة فارسها ودفعه من فوقها وسل سيفه من غمده قبل سقوطه وشد اللجام وانطلق نحو بقية الفرسان وبدأ يقتلهم واحدًا تلو الآخر لكنه واجه مشكلة مع الراميين اللذين وقفا بعيدًا يطلقان سهامهما تجاهه. لم يصبه أي منها لكنها شتتت من تركيزه مما أعطى فرصة لمن كان يقتتل معه بأن يخدشه بطرف سيفه في عينه اليسرى ويفقأها ما دفعه لترك موقعه والانطلاق تجاه الراميين للتخلص منهما أولاً. استمر الراميان بإطلاق السهام تجاه (قماد) المندفع نحوهما ليصيب أحدهما رأس الفرس التي كان يمتطيها لتقع أرضاً ويقع معها هو الآخر لكنه تدارك الأمر وتدحرج على الأرض ونهض في الحال وأكمل طريقه جرياً ولم يتوقف حتى طعن الأول في صدره وبحركة خاطفة شق بطن الآخر ليركب فرس أحد الراميين بعد وقوعه على الأرض قتيلاً ويشد لجامها ضارباً خاصرتها بكواحله ويعود لبقية الفرسان ويجهز عليهم خلال وقت قصير.

بعد انتهاء المعركة ترجل (قماد) عن صهوة الفرس وجرى مسرعاً

للزريبة ليطمئن على زوجته لكن وفي منتصف الطريق إليها وجدها مستلقية على بطنها وسهماً مغروساً في ظهرها. رفع الزوج زوجته ووضعها على حجره ليرى أنها لم تفارق الحياة لكنها تحتضر لأن السهم اخترق صدرها ولم يخترق قلبها وقال وهو يحاول منع نفسه من فقدان رباطة جأشه: «تماسكي!.. سوف آخذك للمطبب في المدينة!»

(شادِن) تتحسس جرح صدرها ثم تمسح بكفها الدامي على عين زوجها المفقوءة باسمة:

«لقد أصبحت أعورَ مثل ديكك..»

(قماد) وقد فقد سيطرته على مشاعره وبدأ بالبكاء وعينه اليسرى تنزف: لا تجرئي على الرحيل!

أغمضت (شادِن) عينيها ولم تجب عليه للأبد..

توقف (قماد) فجأة عن البكاء واختفت التعابير من وجهه وحمل زوجته بين ذراعيه ودفنها بكل هدوء عند مجموعة من الأزهار التي كانت قد زرعتها في فناء المنزل. سار بعدها نحو أحد الخيول المنتشرة حول المزرعة وشد لجامه وقاده معه للزريبة حيث كان يقبع صندوق

نحاسي كبير مغلق بقفل حديدي في إحدى زواياه وأخرج من جيبه مفتاحًا وفتحه. حوى الصندوق سيفًا كبيرًا ومجموعة من الأسلحة بين قوسٍ معدني ومجموعة من السهام والسكاكين والمناجل الضخمة.

صوت من خلفه يحدثه قائلاً: «لن تستطيع الوصول إليه..»

ملتفتاً نحو مصدر الصوت ليجد (ربيعة) يقف عند باب الحضيرة بوجه حزين..

(قماد) معيداً نظره لمحتوى الصندوق: ارحل يا (ربيعة)..

(ربيعة) مقترباً من (قماد): أعرف ما تنوي القيام به.. لا تفعل أرجوك

(قماد) ساحباً سيفه من الصندوق شاهراً نصله عند ذقن (ربيعة) وبنبرة هادئة لكن جنونية: اخرج من هنا قبل أن أصب جام غضبي عليك!

(ربيعة) دون اكتراث: وماذا ستفعل بعدها؟

كَزَّ (قماد) على أسنانه بغضب شديد دافعاً وجه (ربيعة) بغرس رأس السيف في جبينه محدثاً جرحاً صغيراً فيه: اغرب عن وجهي يا متسول!!

(ربيعة) دون أن يظهر أي جزع أو خوف من تهديد الزوج المكلوم:

إذا كنت مصرّاً على الانصياع للجنون الذي يعصف برأسك الآن فلن أحاول منعك لكن أعطني فرصة لمساعدتك

رمى (قماد) السيف جانباً رافعاً رأسه للأعلى صارخاً بصوت تخلله حشرجة بكاء..

(ربيعة): أنا أعرف أنك تنوي الذهاب للعاصمة لتحاول الانتقام لها وستموت عند بوابة القصر الملكي بلا شك.. فكر قليلاً كي لا تلحق بزوجتك

(قماد) يبدأ بتحميل الأسلحة على ظهر الفرس متجاهلاً المتسول العجوز: هذا شأني ولا علاقة لك به!

(ربيعة) وهو يراقبه خلال تجهيز الفرس: ماذا لو أخبرتك بأني أملك شيئاً يمكنك بواسطته الوصول للملك وتجاوز كل الحراسة التي يحيط نفسه بها؟

(قماد) يشد العقدة على المناجل الحديدية المربوطة بسرج الفرس: لا أريد شيئاً منك سوى التوقف عن الكلام والمغادرة

(ربيعة) رافعاً كفه: انتظرني فقط.. أرجوك.. لا ترحل قبل أن أعود..

استأنف (قماد) إخراج بقية الأسلحة من الصندوق ولم يرد عليه..

(ربيعة) وهو يهم بالرحيل: بضع ساعات وأكون هنا.. أستحلفك بروحها أن لا تترك المزرعة قبل عودتي

امتطى (ربيعة) فور خروجه من الزريبة أحد الخيول الملكية ورحل..

# الديك الأعور

بعد ما انتهى (قماد) من تجهيز الفرس بالعتاد قام بإطعامها وسقيها استعداداً للرحلة الطويلة نحو العاصمة وقبل أن يفعل ربطها بسور المزرعة ودخل المنزل وأشعل نار الموقد في المطبخ وسخن ملعقة حديدية كوى بها عينه المفقوءة ليوقف نزيفها. تذكر الرجل زوجته عندما رأى موقدها الذي كانت تطبخ عليه يشتعل وسرح بنارها وجمر حطبها لدقائق فقرر حرق المنزل والمزرعة وإطلاق جميع الدواب والمواشي في العراء. أشعل (قماد) النار في أركان البيت بشعلة أوقدها من الموقد وتوجه بعدها للزريبة خلف المنزل وفتح بابها على مصراعيه وطرد الأبقار والخراف قبل أن يشعل النار بها هي الأخرى. عندما وصل لعشة الدجاج لتحريرها وجد أن النار قد أمسكت في جدرانها وبدأت بالتهامها لأنها كانت مجاورة للزريبة والدجاجات كانت في

حالة من الذعر ففتح العشة ليخرجوا جميعاً بشكل هستيري وجماعي عدا الديك الأعور الذي وقف فوق أحد الأعمدة يرفرف بأجنحته ويصيح وكأنه يرفض الخروج.

(قماد) وهو يقف عند مدخل العشة المشتعلة وبنبرة هادئة: «ماذا تفعل أيها الأحمق؟.. اخرج قبل أن تهلك»

لم يتحرك الديك من مكانه وبقي فوق العمود يرفرف بجناحيه يصيح بأعلى صوته حتى انهار السقف عليه. رمى (قماد) بالشعلة ثم أخذ بضع خطوات للوراء وهو يراقب النار تلتهم ما تبقى من العشة متعجباً من تصرف الديك الأعور. لم يفكر طويلاً بالأمر وامتطى الفرس وشد لجامها للخلف راكلاً خاصرتها بكواحله صارخاً فيها: هيا!!

بدأت الفرس بالعدو بسرعة دون توقف وكان الوقت عند الظهيرة تقريباً وبسبب هوس (قماد) في الوصول للعاصمة بأسرع وقت وقد كانت تبعد عن مزرعته مسيرة أسبوعين بالخيل لم يمنح الفرس وقتاً للراحة حتى انهارت نهاية اليوم الثاني بعد عدو متواصل في منطقة جبلية وعرة وتوقفت هي بنفسها عند الغروب وهي تلهث من التعب والعطش. ترجل من على ظهرها مدركاً خطأه لكن الوقت قد فات لأن

الفرس وقبل أن يمد لها بعض الماء من قربته سقطت على الأرض ميتة.

وقف (قماد) في منتصف الطريق الجبلي الوعر يراقب مغيب الشمس ليخيم عليه ظلام ذلك المكان الموحش. أشعل ناراً وأنزل حمولة الفرس الميتة من على ظهرها وبقي يفكر في طريقة لاستئناف رحلته وحدَه، وخلال ذلك وسط هدوء المكان شعر بأنه يسمع دبيباً قادماً تجاهه فوضع أذنه على الأرض وتحقق من أن هناك من يقترب منه على ظهر دابة تعدو بسرعة. أمسك (قماد) بلجام فرسه الميتة وبدأ بسحبها كي تعترض طريق من هو قادم نحوه لكنه لم يستطع تحريكها إلا مسافة بسيطة بسبب ثقلها ومع ذلك كان مكانها مناسباً لعرقلة القادم لوقتٍ كافٍ لينقض عليه ويسرق دابته كما كانت نيته.

اختبأ (قماد) خلف صخرة كبيرة بالقرب من جثة الفرس منتظراً اللحظة المناسبة للهجوم على ضحيته بعد ما أخذ قوساً ومجموعة من السهام ليرمي بها العابر خلال مروره. وبالفعل وبعد عدة دقائق أقبل جواد يعدو بسرعة يركب فوقه رجل يرتدي رداء بني اللون يغطي رأسه بالكامل وما أن رأى جثة الفرس النافقة المعترضة لطريقه حتى شد لجام دابته وتوقف في الحال. ابتسم (قماد) عندما شاهد ما حدث

وشد سهماً على قوسه لكن وقبل أن يطلقه أزاح الرجل الغطاء عن رأسه كاشفاً عن هويته ليرى أنه (ربيعة) فأنزل نصل سهمه ووقف قائلاً: «ماذا تفعل هنا؟»

التفت (ربيعة) نحو (قماد) وتغيرت ملامح وجهه من القلق للبهجة ليترجل عن ظهر جواده ويجري إليه مسرعاً وهو يقول: «سوء طالعك بركة في الخفاء!»

(قماد) يشد السهم مرة أخرى موجهاً رأسه لوجه (ربيعة): لمَ لحقت بي؟!

(ربيعة) وهو يمد يده في جيب صدره: أخبرتك بأني أريد مساعدتك

(قماد) بنبرة آمرة: أبعد يدك عن سلاحك!

(ربيعة): هذا ليس سلاحاً..

(قماد) بحذر شديد: أخرجه ببطء وهدوء وأي حيلة منك سأقتلك دون أن يرتد لي طرف ولن تأخذني بك رأفة أو شفقة..

أخرج (ربيعة) شيئاً ملفوفاً في قطعة من القماش لم تتضح ملامحه..

(قماد) بأعين متفحصة: ما هذا؟

(ربيعة): هل يمكن أن تهدئ من روعك لنجلس ونتحدث قليلاً؟..
أنا لست عدوك

(قماد) مستعيدًا بعضَ تركيزه منزلاً السهم والقوس مرة أخرى: حسناً

جلس الاثنان عند الصخرة بعد ما أشعل (ربيعة) ناراً وبقيا صامتين لفترة ليست بالقصيرة وكأن كلًّا منهما ينتظر الآخر أن يبدأ بالحديث..

(ربيعة): لمَ أنت صامت؟

(قماد): كانت (شادِن) تؤمن بأن الصمت مفتاح الكلام وأنك إذا أردت معرفة ما يدور في دواخل غيرك فيجب عليك الصمت والإنصات أكثر مما تتحدث.. «ينكشف الكثير بصمتهم أكثر من حديثهم..» .. هذا ما كانت تقوله لي دوماً.. وعلى أي حال ليس لدي شيء أقوله لك.. أنت من لحق بي فهات ما عندك

(ربيعة): أريد قبلها أن أعزيك في..

(قماد) مقاطعاً: لا تكمل كلامك.. فهي لا تزال تسكنني وتعيش بداخلي وكون جسدها قد رحل فهذا لا يعني أني سأتعامل معها وكأنها لم تكن.. حتى وإن كان ذلك مؤلماً

(ربيعة): الألم الذي تشعر به الآن سيزول مع الوقت.. أعدك بذلك

(قماد): ومن قال لك بأني أريده أن يزول؟.. لا أريد نسيان الألم أبداً فهو كل ما تبقى لي منها..

(ربيعة): ماذا عن ذكرياتك الجميلة معها؟.. هل سترمي بها جانباً وتبقي على ألم فراقها؟

(قماد): هذا هو الشيء الوحيد الذي سيحولني للوحش القادر على الأخذ بحقها وبعدها فليحدث ما يحدث.. ثم إني لا أنوي البقاء.. الحياة لن تفارقني بل أنا من سيرحل عنها باختياري.. سأنتزع روحي من جسدي بنفسي لكن ليس قبل أن آخذ بثأري وثأرها وأرى ذلك الكلب المسعور هالكاً..

(ربيعة): لا حاجة لهذا لأنك ستموت شر ميتة تحت أقدام (جبليس) وستفارق الحياة رغماً عنك

(قماد): هل قطعت كل هذه المسافة لتخبرني بذلك؟

(ربيعة): لا..

أزال (ربيعة) قطعة القماش عما كان يخفيه كاشفاً عن قناع مصنوع من الذهب الخالص بملامح ذائبة ومشوهة..

(قماد): إذاً فما كان يشاع عنك حقيقة وهو أنك ميسور الحال وتدعي الفقر

(ربيعة): ليس كل من ملك الذهب يصبح ثريّاً..

(قماد): ماذا تقصد بهذا الكلام؟

(ربيعة): كانت السماء غاضبة ذلك اليوم.. ترعد وتبرق وكأنها نهاية العالم.. الأمطار انهمرت وكأن سدّاً في السماء قد هُدم وتهاوى.. عصفت الرياح المحملة بالأمطار ففاض النهر وغرق الناس.. جريت مرعوباً للغابة في المرتفعات بحثاً عن ملجأ ووجدته في كهف يقع بالقرب من «الفلك المقدس» فلجأت إليه وبقيت فيه حتى تمر العاصفة الهوجاء بسلام وخلال تجولي في الكهف العميق تعثرت بهذا القناع فالتقطته وكانت سعادتي لا توصف عندما رأيت أنه مصنوع من الذهب وتيقنت وقتها بأني أصبحت من الأغنياء.

(قماد): لكنك لا تزال تتسول..

(ربيعة): لأن القناع لم يكن كما حسبته.. القناع له تاريخ مظلم.. ففي اليوم الذي عدت فيه لمنزلي بعد ما وجدته لبسته ولم أرَ من خلاله منزلي بل رأيت مدخل الكهف الذي وجدته فيه وهنا علمت بأنه ليس مجرد

قناع مصنوع من الذهب فبدأت بالسؤال عن تاريخ الكهف عند بعض الشيوخ المعمرين وعرضت القناع عليهم ومن هنا بدأت إشاعة أنني رجل ثري يدعي الفقر بسبب امتلاكي لذلك القناع الذهبي

(قماد): وهل تلومهم؟

(ربيعة): لا لكن لم يكن هذا سبباً للجحيم الذي تعرضت له بسبب تلك الإشاعة..

(قماد): أتفق معك.. بعض الأشياء تلمع كالنعم مُخفية خلفها جحيماً من النقم..

(ربيعة): على أي حال.. علمت بأن الكهف يدعى بـ «كهف الشيطان الأسير» وأن القناع يعود لابنته (أديس) التي كانت تحاول تحريره وأنها لبسته في كل مرة زارته فيها

(قماد): وماذا فعلت بعد ما اكتشفت تلك الحقيقة؟

(ربيعة): قررت إذابته لأستفيد منه وأبيع الذهب الخام لكنه لم يذب مهما عرضته لحرارة عالية.. تغير شكله فقط كما ترى.. حاولت كسره ولم أستطع أيضاً.. شعرت وقتها بأن القناع يحمل لعنة ما

(قماد): لمَ لم تحاول بيعه وهو على هذه الحالة؟.. سيكون هناك من يرغب بشرائه بالتأكيد

(ربيعة): ذلك ما نويت فعله بالفعل لكن ذلك قبل أن أكتشف قدرته العجيبة التي اكتسبها من النار التي عرضتها له

(قماد): عن أي قدرة تتحدث؟

(ربيعة): عندما فشلت في إذابة القناع جربت أن ألبسه مرة أخرى وهذه المرة لم أرَ مدخل الكهف كما حدث في المرة الأولى بل رأيت من خلاله مثل أي قناع طبيعي

(قماد): يبدو أنه فقد مزاياه السحرية وليس العكس

(ربيعة): هذا ما ظننته في بادئ الأمر لكن القناع أصبح مختلفاً عندما جربته بعد تغير شكله.. في السابق كان يجب عليّ أن أسنده بيدي كي يبقى ملتصقاً بوجهي ولا يقع لكنه هذه المرة ثبت دون أن أحتاج لذلك.. في الواقع كان وكأنه يلتصق بوجهي ويتشبث به وعندما حاولت نزعه وجدت صعوبة ومشقة كبيرة

(قماد): هذه ليست قدرة عجيبة.. غريبة ربما لكن ليست عجيبة

(ربيعة) رافعاً سبابته: انتظر لم أكمل لك ما حدث بعد ذلك

(قهاد): حسناً أكمل

(ربيعة): في إحدى الليالي وخلال لبسي للقناع لمحاولة كشف قدراته الأخرى شعرت بالتعب وقررت أن أنام وبدأت بمحاولة خلعه لكن وكالعادة كان يمانعني ويقاوم ذلك حتى غلبني التعب والنعاس ونمت به دون نزعه عن وجهي وبعد عدة ساعات استيقظت لأجد منزلي مقلوباً رأساً على عقب

(قهاد): بسبب القناع؟

(ربيعة): لا.. مجرد لص اعتيادي ممن صدقوا إشاعة ثرائي أتى لسرقة منزلي لكن هذا اللص ترك لي شيئًا قبل خروجه ومن خلاله اكتشفت قدرة القناع

(قهاد): لص يترك بدل أن ينهب؟.. ماذا ترك لك؟

(ربيعة) وهو يشير لصدره: خنجراً مغروساً في قلبي.. السارق طعنني خلال نومي قبل أن يرحل.. أو ربما عندما تسلل لمنزلي ليتيقن من عدم نهوضي ومقاطعته خلال سرقته ويبدو أنه كان مستاءً لأنه لم يجد شيئاً يستحق السرقة كما كان يتوقع

(قماد): أنا لا أفهم ماذا تعني..
(ربيعة): أعني أن لبسي للقناع خلال نومي حال دون موتي بطعنة الخنجر
(قماد): هل تتوقع أن أصدق هذا الهراء؟.. ثم كيف لم يرَ السارق القناع المصنوع من الذهب الخالص على وجهك وهو يطعنك وحاول سرقته؟
(ربيعة): لأني كنت نائماً على بطني ومتغطياً باللحاف لهذا السبب لم ينتبه للبسي له
(قماد) بنبرة مكذبة: نعم نعم.. أكمل.. ماذا حدث عندما نزعت القناع؟
(ربيعة): نزعت الخنجر ولم أنزع القناع.. كنت خائفاً جدّاً مما قد يحدث لو خلعته قبل أن يبرأ الجرح ولم أقوَ على ذلك إلا بعد عدة أسابيع عندما تحققت من أن الجرح قد برأ تماماً
(قماد): وكيف واجهت الناس وأنت ترتدي القناع؟.. كيف أكلت؟.. كيف شربت؟.. قصتك مليئة بالتناقضات
(ربيعة): لم أخرج من منزلي طيلة تلك الفترة ولم أشعر بالجوع أو العطش أبداً وأنا مرتدٍ لذلك القناع.. وبقيت على قيد الحياة

(قماد) وهو مستمر بنبرته الساخرة غير المصدقة: ربما يكون بسبب آخر غير القناع وأنت قد ربطت ذلك به

(ربيعة) محاولاً إقناعه بصدق كلامه مشيراً لندبة على جانب عنقه: انظر!.. لقد تحققت بنفسي

(قماد) باستغراب وهو يشاهد ندبة كبيرة امتدت على جانب عنق

(ربيعة): ما هذا؟

(ربيعة): لبست القناع مرة أخرى وقطعت أوداجي بسكين حادة ولم أشعر بشيء وبقيت أنزف حتى ظننت أن دمي قد تصفى بالكامل ولم يحدث لي مكروه وانتظرت مرة أخرى حتى برأ جرحي وخلعت القناع بعد مضي عدة أسابيع أخرى

(قماد) يمد يده ويأخذ القناع ويحدق فيه: تقصد أن هذا القناع..

(ربيعة): يمنحك الخلود.. وبه ستخترق حصن الملك (جبليس) لتثأر لزوجتك ولن يستطيع أحد إيقافك

صمت (قماد) وبقي سارحاً في ملامح القناع الذهبي شبه الذائبة ولم يقل شيئاً..

(ربيعة): هل تريد إثباتاً؟.. يمكنني أن ألبسه الآن وأريك أني أصبح مخلدًا بارتدائه

(قماد) يبتسم بحزن وعيناه على القناع: كنت أتمنى أن ما تقوله حقيقة..

إذا كنت تريد مساعدتي فعلاً فأعرني جوادك كي أكمل رحلتي نحو العاصمة وسأكون شاكراً لك

تجهم (ربيعة) لعدم تصديق (قماد) له وخطف القناع من يده ولبسه..

توهجت فتحات أعين القناع لوهلة خاطفة بوهجٍ أصفر وقبل أن يقول (قماد) شيئاً سحب (ربيعة) سيفه من غمده وغرسه في صدره مخترقاً قلبه. صدم (قماد) لما رآه وتفاقمت تلك الصدمة عندما وقف (ربيعة) باسطاً ذراعيه مستعرضاً بأنه لم يتأثر بتلك الطعنة ثم قال: هل تصدقني الآن؟!

نهض (قماد) من مكانه وعلى وجهه علامات التعجب والانبهار لكنها تحولت تدريجيّاً للإحباط والخيبة..

(ربيعة) ملاحظاً التغير على (قماد): ما بك؟

(قماد) بوجهٍ مكتئب: لا شيء..

(ربيعة): من المفترض أن تكون مبتهجاً لأنك ستحصل على مفتاح انتقامك ممن ظلموك

(قماد): وكيف سأحصل عليه الآن؟.. لن تستطيع خلع القناع قبل أن

يبرأ جرحك وهذا لن يحدث إلا بعد مرور أسابيع وأنا لا أملك هذا الوقت أو الصبر للانتظار

وضع (ربيعة) كفيه على جرح صدره النازف مدركاً خطأه وتسرعه..

(قماد) موجهاً نظره للدابة التي أتى بها (ربيعة): فقط أعرني دابتك وسأكتفي بهذه المساعدة

(ربيعة) بحزن وانكسار: أنا أسف لم أفكر بشكل صحيح

(قماد): لا بأس.. مجرد محاولتك مساعدتي محل تقدير عندي وعند (شادِن).. هل ستتمكن من العودة وحدَك بعد ما آخذ جوادك؟

(ربيعة) وهو لا يزال مستاء من نفسه: نعم على ما أظن..

(قماد): هل أنت واثق؟.. المكان موحش وبه الكثير من المخاطر والوحوش المفترسة.. يمكنني إيصالك لأقرب مدينة قبل أن أنطلق نحو العاصمة لو رغبت

(ربيعة): لا لا.. سوف أتدبر شؤوني.. أكمل طريقك أنت

(قماد): وكيف ستسير وذلك السيف مغروس في صدرك؟.. ستثير الشبهات حولك

(ربيعة): سأخفيه بطريقة ما.. لا تقلق

(قماد): حسناً كما تشاء

بدأ (قماد) بنقل أسلحته وعتاده من دابته الميتة وقام بتحميلها على جواد (ربيعة) المهموم حتى وإن كانت ملامحه مخفاة خلف القناع الذهبي لكن ذلك كان جليّاً من خلال نبرة صوته. اعتلى (قماد) الدابة وشد لجامها بينما اقترب منه صاحبه ماسحاً على جبين الجواد قائلاً: «الحياة غير عادلة..»

(قماد): العدالة في الموت فقط..

(ربيعة): لا مجال إذاً لكي تتراجع وتعيش بسلام وتبدأ حياة جديدة؟

(قماد) موجهاً نظره للطريق المظلم أمامه: السير وحيداً باختيارك نحو الهاوية خير لك من المشي مغيباً مع القطيع.. لقد تركت للأقدار تحديد مصيري طيلة عمري.. حان الوقت أن أتولى زمام أموري وأنتزع حقي انتزاعاً منها.. لم أعد خائفاً من الموت في سبيل ما أريد بل على النقيض تمامًا.. أتوق لذلك

(ربيعة) مبتسماً من وراء القناع: معك حق..

(قماد): في ماذا؟

(ربيعة) وهو ينزع القناع الذهبي: في أننا يجب أن نختار طريقنا ونحدد مصيرنا دون خوف من العواقب..

(قماد) صارخاً فيه: ماذا تفعل يا أحمق؟!

مد (ربيعة) القناع لـ (قماد) وقد بدأ بالتقهقر عندما صعقه الألم المفاجئ من الجرح الغائر في صدره وهو يقول: خذ القناع وخذ به حقك وحقها ممن ظلموكما.. خذ حقك كاملاً غير منقوص..

ترجل (قماد) عن دابته وأسند رأس (ربيعة) على صدره وقال له معاتباً: لمَ فعلت ذلك؟!.. لم يكن عليك التضحية بنفسك لأجلي!

(ربيعة) والدماء تخرج من فمه: لم أفعل هذا لأجلك.. بل لأجلي.. لقد سئمت حياتي البائسة وأريد أن أختمها بتضحية تستحق.. لا تنسَ أن تأخذ سيفك معك..

فارقت روح (ربيعة) جسده وسقط القناع الذهبي على الأرض..

دفن (قماد) المتسول العجوز في حفرة على قارعة الطريق بعد ما استعاد سيفه وأخذ القناع وقال وهو يقف فوق القبر الحديث ويهم بلبسه: «أبلغ (شادِن) سلامي.. سأكون معكما قريباً..»

لبس (قهاد) القناع الذهبي فتوهجت فتحاته بوهجٍ أحمر وشعر بأن عظام جسده اهتزت لثوانٍ ليستعيد تركيزه بعدها ويجري نحو جواد (ربيعة) ويقفز فوق ظهره منطلقاً نحو العاصمة. بعد مسيرة يومٍ ونصف اليوم دون توقف أقبل على مدينة من المدن الكبيرة التابعة للمملكة وحين رآها تذكر ما حدث لدابته السابقة وكيف ماتت من التعب والإرهاق فقرر التوقف والتزود بالماء والزاد وإعطاءَها فرصة للراحة. دخل (قهاد) من بوابة المدينة الرئيسة وتوجه مباشرة للأماكن المخصصة للعناية بالخيول ومد لجام فرسه لصاحب المكان الذي شعر بالخوف من شكله وقناعه لكنه لم يسأل أو يناقش وبدأ بالاهتمام بالدابة بعد ما قال له (قهاد): «سأعود لك بعد ساعتين..»

قبل أن يتحرك من المكان وجد نفسه محاصرًا من قبل مجموعة من الفرسان المسؤولين عن حفظ الأمن بالمدينة والذين لفت نظرهم شكله وقناعه الغريب وقال قائدهم بنبرة ساخطة: «من أنت؟!.. ولمَ أتيت لمدينتنا؟»

توهجت أعين القناع باللون الأحمر عندما شاهد (قهاد) شعار الحرس الملكي على درع من كان يتحدث معه واشتعل الغيظ في قلبه فالتفت

خلفه وسل أحد المناجل الحديدية المعلقة على سرج دابته ورماه تجاه قائد الكتيبة وركزه في صدره ليسقط صريعاً ويدب الهلع بالسوق بين صراخ وهروب للناس. هجم الفرسان عليه مشهّرين سيوفهم لكن المعركة لم تدم طويلاً قبل أن يقتلهم جميعاً سوى فارس واحد تمكن من الهرب في حموة المعركة جرياً على أقدامه. أصيب (قماد) بعدها بنوع من الهلوسة وفقدان السيطرة على نفسه ولم ينتظر دابته لترتاح وقفز على جوادٍ من الكتيبة الملكية وانطلق به خارج المدينة مكملاً طريقه نحو العاصمة.

خلال الرحلة زاد (قماد) جنوناً وأصبح يتوقف عند كل بلدة أو مدينة في طريقه ويقوم بالأمر نفسه.. يقتل جميع الحراس ويأخذ دابة جديدة ويكمل رحلته وبالرغم من أنه تعرض في بعض المواجهات لطعنات وإصابات بالسهام إلا أنه كان يستمر ولا يتوقف مما أثار الرعب في نفوس كل من واجهه وذاع صيته بالمدن المجاورة التي لم يصل إليها بعد وأصبح الحراس يتجنبون الصدام معه واعتراض طريقه عندما يصلهم خبر دخوله المدن التي يحرسونها.

بسبب اتباعه هذا النهج وصلت الأخبار للملك (جبليس) عن

(الفارس المخلد) الذي لا يموت وعلم من رسله الذين نقلوا له أخبار تحركه أنه متوجه للعاصمة مما أثار الرعب بقلبه ودفعه للتحصن في قصره واستدعاء الجيش بأكمله لمحاصرة المكان وحمايته ومنع أي أحد من الدخول عليه حتى يتم القضاء على هذا الفارس المجهول.

بلغ هوس (قماد) وهلوساته قمتها قبل بلوغه للعاصمة بيوم واحد لدرجة أنه لم يستطع السيطرة على الجياد التي كان يركبها لأنه يشد على لجامها بقوة وعنفٍ يكسر رقابها مما دفعه للتخلي عن امتطاء الدواب والجري بنفسه صارخاً من وقت لآخر خلال الطريق كالمجنون ملوحاً بسيفه. جسد (قماد) في ذلك الوقت أصابه الكثير من الطعنات والسهام والعديد من الكسور جراء سقوطه المتكرر من فوق الدواب لكنه لم يشعر بأي ألم بالرغم من خذلان بعض أطرافه له من وقت لآخر بسبب تهالكها وانتشار المرض فيها ومع ذلك استمر ولم يتوقف.

وصل (الفارس المخلد) لبوابة قصر الملك (جبليس) ليجد أمامه جيشاً عرمرماً من الخيالة والرماة والجنود المدججين بالأسلحة والدروع بانتظاره فوقف يتأملهم وهم يتأهبون لمواجهته وبقي يراقبهم بأعينه المتوهجة احمراراً وقلبه المشتعل غضباً ورغبة في الإقدام والانتقام لكن

ما تبقى من عقله كان يناجيه ويخبره أنه لن يتمكن من تجاوز ذلك الحشد الكبير بجسده الممزق وعظامه المحطمة وخلال تأمله والريح تداعب شعره سمع همساً في أذنه يقول: «سوف نعقد معك اتفاقاً أيها الفارس المخلد..»

لم يكن (قماد) بحالة عقلية تسمح له بالتمييز بين الواقع والخيال فأجاب قائلاً: «اتفاقاً من أي نوع؟»

أجابه الصوت الهامس في أذنه قائلاً: سنمكنك من الوصول للملك لكن بشرط أن تعطينا القناع بعد ما تحصل على مرادك..

(قماد): أنا لم أكن أنوي الاحتفاظ به من الأساس.. موافق.. خذوني إليه..

وفي لمح البصر وجد (قماد) نفسه داخل القصر وتحديداً وسط القاعة الكبيرة التي تحصن فيها الملك (جبليس) مع مجموعة من الحراس المدججين بالحراب والسيوف ومجموعة أخرى من الرماة المحترفين يقفون خلف عرشه وما أن رأوه يتجلى أمامهم حتى صرخ الوزير فيهم وهو يشير بسبابته نحوه قائلاً:

«إنه (الفارس المخلد).. اقتلوه في الحال!.. احموا الملك!..احموا الملك!»

رفع (قماد) سيفه واشتبك مع الحراس وأخذ يقتلهم واحداً تلو الآخر ومع كل جثة تسقط يقترب أكثر من الملك المفزوع الذي اصطف الرماة أمامه وشدوا على سهامهم ذات الرؤوس الحديدية منتظرين الأوامر بإمطاره بسهامهم. ما كان يمنعهم وقتها من إطلاق السهام هو خوفهم على زملائهم من أن يصابوا لكن الوزير وعندما رأى أن الغلبة ستكون لـ (قماد) لا محالة أعطى الأمر متجاهلاً ما قد يحدث للحراس المتعاركين معه وبالفعل انطلق وابل كبير من السهام أصابت جميعها من كان وسط تلك القاعة بمن فيهم (الفارس المخلد) الذي أصيب بعشرة منها في أجزاء متفرقة من جسده لكنه ظل واقفاً يتنفس غاضباً بثقل محدقاً بهدفه التالي.. الملك (جبليس).

أصيب الرماة بالفزع من ذلك المنظر وسرحوا في الفارس الذي بدأ بالجري نحوهم صارخاً بأعلى صوته. قُطع سرحانهم بصرخة مماثلة من الوزير يأمرهم فيها بشد السهام مرة أخرى وإطلاق المزيد منها تجاهه لكنهم لم يلحقوا لأنهم وجدوا حد سيف (الفارس المخلد) يقطع رقابهم وأطرافهم حتى قضى عليهم جميعاً ولم يبقَ سوى الملك الجالس على عرشه والوزير الراجف بجانبه.

سار (قهاد) بخطواتٍ ثابتة وواثقة نحو الملك وقبل أن يحاول (جبليس) النهوض أعاده رأس السيف المغروس بقلبه لمكانه. وخلال ضغط (الفارس المخلد) على المقبض غارساً السيف أعمق في صدر الملك قال: «القتل يكون أكثر متعة عندما يكون المقتول يستحق ذلك..»

هرب الوزير من المكان ولم يحاول مساعدة الملك المحتضر..

(قهاد) واضعاً إبهامه وسبابته عند ذقن القناع ويهم بنزعه: «فليكن هذا كفارتي عن كل الأعمال الخسيسة التي قمت بها لأجلك..»

(الملك جبليس) وهو في سكرات الموت: من أنت؟

(قهاد) يخلع القناع الذهبي بيد وباليد الأخرى يدفع مقبض السيف أكثر مخرجاً رأسه من ظهر الملك: «أنا؟.. أنا الديك الأعور..»

سقط القناع على الأرض الرخامية بينما صعق (قهاد) بكمية هائلة من الألم جراء تكالب جميع الإصابات التي تعرض لها منذ لبسه القناع وإحساسه بها دفعة واحدة.. جميع الطعنات والجروح.. الكسور وتحطم العظام.. الإرهاق والتعب.. الجوع والعطش.. جميعها انفجرت بداخله ونزعت روحه في لمح البصر ليموت وكفوفه مسندة على مقبض السيف المغروس في قلب الملك.

مجموعة من الرجال الضخام ببشرة سوداء ورؤوس حليقة وأقدام حافية يظهرون حول العرش..

يتقدم أحدهم ملتقطاً القناع الذهبي بصمت..

يلقي نظرة على العرش..

يختفي في الهواء ومن خلفه المجموعة التي أتت معه..

# صاحبة الجنون الجميل

«وما علاقة كل هذا بما نفعله الآن..؟»

قالتها (رافدة) وهي تحرك أذرعها فوق سطح الماء..

(كُميت): ومن هؤلاء القوم الذين أخذوا القناع؟

(أنمار): قبيلة من قبائل الجن الكبيرة.. (أديس) دمها كان مهدوراً عند الجن وقد قتلت هنا في هذه الواحة على يد أحد المعمرين منهم عندما قدم للواحة لقضاء آخر أيامه والموت فيها كما تقضي عاداتهم وقد أرادت قبيلته تكريمه بدفن قناعها معه لذا جابوا الأرض بحثاً عن القناع الذهبي ولم يكتشفوا مكانه إلا بعد ما حصل عليه (قماد)

وذاع صيت (الفارس المخلد). الجن كانوا يتشاءمون من هذا المكان ولا يأتونه إلا للموت فقط لكن وبعد مقتل (أديس) فيه على يد المعمر أصبح قبره مزارًا لهم وسكنى للبعض الآخر.. المكان يعج بهم الآن وأنا أريد الحصول على القناع لأخذه معي عند عودتي لـ «فارس» لأستخدمه في مواجهة خالتي وأخواتي

(رافدة): لمَ لا تبقين بأرض أمك وتنسين فكرة العودة؟.. أم أنكِ لا تملكين عروبة كافية في دمائك تدفعك لذلك؟

(أنهار): «عروبتي كجسدي.. ممزقٌ ومليء بالندب، لكن روحي حرةٌ نقيةٌ تحدوني شوقاً لفارس..» .. أنا لا أمقت أيّاً من أصولي ولا أعشق أحداً على الآخر فكلاهما جزء لا يتجزأ مني.. لكني أشعر أحياناً أن قلبي مقسوم لشقين وكل قسمٍ يكره الآخر ويريد الابتعاد عنه ويقسمانني نصفين بشق صدري .. في كل الأحوال مهما كانت مشاعري منقسمة على نفسها سأعود لـ «فارس» رغماً عن خالتي وسأكون جاهزة لمواجهتها.. والقناع الذهبي سيزيد من قوتي»

(كُميت): لمَ لم تخبرينا بكل ذلك عند النار؟

(أنهار): لم أرد أن يسمعني الجن القاطنون هنا وأنا أحكي لكما عن نيتي فهم لا يستطيعون الإنصات إلينا ونحن وسط الماء

(رافدة): وهل تعرفين أين قبر الجني المعمر حيث دفن القناع؟

(أنهار): لا.. وهذا ما أحتاجكما فيه

(كُميت) بقلق: ماذا تريدين منا أن نفعل؟

(أنهار): أريد منكما السير معي والتجول في الواحة حتى أتعرض للهجوم

(رافدة): هجوم؟

(أنهار): نعم.. الجن يتعرفون على السحرة بسهولة ولو اقتربت من قبر المعمر قاتل (أديس) حيث القناع مدفون سيحاولون منعي وسيكشفون مكانه.. هنا يأتي دوركما.. احفرا عند جذور النخيل القريبة من مكان تعرضي للهجوم حتى تجدا القناع

(كُميت): سنتعرض للهجوم نحن أيضاً

(أنهار): لا.. لن يحدث ذلك فهم لا يتعرضون لغير السحرة لمعرفتهم بأنهم هم فقط من يريدون استخدام القناع الذهبي لأغراضهم الخاصة

(رافدة): وبعد ما نجده.. ماذا نفعل به؟

(أنهار): خذاه معكما واخرجا خارج الواحة مع (دوسر) و(عوراء) لكن تذكرا أن لا تحفرا أكثر من ثلاث حفر وإلا فسوف ينتبهون لكما

(كُميت): معنى هذا أن لدينا ثلاث محاولات فقط

(أنهار): بالضبط.. لا تنسيا ذلك وإلا هلكتما

(رافدة): وإذا لم نجد القناع في أي من الحفر التي سنحفرها؟

(أنهار): توقفا وارحلا فوراً

(كُميت): وأنتِ؟

(أنهار): سألحق بكما بعد ما أتخلص منهم

(رافدة): هل تملكين القوة الكافية للتخلص من مجموعة من الجن يحاولون قتلك؟

(أنهار): لا عليك.. أنا مستعدة لهذا اليوم منذ زمن طويل.. فقط احصلا على القناع واهربا من المكان في الحال

صمتت الفتاتان ووجهتا أنظارهما بعضهما لبعض وتبادلتا نظرات الحيرة والتوتر..

(أنهار) محركة أذرعها عائدة: هيا كي لا نضيع الوقت..

عاد الثلاث للنار المشتعلة حيث تركن (عوراء) و(دوسر) اللذين كانا لا يزالان يغطان في نومٍ عميق فقالت (أنهار) وهي تشير شرقاً:

«لنبدأ بالسير بهذا الاتجاه وتذكرا ما قلته لكما جيداً ونفذاه بالحرف..»

(رافدة): انتظري.. أين المخرج من هنا؟.. نحن وسط الواحة ولم ندخلها بأقدامنا ولا نعرف طريق الخروج منها

(أنهار) تشير للغرب: عندما تعودان لأخذ الصغيرين استمروا بالجري بهذا الاتجاه حتى تنتهي الواحة وابتعدوا مسافة كافية ولا تبقوا عند أطرافها

(كُميت): وكم من الوقت يجب علينا انتظارك حتى نفقد الأمل بعودتك؟

(أنهار) وقد بدأت بالسير شرقاً: إذا أشرقت الشمس ولم أعد فهذا يعني أني لم أنجُ.. خذن (دوسر) معكم واعتنين به

سارت المجموعة واستمررن بالسير والتوغل في الواحة المظلمة ذات الأشجار الكثيفة..

(أنهار) وهي في المقدمة: لا تسيرا بالقرب مني كثيراً.. اجعلا بيني وبينكما مسافة بمقدار عشر خطوات على الأقل

نفذت الفتاتان ما أمرتا به وبعد وقت قليل من السير توقفت الساحرة الهجينة وقالت: هل تسمعان ذلك؟

(رافدة) محاولة الإنصات: نسمع ماذا؟

(كُميت): لا لم نسمع شيئاً

(أنهار) تجول بنظرها في الظلمة: لقد اقتربنا.. أحس بذلك

(رافدة) هامسة لأختها: هذه الفارسية مجنـ..

فجأة وبدون مقدمات سمع الجميع عدة صرخات مخيفة كأصوات السباع الغاضبة تبعها ارتطام (أنهار) بأحد أجذع النخيل وكأن شيئاً دفعها بقوة وقبل أن تنهض سُحبت بسرعة من أقدامها مختفية عن أنظار الفتاتين في ظلمة الواحة واللتين وقفتا متسمرتين برعب. اختفت الساحرة الهجينة لكن صوتها كان مسموعاً في الأفق المظلم وكانت تصرخ بغضب بالفارسية وكأنها في عراك محتدم.

(كُميت) تخرج من صدمتها: هيا لنحفر!

(رافدة) مستعيدة تركيزها: نحفر أين؟!

(كُميت) مشيرة لنخلة أمامها: لقد تعرضت للهجوم هناك!

(رافدة): هل أنتِ واثقة؟!

(كُميت) تجري حيث أشارت: نعم.. أعتقد!

بدأت الحجازية بالحفر عند جذور النخلة التي أشارت إليها و(رافدة) تقف بجانبها وتقول بقلق: وأنا؟.. أين أحفر؟!

(كُميت) مستمرة بالحفر وصوت صراخ (أنهار) يعلو أكثر خلفهما: لا أعرف!.. اختاري أي نخلة قريبة مني!

لم يستغرق الأمر مطولاً حتى وقعت عين البدوية على نخلة أخرى وبدأت بالحفر عند جذورها وهي تنظر خلفها قائلة: هل تظنين أنها ستنجو؟!

(كُميت) منهمكة بالحفر بيديها العاريتين وبصوت مرتفع: لننتهِ من الحفر بأسرع وقت وكفي عن الحديث!

لم تتوقف الفتاتان عن الحفر إلا عندما حل الهدوء فجأة وتوقفت (أنهار) عن الصراخ وخيم هدوء مخيف في المكان..

لم تتكلم أيٌّ منهما لثوانٍ واكتفتا بالنظر لكفوفهما المتسخة بالتراب حتى قالت (رافدة) بصوت أشبه بالهمس المليء بالخوف والتوتر: هل نكمل الحفر؟

(كُميت) بنبرة مماثلة: لا أعرف..

خرج وهج ناري ضخم فوق المنطقة التي كانتا تحفران فيها ليتشكل أمامهما مارد كبير خاطبهما بنبرة غاضبة قائلاً: «كيف تجرؤْن؟!»

لم تنتظر الفتاتان أكثر ونهضتا وجرَتا هروباً من المكان دون الالتفات خلفهما حتى وصلتا لـ (عوراء) و(دوسر) وأيقظتاهما وخرجتا بهما من الواحة فوراً. (كُميت) حملت الفتى الصغير على كتفها أما (رافدة) فقد شدت الصبية من لباسها وأنهضتها بالقوة معها. بعد تجاوزهم أشجار النخيل للمنطقة المفتوحة لم تتوقف الفتيات عن الجري بهلع حتى أصبح الجميع بعيدين عن الواحة وفي قلب صحراء مقفرة ووقفوا فوق تلة رملية عالية يشهقون بسرعة باحثين عن الأنفاس عدا (دوسر) الذي كان يراقب الواحة في الأفق البعيد قائلاً: أين الخالة (أنهار)؟

(كُميت) وهي تنزله أرضاً على ركبها وتتنفس بثقل: ستأتي بعد قليل..

(دوسر) ونظره سارحٌ بالواحة وبهدوء: هل أصيبت بنوبة أخرى؟

(كُميت) بخليط من التعجب وعدم الاستيعاب: نوبة؟.. نوبة ماذا؟

(عوراء) مبتلعة ريقها من الإجهاد: لمَ كنا نجري بهذا الشكل؟

(رافدة) رافعة جذع جسدها المنحني من الإرهاق موجهة نظرها للواحة البعيدة: نامي الآن وسنتحدث في الصباح

(عوراء) بعصبية: كيف أنام بعد ما أفزعتني بهذا الشكل!.. لقد شددتِ شعري بقوة!

(رافدة): هل كان ذلك شعرك؟.. ظننته لباسك

(عوراء) صارخة فيها: لا لم يكن لباسي!

(رافدة) آخذة بضع خطوات للأمام متجاهلة (عوراء) موجهة حديثها لـ (كُميت) ونظرها للواحة في الأفق: هل تظنين أنها ستخرج؟

(كُميت) تنهض منزلة لثامها مشاركة أختها النظر للواحة: سننتظر حتى تشرق الشمس كما قالت

(رافدة) ملتفتة إليها: ثم ماذا؟.. نحن في مكان مجهول بلا دواب أو أسلحة

جلست الحجازية حيث كانت تقف وقالت: لا أريد التفكير بهذا الأمر الآن..

(دوسر) وقد بدأ يدمع: أين خالتي؟

(رافدة) مطمئنة له: ستنضم إلينا قريباً لا تقلق

احتضنت (عوراء) الصبي الحزين من الخلف وهمست في أذنه قائلة: «تعال معي لننام..»

(دوسر) بحزن: أنا لا أستطيع النوم إلا في حضن الخالة (أنهار)

(عوراء) مبتسمة: جرب حضني أنا وإذا لم يعجبك فسوف نلعب بالرمال حتى تعود.. ما رأيك؟

هز (دوسر) رأسه بالموافقة بوجه مكتئب ثم استلقى الصغيران على الرمال الباردة واحتضنا بعضهما بعضاً وعلى الفور غط الصغير في النوم ومن بعده (عوراء) بعد أن قبلت جبينه..

بقيت (رافدة) واقفة تمعن النظر في الواحة ولم تجلس بجانب أختها الحجازية التي قالت لها: هل أنتِ قلقة عليها؟

(رافدة): من؟.. أنا؟.. لا أبداً.. أنا قلقة على حالنا فقط لو لم تخرج وهلكت على يد الجن

(كُميت) مبتسمة: لمَ تكرهينها؟

(رافدة) تزيح نظرها عن الواحة وتجلس بجانب (كُميت): أنا لا أكرهها لكن هذا لا يعني أني أحبها أو حتى مطمئنة لها.. تبقى فارسية والعمة كانت تقول دوماً بأنهم ليسوا أهلاً للثقة وأنا أثق برأيها

(كُميت): ماذا عن عرقها العربي؟.. هي ليست فارسية بالكامل

(رافدة): ألم تسمعي كلامها؟.. أنها لا تريد البقاء هنا وتشتاق لأصول أبيها وتريد العودة لمسقط رأسها

(كُميت): هذا لا يجعلها إنساناً سيئاً يا (رافدة)

(رافدة): ما الغرض من هذا الحديث؟

(كُميت): أريد معرفة لمَ هجرتِ أنتِ أرضك وقبيلتك؟

(رافدة) وهي مستاءة من السؤال: وما دخلكِ أنتِ؟!.. وما مناسبة السؤال من الأساس؟!

(كُميت): تلومين الفارسية لرغبتها بالعودة لأهلها وأنتِ هاربة من أهلك.. أثار الأمر فضولي لا أكثر

(رافدة) بتجهم: لا علاقة لكِ بهذا الأمر!

(كُميت) مبتسمة: رافدة ابنة الشيخ شبيل بن مطنب الهجداني.. هذا ما قالته العرافة في «سوق الحجاز».. هل كانت محقة؟

لم تجب البدوية عليها واكتفت بالنظر أمامها بعبوس..

استأنفت الحجازية كلامها وقالت: قتلتِ الشيخ (سياج) ضيف أبيك وهربتِ من قبيلتكِ لأنه حاول..

(رافدة) تقاطعها بعصبية وغضب شديد: كفي عن الكلام!.. هل تحاولين إثارة غضبي لأني لا أطيق سيدتكِ الفارسية؟!

(كُميت): لا يا أختي.. لكني أريدك أن تتحدثي.. تخرجي ذلك الهم الذي أراه في عينيك وأسمعه في كلامك وبدأ مؤخراً ينعكس على تصرفاتك.. صدقيني كتم الاحزان أحياناً يعطيها حجماً لا تستحقه وقيمة أكبر مما هي عليه لتنمو في صدورنا وتخنقنا.. الهمومُ أحزانٌ تتشبث بنا قبل أن ترحل.. ساعديها على الرحيل بالحديث عنها..

(رافدة) وعيناها بدأتا تغرقان بالدموع: وما أدراك أنتِ بالهموم؟!

مدت الحجازية سبابتها ومسحت دمعة من على خد (رافدة) وتذوقتها..

(رافدة) مستنشقة دموعها: ماذا تفعلين يا حمقاء؟

(كُميت): أبي كان يقول لي بأنك تستطيع معرفة سبب البكاء بتذوق دموع ذارفها عندما يرفض الإفصاح عنه.. وهذه الطريقة تعرف قديماً بـ «تذوق الروح»

(رافدة) بتهكم وهي تذرف المزيد من الدموع: وهل حصلتِ على شيء؟

(كُميت) تمسح لسانها: لا.. مجرد بعض الملح

(رافدة) ضاحكة من خلف حزنها ودموعها: لا تحاولي إضحاكي!

(كُميت) منزلة رأسها باسمة بحزن: كنا نسمى بـ «العراقيب».. مجموعة مرتزقة.. نعمل مقابل المال بإخلاص ولا نخون حتى يُدفع لنا أكثر.. أبي كان قائد تلك المجموعة.. علمني كل شيء أعرفه عن الرماية وبرعت بها لأجله ولأكون مصدر فخر له.. لكن كل ذلك انهار في يوم واحد.. قشة.. لا أعرف هل كانت القشة القاصمة لظهر البعير أم التي يتعلق بها الغريق..

# أعقاب العراقيب

مجموعة من الملثمين على جياد سوداء يعبرون الصحراء غرب «عربستان» متوجهين لمنطقة جبيلة متعقبين قافلة قادمة من الشمال. تظهر القافلة لهم في الأفق فيرفع قائد المجموعة ذراعه موقفاً من كانوا معه. يُنزل القائد لثامه ويحدق مراقباً القافلة بصمت. يدنو منه أحد مرافقيه على ظهر دابته وكان يملك أعينًا كأعين القطط وعلى كتفه استقر صقر أبيض وقال: «هل هذا هو الهدف المنشود أيها القائد؟»

(القائد): نعم.. من استأجرونا شددوا على أن نجلب الفتاة حية ترزق وأن لا يصيبها أي مكروه.. أخبري البقية يا (كُميت) بأن يتأهبوا للانقضاض على القافلة في الحال

(كُميت): أمرك!

انطلق مجموعة الملثمين نحو القافلة التي تكونت من ثلاث نياق يحرسها عشرة من الفرسان وإحدى تلك النياق كانت تركبها فتاة في الخامسة عشرة من العمر وهي من كان المتلثمون يستهدفونها. المجموعة تكونت من القائد وابنته وخمسة آخرين تسلحوا جميعاً بالأقواس والسيوف. اشتبكت المجموعتان في قتال محتدم لكن الغلبة كانت للملثمين بسبب براعة الرامية (كُميت) التي تخلفت للوراء وبدأت تقنص الفرسان بسهامها ولم تخطئ هدفاً واحداً. أحاط الملثمون بالناقة التي ركبت فوقها الفتاة المستهدفة والمفزوعة وقال أحدهم للقائد ضاحكاً: «مجدداً تحرمنا (كُميت) من الاستمتاع بالقتال..»

(القائد) متجاهلاً تعليق الملثم مترجلاً عن جواده سائراً نحو الناقة: «اغنموا حمولة بقية النياق ولنرحل في الحال..»

شد القائد الفتاة بقوة من على ظهر الناقة وأسقطها أرضاً وأمسك بمعصمها ولواه كاشفاً عن وحمة مميزة وما أن رآها حتى قال محدثاً نفسه: «إنها الفتاة المطلوبة..»

أشار القائد لـ (كُميت) بالاقتراب منها وعندما حضرت على ظهر دابتها رفع يده مشيراً لها برمي حبل ناحيته ففعلت. قيد القائد معصمي

الفتاة وشد الوثاق بقوة ثم رفعها ووضعها خلف (كُميت) ثم قام بربط خاصرتيهما بعضهما ببعض قائلاً: «لا تفقديها..»

هزت (كُميت) رأسها بالموافقة..

صرخ القائد في بقية رجاله: هيا!.. لنعد للحجاز!

انطلق الملثمون بجيادهم وراء قائدهم تاركين خلفهم ما أحدثوه من تخريب وقتل..

هبط الليل فتوقفت المجموعة ونصبوا خيمتين كالمعتاد. واحدة للقائد والأخرى للبقية لكن هذه المرة أمر القائد بنصب خيمة ثالثة لتبيت فيها (كُميت) مع أسيرتهم. أمر أيضاً بأن لا يُحل وثاق الفتاة وأن تنام وهي مقيدة.

(كُميت) وصقرها الأبيض يهبط على كتفها: لكن يا سيدي هذا سيكون مؤلماً لها

(القائد): لن نخاطر بمحاولتها الهرب خلال نومنا

(كُميت): عن أي خطرٍ تتحدث أيها القائد؟.. نحن وسط الصحراء ولا ملجأ لها للهرب إليه

(القائد): عدم إيماننا بوجود الخطر لا يلغيه بل يجعله أكثر خطورة..

(كُميت): حل وثاقها وسأبقى مستيقظة طيلة الليل لأحرسها ولن أنام.. أعدك بذلك

(القائد): نومك ليس خياراً بل أمر.. نفذي دون جدال

(كُميت): حاضر يا أبي

(القائد): في أرض القتال لست أباك.. هل تفهمين؟

(كُميت) منزلة رأسها: أعتذر منك أيها القائد (باجد)

قادت الرامية الملثمة الفتاة للخيمة بعد ما نصبت لصقرها وكره وغطت رأسه بالبرقع وأجلستها وسطها وقالت: هل تريدين بعض الماء؟

(الفتاة) ووجهها مرهق من البكاء طيلة الطريق: لا.. لا أريد شيئاً..

(كُميت): طعاماً؟

(الفتاة) بعصبية: اتركيني وشأني!

(كُميت): نحن فقط سنعيدك لأهلك فلا تخافي

(الفتاة): أهلي؟!.. تقصدين من يريدون قتلي!

(كُميت): قتلك؟.. أبي يقول بأن..

(الفتاة) مقاطعة: لقد كنت في طريقي للزواج ممن أحب وأنتم أفسدتم كل شيء!

(كُميت) وهي تجلس أمامها: أفهميني

(الفتاة): قاطعة طريق مثلك لن تفهم.. ثم إني لا أريد الحديث معكِ!

(كُميت): لننمْ إذاً

(الفتاة) بتجهم: نامي وحدك!

(كُميت) تستلقي وتسند خدها لكفها: وهذا ما سأفعله..

أغمضت الرامية الملثمة عينيها وبقيت الفتاة تراقبها متجهمة بصمت حتى قالت: من ينام بلثامه هكذا؟

(كُميت) وأعينها لا تزال مغمضة: كنت أظن أنكِ لا تريدين الحديث معي

(الفتاة) بعصبية: وما زلت!.. لكن شكلكِ مضحك وأنتِ تنامين بهذا الشكل!

(كُميت): لا أسمع أي ضحكات.. لا أسمع سوى تذمر فتاة مدللة

(الفتاة) ترفس (كُميت) في بطنها: اخرسي!

نهضت الرامية الملثمة من مكانها وبحركة سريعة قبضت على عنق الفتاة وضغطت عليه وحدقت بعينيها وقالت بنبرة صارمة: لو كررتها مرة أخرى فستبكين لسبب آخر!

(الفتاة) ممعنة النظر بأعين (كُميت): عيناك غريبتان.. تشبهان أعين..

(كُميت) وهي تدفع الفتاة للوراء: أعرف.. أعين القطط

(الفتاة): أراهن أن وجهك جميل مثل عينيك

(كُميت) متربعة أمام الفتاة: هل هذه حيلتك لمحاولة الهروب؟

(الفتاة): لا لا أبداً.. أريني وجهك

(كُميت): هذا ممنوع علينا كي لا تكشف هويتنا

(الفتاة): ومن سأخبر؟.. أنا أسيرة عندكم

(كُميت): لن تبقي أسيرة بعد ما نعيدك لأهلك

(الفتاة): معكِ حق.. سأكون مدفونة تحت التراب

(كُميت): ولمَ سيقتلونك؟

(الفتاة) تزفر بحسرة مطأطئة رأسها: نبوءة غبية في القبيلة بأن من

تولد بوحمة على شكل نخلة في جسدها يجب أن تنحر ويضحى بها عند بلوغها لإبقاء البركة أو شيء سخيف من هذا القبيل

(كُميت): مما فهمت منكِ أن النبوءة تحققت فمعنى ذلك أنها ليست سخيفة وتحمل جانباً من الحقيقة

(الفتاة) رافعة معاصمها المقيدة عند وجه (كُميت): هل ترين شكل نخلة؟

(كُميت) ممعنة النظر في الوحمة: لا.. أرى شكلاً يشبه الفأر

(الفتاة) ضاحكة: ربما لأنكِ جائعة يا قطة!

(كُميت) متجهمة: هل تسخرين مني؟!

(الفتاة) والهم يتجلى على وجهها: بل أسخر على حالي المؤلم.. سأكون ضحية غباء قبيلتي وجهل أهلي.. مثلك تماماً

(كُميت) متعجبة من إقحامها في الموضوع: وما دخلي أنا؟

(الفتاة): لقد رأيت الطريقة التي عاملكِ بها أبوك.. أشفقت عليك وعلى القيود التي يقيدك بها

(كُميت): يبدو أنكِ تتحدثين عن شخصٍ آخر.. أنا لست مقيدة

(الفتاة): وأي فتاة حرة تنادي أباها بـ «القائد» وينهرها لو نادته بغيره؟

(كُميت): هذه ليست قيوداً.. الخطأ كله يقع عليّ.. أنا أراه شيئاً عظيماً وكبيراً وكان يجب أن اعامله بما يستحق وعلى هذا الأساس

(الفتاة): كي تريه بهذا الشكل يجب أن تكوني أنتِ بدورك صغيرة وصاغرة أمامه إذاً

(كُميت): ماذا تقصدين؟

(الفتاة): فكري بها قليلاً.. إذا كان أبوك بحجم الجبل وأنتِ أمامه فهل سيراك جبلاً شامخاً مثله تماماً أم مجرد صخرة حقيرة.. كي ترى شخصاً أعظم منك فهذا يستوجب أن تكون أصغر منه أو على الأقل ترى نفسك كذلك في حضوره

(كُميت): وما المشكلة في إعطاء الشخص قيمته؟

(الفتاة): تعظيم شخص ما يترتب عليه تصغير نفسك أمامه.. احترم الناس وقدرهم لكن لا تعظمهم أبداً

(كُميت): لا أجد ضرراً في ذلك

(الفتاة): من الواضح أنكِ تربيتِ على الخنوع وتم ترويضك جيداً

(كُميت) بهدوء متجاهلة محاولات الفتاة الواضحة لاستفزازها: أطبقي فمك يا أسيرة..

(الفتاة): هل أزعجتكِ الحقيقة أم أنك للتو اكتشفتِ أنكِ عبدة مقيدة وأني وبالرغم من أسري أملك حرية أكبر منكِ

(كُميت): قلتِ بأنكِ ذاهبة للزواج.. ممن كنتِ ستتزوجين؟

(الفتاة) بحزن وحسرة: من الشخص الوحيد الذين لم يصدق خرافاتهم.. شاب من قبيلة أخرى يملك النفوذ والثروة الكافية لإنقاذي وبالفعل حررني وأرسل لي المجموعة التي خطفتموني منها كي تحضرني له لنتزوج لكنكم أفسدتم كل شيء

(كُميت): لم أكن أعرف ذلك

(الفتاة): وحتى لو عرفتِ.. فما الذي يمكن لمقيدة مثلكِ القيام به؟.. أنتِ في النهاية مأمورة والمرتزقة ينفذون الأوامر ولا يفكرون بالعواقب لأن المال همهم الوحيد

(كُميت): أنا لست كذلك لكني لن أنكر أن الحديث مع أبي أحياناً يكون كمحاولة الصراخ بلا فاه..

(الفتاة) ممازحة: هذا جزاء من ينام متلثماً

(كُميت) مبتسمة بحزن: أستحق هذه السخرية منكِ

(الفتاة): أنت لا تستحقين شيئاً سوى السعادة ولن تجديها إلا بحريتك.. لقد وجدتها وكنت أحلق في سماء البهجة قبل أن أقع بين أيديكم

(كُميت): أنا آسفة

(الفتاة): لم يفت الأوان كي أستعيدها وتستعيدي أنتِ كذلك حريتك

(كُميت): إلامَ تلمحين؟

(الفتاة): نهرب.. نهرب من هنا لقبيلة زوجي وأعدك بأنه سيوفر لكِ الحماية

(كُميت): لكن..

(الفتاة): لا تضيعي الفرصة.. الموت ينتظرني غداً.. كما يقول العرب فالكرم غير المشروط والعطاء بلا مقابل هو أول وآخر مصادر السعادة.. أكرميني بمساعدتك لي بالهرب وأسعدي نفسك..

(كُميت): حسناً موافقة

(الفتاة) مبتهجة: فكي وثاقي إذاً ولنرحل في الحال قبل أن يحل الصباح ويكتشفوا غيابنا

(كُميت): كم تبعد قبيلة زوجك عن هنا؟

(الفتاة): مسيرة يومين لكن لو انطلقنا بجوادك فسنصل في وقت أقرب

صمتت (كُميت) بوجهٍ متفكر وكأن الشك بدأ يساورها..

(الفتاة): لمَ صمتِّ؟.. هل غيرتِ رأيك؟

(كُميت): لا.. النية موجودة.. لكن..

(الفتاة): النية ليست قراراً.. لا تهمني أفكارك ونواياك بقدر أعمالك وما تقترفه يداك.. لقد سمعت كلامك وأنتظر لأرى أفعالك..

(كُميت) بثقة: سترين.. يجب عليّ أولاً تضليلهم كي لا يلحقوا بنا فتعقب أثر جوادي على الرمال لن يكون بالأمر الصعب عليهم

(الفتاة): وكيف تنوين القيام بذلك؟

(كُميت) وهي تحل وثاق الفتاة: اتبعيني..

خرجت الاثنتان من الخيمة وقامت (كُميت) بفك وثاق الدواب

وإطلاق كل واحدة منها في اتجاه مختلف لتقفز هي بعد ما انتهت على جوادها وتمد ذراعها للفتاة قائلة: الآن يمكننا الهرب!

استيقظ القائد (باجد) أول الصباح واكتشف هروب ابنته مع الفتاة ولم يرَ بقية الخيول عدا جوادٍ لم يبتعد لمسافة طويلة ووقف فوق تلة قريبة. أيقظ القائد بقية الملثمين وأمرهم بتعقب جيادهم واللحاق به بعد ما يحضرون له ذلك الجواد القريب. امتطى (باجد) الجواد وبدأ يمعن النظر في الآثار المتروكة على الأرض بحثاً عن جواد (كُميت) كي يختصر الوقت لإيجادها وخلال تفكيره قال لأحد الرجال الواقفين بجانبه: «أطلق صقرها..»

رفع الملثم الصقر من على وكره وأزال برقعه وأطلقه في الهواء..

(القائد باجد) وهو يشد لجام الجواد ليلحق بالصقر الذي حلق جنوباً: عندما تجدون دوابكم الحقوا بي بهذا الاتجاه

(الملثمون) بصوتٍ واحد: أمرك!

بعد عدو لمسافة ليست بالقليلة هدأت (كُميت) من سرعة جوادها والفتاة متشبثة بها من الخلف تقول: لمَ توقفنا؟

(كُميت): نحن لم نتوقف لكني لا أريد إرهاق الجواد أكثر فهو لم يحظَ بالراحة الكافية ليلة البارحة ولو أرهق فسنواجه مشكلة

(الفتاة) بحنق: لا يهم!.. تحركي!

(كُميت): كفي عن الحماقة!.. الأمر ليس بهذه السهولة فنحن لا نملك لا ماء ولا زاداً لنطعمه!

(الفتاة) بتذمر: كنت مخطئة لأثق بكِ!

كظمت الملثمة غيظها ولم ترد..

بعد سيرهما تحت الشمس الساخنة لأقل من نصف ساعة انتبهت (كُميت) لصقرها الأبيض وهو يحلق فوقهما مما دفعها للالتفات خلفها بسرعة لترى فرقتها تعدو بجيادها نحوهما يتقدمهم أبوها نازعاً لثامه بوجه غاضب ومحتقن. شدت الرامية الملثمة على لجام دابتها وانطلقت بسرعة فقالت الفتاة بجزع: «ما الأمر؟!.. لمَ انطلقنا بسرعة؟!»

(كُميت) وتركيزها منصب أمامها: ألم تكن هذه رغبتك؟!.. جماعتي يتعقبوننا!.. سأحاول تضليلهم!

نظرت الفتاة للوراء لتصرخ قائلة: إنهم يقتربون!.. سوف يمسكون بنا!.. أسرعي أكثر!

(كُميت): الجواد لا يزال مرهقاً وهذا أفضل ما يمكنه القيام به وهو في هذه الحالة!

بدأت السهام تنطلق تجاههما وتمر بجانبهما بشكل قريب جدّاً في إشارة واضحة بأنها سهام تحذيرية لـ (كُميت) للتوقف في الحال لأنها تعرف أن زملاءَها لا يخطئون أهدافهم من تلك المسافة فأوقفت الجواد وبقيت تنتظر مكانها.

(الفتاة) صارخة فيها: لِمَ توقفنا الآن؟!

(كُميت) بنبرة مستسلمة: لا فائدة من الهرب..

(الفتاة) وهي تضرب على رأس (كُميت) بكفها وبعصبية شديدة: تحركي!.. تحركي!

لم تستجب (كُميت) لها وبقيت تحدق في الأفق بصمت..

قفزت الفتاة من فوق الجواد وبدأت تجري في الصحراء وبعد ابتعادها لمسافة قصيرة حاصر القائد (باجد) مع مجموعته (كُميت) وقال لها متجهماً:

«ماذا تظنين نفسك فاعلة؟!.. ستعاقبين عقاباً شديداً لخيانتك!»

لم ترد ابنته عليه ولم تلتفت إليه..

(القائد) صارخاً في أحد أتباعه: الحق بالفتاة وأعدها!

قبل أن ينطلق الملثم خلف الفتاة شدت (كُميت) سهماً على قوسها وأطلقته تجاهها ليخترق عنقها من الخلف ويرديها قتيلة..

(القائد) بخليط من العجب والسخط الشديد: هل جننتِ؟!

شدت (كُميت) سهماً آخر ووجهته لوجه أبيها..

(القائد) ببرود مفاجئ ومن خلفه بقية رجاله المصدومين: ستقتلين أباك؟

أطلقت (كُميت) السهم وهي تقول: «في أرض القتال لست ابنتك..»

(رافدة) بعد صمت قصير تبع انتهاء (كُميت) من رواية قصتها: «قتلته بكل بساطة؟.. وبدون سبب؟»

(كُميت): لم يكن الأمر بسيطاً والأسباب كثيرة تراكمت على مدى سنوات لا حصر لها.. ما حدث مع تلك الفتاة ذلك اليوم لم يكن سوى حفنة التراب الأخيرة التي ألقيتها على قبر عبوديتي.. اكتشفت يومها أني لم أحبه قط.. كنت أخشاه فقط

(رافدة): ماذا عن البقية؟.. هل تركوك؟

(كُميت): أفرغت ما تبقى من السهام معي في صدروهم وانطلقت بعدها للحجاز وانضممت للمقاومة ضد اليعاقبة هناك لأنهم الوحيدون الذين لن يسألوا عن ماضيَّ وسيحمونني من أي ملاحقة من قبل السلطات خاصة وأن مهارتي في الرماية أغرتهم لتجنيدي وحمايتي

(رافدة): وهل ستطارد السلطات فتاة قتلت مجموعة من المرتزقة؟

(كُميت): المرتزقة ليسوا قطاع طرق ولهم حقوق كأي فردٍ آخر لكن ذلك لم يكن السبب الأساسي لإطلاق حملة واسعة للقبض عليّ خاصة وأن لديهم أموراً أهم ليقوموا بها

(رافدة): لمَ كنتِ مطاردة من السلطات إذاً؟

(رافدة): تلك الفتاة كانت ابنة شيخ من شيوخ الشمال وذات شأن كبير وقد اختلقت قصة النبوءة كي تكسبَ تعاطفي معها لأقوم بتهريبها لتلتقي بمن رفض أبوها تزويجها له وهو أيضاً ابن لشيخ معادٍ لقبيلتهم وعندما وجدوا جثمانها مع جثة أبي وبقية أفراد الفرقة علموا بأني

الفاعلة وأصبحت مطاردة منذ ذلك اليوم من جميع قبائل الشمال

(رافدة): قبائل الشمال لا يُعرفون إلا بخصلتين.. الكرم الشديد وعزيمة لا تلين في البحث عن الثأر

(كُميت): أعرف أطباعهم جيداً فأمي منهم.. كسبت عداء أهل أمي بسبب خداع فتاة حمقاء

(رافدة) تضع يدها على فمها كاتمة ضحكة..

(كُميت) مستنكرة: ما بك يا بدوية؟

(رافدة): هذه أول مرة أعرف أنكِ غبية وتنخدعين بسهولة

(كُميت) مبتسمة: كنت صغيرة وجاهلة وتلك اللعينة عبثت بعقلي بقصتها الحزينة

(رافدة): أراهن أنكِ شعرتِ بالراحة عندما علمتِ بذلك.. أقصد أن ذنب قتلك لها زال بعد معرفتك بأنها كذبت عليكِ

(كُميت): في الحقيقة لم أشعر بالذنب من الأساس.. وأعتقد أني قمت بتهريبها لأغيظ أبي فقط وللسبب نفسه قتلتها ربما.. أما هي فلم تشكل لي شيئاً.. شعرت بالسعادة لإغضابه وسعادة أكبر لقتله.. لم أرَه يتبسم

لي من قبل إلا عندما رفعت سهمي بوجهه.. كانت ابتسامة مصطنعة حاول بها خداعي

(رافدة): الابتسامة المصطنعة أقبح من التجهم..

(كُميت): وقد أزلتها من على وجهه عندما أطلقت سهمي على جبينه

صمتت (رافدة) ووجهت نظرها للواحة..

بعد دقائق من الصمت التفتت البدوية على الحجازية وقالت: «هل رويتِ لي قصتك كي أروي لكِ قصتي..؟»

(كُميت) ونظرها للواحة البعيدة: لا.. أخبرتك بما أخبرتك به فقط لأني كنت أريد ذلك..

(رافدة) تعيد نظرها للواحة وتزفر قائلة: أبي لم يعاملني بقسوة.. لأنه لم يكن يراني من الأساس.. أنا الوحيدة من بناته التي نجت من الدفن

(كُميت): الدفن؟

(رافدة): نعم.. أبي كان من العرب الذين يئدون بناتهم ويحتفظون بأبنائهم.. دفن قبلي ثلاثاً من أخواتي لكني نجوت

(كُميت): كيف؟

(رافدة) بنبرة ساخرة مشبعة بالحزن: كان مريضاً عندما ولدتني أمي ولم يتماثل للشفاء إلا بعد ما أمضيت فترة في حضنها وتعلقت بي وأسمتني وبالرغم من أنه لم يبالِ وحاول التخلص مني مثل بقية أخواتي إلا أن استقواء أمي بأهلها وتهديد أبي بهم جعلاه يتراجع ويتبرأ مني في لحظة غضب لكنها لم تهتم وربتني حتى بلغت الثانية عشرة من عمري لترسلني بعدها لقبيلتها ليقوم أخوالي بتعليمي الفروسية والقتال لمدة خمس سنوات عدت بعدها لقبيلتنا وأبي على الحال نفسها من الرفض لوجودي أو الاعتراف بي

(كُميت): قلبه قاسٍ مثل أبي..

(رافدة) مستأنفة حديثها: كنت أظنه يكره الإناث عموماً لكن الغريب أن أغلى شيء في حياته كانت فرساً اسمها (المختمرة).. عشقها حتى أكثر من إخوتي الذكور ولم يكن يرضى أن يمسها أحد غيره وهذا ما جعلني أكرهه أكثر

(كُميت): لا تقولي بأنكِ قتلته أيضاً

(رافدة): لا.. تربية أخوالي علمتني المروءة ولم يكن ذلك من أطباع الفرسان

(كُميت) بتهكم: وهل من المروءة قتل الضيف؟

(رافدة): قتل الضيف هو أدنى شيء يمكن أن يفعله أحد..

(كُميت): ما قالته العرافة صحيح إذاً؟ قتلتِ المدعو (سياج)

(رافدة): سأخبرك بما حدث..

# دم المختمرة

قافلة من النياق محملة بالخيرات تصاحبها مجموعة من الفرسان..

يصلون لمضارب قبيلة الشيخ (شبل بن مطنب الهجداني)..

يتقدمهم شيخهم (ثغر) وابنه الأكبر (سياج بن ثغر)..

يخرج الشيخ (شبل) لاستقبالهم بنفسه مرحباً..

يترجل الشيخ (ثغر) عن دابته مع ابنه ويسيران مع مستضيفهم لخيمته الكبيرة..

(الشيخ شبل) لضيفه: الأرض لا تسعني اليوم بهذه الزيارة.. سنوات طويلة وأنا أدعوك لتشرفني يا شيخ (ثغر).. وأخيراً استجبت

(الشيخ ثغر): الشرف لي يا شيخ (شبل) ودعواتك السابقة كلها محل تقدير واعتزاز عندي لكن وكما تعلم كنا في حروب طاحنة مع القبائل المعادية لنا ولم نهدأ إلا قبل عدة أشهر فقط

(الشيخ شبل): أعرف.. وقد عرضنا عليكم المساعدة لكنكم رفضتم

(الشيخ ثغر): لو كنا نحتاجها لما رفضناها.. الأمر كان بيدنا وقد حققنا النصر بدونها

(الشيخ شبل) ضاحكاً: «من يعادي (ثغر) يعيش بالقهر أو يموت بالنحر..» .. أليس هذا ما يقال؟

(الشيخ ثغر) بفخر: بلى.. وهناك مقولة أخرى..: «من يطلب الكرام لا يُخذل ومن يطلب اللئام يُكسر..» .. وأنا لي طلب عندك

(الشيخ شبل) بحماس: طلبك مجاب من قبل أن أسمعه!

(الشيخ ثغر): اسمعه فقد يكون لك رأي آخر

(الشيخ شبل) بحماس أكبر: سأسمعه فقط لتناله!.. لم تلده أمه بعد من يرفض طلب الشيخ (ثغر)

(الشيخ ثغر) مبتسماً: بوركت يا شيخ (شبل).. أريد (المختمرة)

(الشيخ شبل) مبتلعاً ريقه: .. (المختمرة)؟

(الشيخ ثغر): نعم.. هل طلبي مجاب؟

(الشيخ شبل) وقد تغيرت معالم وجهه: هي لك..

(الشيخ ثغر) مشيراً لابنه الجالس بجانبه: ابني الفارس (سياج) هو من يرغب بها.. لقد وعدته أن أهديه ما يشاء لو حقق لي النصر على أعدائنا وقد فعل وكان طلبه هو فرس الشيخ (شبل) فأخبرته بأنها له

(الشيخ شبل) يهز رأسه بالموافقة: وكلامك لن يُكسر..

نادى (الشيخ شبل) على أحد فرسانه الواقفين خارج الخيمة وأمره بإعداد (المختمرة) لتسليمها للشيخ (ثغر) ثم وجه بإعداد وليمة كبيرة على شرف الضيف وابنه..

بعد الانتهاء من تناول الطعام سأل (سياج) أباه في حضور الشيخ (شبل) وقال: «متى ستصل (المختمرة)؟»

أدار الشيخ (ثغر) نظره نحو الشيخ (شبل) الذي قال وهو يهم بالنهوض: سأذهب لأرى ما حل بالتجهيزات..

خرج (الشيخ شبل) من الخيمة بينما كان الاثنان يراقبانه بصمت..

توجه الشيخ مباشرة للمكان الذي خصصه لربط (المختمرة) ليرى أنه قد تم تنظيفها وإلباسها سرجها المميز فمسح على جبينها بحزن وقال: ليس من السهل أن يفقد المرء قطعة منه.. يعز عليّ فراقك يا مُهْجَةَ القلب لكن ما باليد حيلة..

(رافدة) تحدثه من الخلف: لقد دفنت ثلاث قطع قبلها فلا أظن الأمر بتلك الصعوبة عليك يا أبي

(الشيخ شبل) متجهماً دون أن يلتفت إليها: ليتني دفنتك معهن ولم أخضع لتهديد أمك!

(رافدة): الدفن حيّاً لا يكون تحت التراب فقط.. لقد دفنتني يا أبي بإقصائي من حياتك

(الشيخ شبل) ملتفتاً نحوها ليراها تقف بجانب جوادها (لشيم) مرتدية لباساً أحمر: لذلك لا أريد نساءً في نسلي.. جميعكن ضعيفات وتتباكين على أي شيء

(رافدة): والدليل أن امرأة هي من منعتك من قتلي رغماً عن رغبتك..

(الشيخ شبل): تظاهرك بالقوة أمامي لن يخدعني.. أعرف أنكِ هشة كأرض الصحراء بعد المطر

(رافدة) بخليط من التهكم والحسرة: تخنقني وتلومني لأني أحتضر..

(الشيخ شبل) عابساً: لدي ضيوف أهتم بهم وهم أهم من الحديث معكِ!

سار الشيخ عائداً لضيوفه وعند تجاوزه لابنته قالت: رافقتك السلامة يا شيخ (شبل)..

دخل الشيخ على ضيوفه بوجه مبتهج وقال: الفرس جاهزة!.. يمكن للشيخ (سياج) الذهاب وامتطاؤُها لو أحب

(سياج) ناهضاً من مكانه بسعادة: بالطبع أريد!

(الشيخ شبل) مشيراً بكفه للخارج باسماً: تفضل.. هي بانتظارك خلف الخيمة

خرج (سياج) متوجهاً لمربط (المختمرة) تاركاً أباه والشيخ (شبل) يتحدثان وحدَهما..

(الشيخ شبل) مجدداً الترحيب بضيفه: القبيلة اليوم كلها مبتهجة بحضورك يا شيخ (ثغر)

(الشيخ ثغر) ونظره على مدخل الخيمة: نعم نعم.. نحن ممتنون لكم

(الشيخ شبل): ما بك يا شيخ؟.. هل هناك ما يشغل بالك؟

(الشيخ ثغر) معيداً نظره نحو مستضيفه: لا أبداً.. لكنْ هناك سؤال يدور في خلدي

(الشيخ شبل): تفضل اسأل

(الشيخ ثغر): كم عدد الفرسان في قبيلتك؟

(الشيخ شبل) متعجباً من السؤال: ولمَ تسأل يا شيخ؟

(الشيخ ثغر): كنت أفكر بأمر ما والإجابة قد تمنحني بعض النور

قوطع الحوار بدخول (سياج) عائداً وعلى وجهه علامات الغضب والاستياء الشديدين..

(الشيخ شبل) ملاحظاً ذلك: ما الأمر؟.. ما بك يا شيخ (سياج)؟

(سياج) بعصبية شديدة: أهكذا تعامل ضيوفك يا شيخ (شبل)؟!.. هل ترضى أن نهان في ديارك بهذا الشكل؟!

نهض الشيخان من أماكنهما في حالة من الهلع وقال الشيخ (ثغر) مصدقاً لحديث ابنه ومشاركاً له في سخطه مستلًّا سيفه من غمده: أفصح!.. من أهانك!

(الشيخ شبل) واضعاً يده على صدر الشيخ (ثغر) محاولاً تهدئته: انتظر يا شيخ حتى نسمع منه!

(الشيخ ثغر) متجاهلاً (الشيخ شبل) وغضبه يتفاقم: نسمع ماذا؟!.. ابني لا يكذب أبداً!

(الشيخ شبل) مرتبكاً من التوتر المتصاعد: هو لم يقل شيئاً حتى الآن كي نكذبه أو نصدقه!

(الشيخ ثغر) موجهاً نصل السيف نحو (الشيخ شبل): وهل تجرؤ على تكذيبه؟!

(الشيخ شبل) مستجمعاً نفسه وبهدوء يخالطه الاستغراب: ماذا تفعل يا شيخ؟

(الشيخ ثغر) وهو يهز السيف في وجه الشيخ (شبل): سأمنحك فرصة لتعيد لابني ما أهدر من كرامته في ضيافتك وإلا فستكون العواقب وخيمة!

(الشيخ شبل) موجهاً نظره لـ (سياج) وبكل رباطة جأش: أخبرني ماذا حدث؟

(سياج) بانفعال: ذهبت لتجربة الفرس ووجدت المرأة التي تعتني بها

تقف بجانبها فمسحت على ظهر الفرس فطلبت مني التنحي والابتعاد عنها وعندما رفضت ضربتني!

(الشيخ شبل): صفها لي؟

(سياج) بعصبية: تلبس لباساً أحمر وشعرها أسود وطويل وموشومة على أنفها وزندها الأيمن

زفر الشيخ (شبل) محبطاً مما سمعه لأن تلك كانت صفات (رافدة)..

(الشيخ ثغر): ما قولك الآن؟!.. من هذه المعتدية على ابني؟!.. وهل ستقتص له منها؟!

(الشيخ شبل): هل يرضيك رأسها؟

(الشيخ ثغر): لا!.. رأسها سيكون البداية فقط!

(الشيخ شبل) وقد بدأ يضيق من (الشيخ ثغر): ماذا تريد إذاً؟.. هذه ابنتي!.. وسوف أقتلها لأجل كرامة ابنك!.. ألا يكفيك ذلك!

(رافدة) وهي تدخل الخيمة: بالطبع لن يكفيه.. فأنت لم تضع لي قيمة كي يراها الناس وسمحت لحقير مثل هذا أن يحاول الاعتداء على شرفك!

استل (سياج) سيفه صارخاً: اخرسي!

أمسكت (رافدة) بمقبض سيفها لكنها لم تخرجه من غمده وقالت: أعد سيفك لمكانه فأنت لست ندّاً لي

(الشيخ شبل) بغضب وسيف (الشيخ ثغر) لا يزال مرفوعاً بوجهه: هل تنوين ذر الرماد الأسود على وجهي يا ابنة أمك؟.. لا تنتهكي حق الضيوف!

(رافدة) تشد على مقبض سيفها: أنت من يقف أمام الكير يا أبي وليس أنا.. هؤلاء ليسوا ضيوفًا يستحقون الكرم والتكريم!.. لقد طعن ضيفك المزعوم المختمرة بسيفه وقتلها!

(سياج) بغضب: كاذبة!.. هي من قتلت الفرس أمامي عندما حاولت امتطاءها وضربتني بعدها!

(الشيخ ثغر) وسيفه لا يزال موجهاً للشيخ (شبل) وحديثه لابنه: اقتلها!.. اغسل إهانتك بيدك!

هجم (سياج) على (رافدة) لكنه لم يخطُ سوى خطوتين قبل أن يقع على وجهه منحوراً بعد ما مر نصل سيفها بسرعة خاطفة عبر نحره..

(رافدة) موجهة سيفها الدامي نحو الشيخ (ثغر): أبعد سيفك عن وجه الشيخ

(الشيخ شبل): لا تتدخلي!.. اخرجي في الحال!

(رافدة) ونظرها منصب على الشيخ (ثغر) وحديثها لأبيها: أنا لا أقوم بذلك دفاعاً عنك بل عن شرف قبيلتنا.. والآن أبعد سيفك عن الشيخ يا (ثغر)

صرخ الشيخ (ثغر) وهجم هو الآخر على (رافدة) وبعد قتال قصير وجد سيفها مغروساً في بطنه ليسقط هو الآخر بجانب ابنه قتيلاً..

(الشيخ شبل) يسير بخطواتٍ بطيئة ونبرة صوتٍ مختنقة بالحسرة: ماذا فعلتِ يا ملعونة!.. ماذا فعلتِ؟!

(رافدة) معيدة سيفها الدامي لغمده وتهم بالرحيل: فعلت ما لا تستطيع فعله يا شيخ (شبل).. كنا وما زلنا وسنبقى عربًا نموت لكرامتنا ونحيا لعزتنا وليذهب غيرنا للجحيم..

(الشيخ شبل) منادياً عليها بعصبية: إلى أين تظنين نفسك ذاهبة؟!

(رافدة) مكملة طريقها خروجاً من الخيمة دون أن تتوقف أو تلتفت: أنا من يتبرأ منك الآن..

خرجت الفارسة الهجدانية وامتطت جوادها (لشيم) وانطلقت مبتعدة عن مضارب قبيلتها لكن (الشيخ شبل) وجّه مجموعة من فرسانه لملاحقتها والعودة برأسها ثأراً لدم (المختمرة) وعقاباً لها على غدرها بضيوفه..

(كُميت): ياه.. كل هذا حدث معكِ.. لكن بصراحة أجد أن ردة فعلك مع ابن شيخ القبيلة كان مبالغاً فيها بعض الشيء.. ضربتِه فقط لأنه مسح على ظهر الفرس وحاول امتطاءَها؟

(رافدة): لم يكن ظهر الفرس الذي مسح عليه..

(كُميت): آه.. فهمت

(رافدة): ثم إن ذلك الوغد استحق ما أصابه فقد كان متغطرساً بشكلٍ مقرف ولم يكن يحترم قبيلتنا التي استضافته ولا شيخها وقتله لـ (المختمرة) دليل على ذلك

(كُميت): وكيف نجوتِ من فرسان قبيلتك؟

(رافدة): قاتلتهم بعد أن لحقوا بي وحاصروني مع أن الخمسة الذين تعقبوني كانوا من أقوى فرسان القبيلة إلا أني تمكنت من قتل أربعة منهم وكاد الأخير يجهز عليّ بسبب إرهاقي من العراك مع زملائه إلا أن تدخل العمة (نافجة) و(زمجد) أنقذ حياتي بالرغم من إنكارهما لذلك كي لا يحسساني بالإهانة

(كُميت) مبتسمة: هذه هي القائدة.. لا ترضى بأن يهان أحد أو تمس كرامته

(رافدة) بحزن مفتقدة عمتها: وهذا أكثر ما أحببته فيها.. كم أفتقدها

(كُميت) وهي تدمع: وأنا كذلك.. ليتنا بقينا ومتنا معها

مدت (رافدة) سبابتها ومسحت دمعة الحجازية وتذوقتها ثم قالت: حتى طعم دموعك مختلف مثل عينيك يا حجازية

(كُميت): مبتسمة من وراء دموعها: وما طعمها يا بدوية؟

(رافدة): لا طعم لها.. لكنها نقلت لي علماً وأخبرتني بأمرٍ هام

(كُميت): وبماذا أخبرتكِ؟

(رافدة) مبتسمة بحزن: بأني أحبك وسأفديك بحياتي لو احتجتِ لذلك يوماً ما..

مدت الحجازية ذراعها ووضعت كفها على كتف (رافدة) وسحبتها تجاهها مسندة رأسها على جبينها قائلة: هذه مشاعري أنا كذلك!

صوت شخير (عوراء) يرتفع من خلفهما..

(رافدة) بأعين مغمضة ورأسها لا يزال مسنداً لرأس (كُميت): حتى البعير الهادر النائم خلفنا.. سأفتديها بحياتي

(كُميت) مبتسمة كاتمة ضحكتها: وأنا أيضاً

(رافدة) ملتفتة خلفها: كيف يستطيع ذلك الصبي المسكين أن ينام والأرض تهتز من تحته هكذا؟

(كُميت) رافعة رأسها من على جبين (رافدة): هل لاحظتِ كيف تعامله الفارسية؟

(رافدة): ماذا تعنين؟.. لم أفهم قصدك

(كُميت): طريقتها في تنويمه.. أعتقد أنها استخدمت السحر كي يغفو بتلك السرعة وهذا أمر لم يعجبني

(رافدة): نعم انتبهت لذلك وأعتقد أيضاً أنها هي من شل حركة سيقاني عندما كنا خارج «هجر»

(كُميت): هل تفكرين بما أفكر به؟

(رافدة) تهز رأسها بالموافقة: نعم.. لنرحل الآن... فقد لا تواتينا فرصة أخرى للتخلص منها

(كُميت): ماذا عن الصبي؟.. هل سنأخذه معنا؟

(رافدة): بالطبع.. لن نتركه معها.. يكفي ما عاناه مع تلك المجنونة

(كُميت): حسناً.. سنجازف بالمشي في الصحراء لعلنا نصادف قافلة ما نلجأ إليها

نهضت الاثنتان لكنهما وقبل أن تهما بإيقاظ الصغيرين شاهدتا خيالاً يخرج من بين نخيل الواحة فقالت (رافدة) وهي تمعن النظر في ظلمة الأفق المنارة جزئيًّا بضوء قمر السماء في محاولة للتعرف على صاحب الخيال: هل تظنين أنها هي؟

(كُميت) بنظرها الثاقب وبخيبة: نعم.. إنها هي

(رافدة): لنؤجل إذاً فكرة الانفصال عنها.. في الوقت الحالي فقط

(كُميت): حسناً..

(رافدة) تشاهد الساحرة الهجينة تتوقف عن السير وتنزل على ركبتيها وبنبرة مستغربة: ماذا تفعل؟

(كُميت): أعتقد أنها تصلي

بدأت صرخات (أنهار) تملأُ المكان وهي تقبض من رمال الأرض وتضرب وجهها بها..

(رافدة) بريبة: ما الذي يحدث؟

(كُميت) بقلق: تظاهري بأنك لم تري شيئاً عندما تأتي إلينا

استمرت الساحرة الهجينة بالصراخ والعويل واللطم لعدة دقائق نهضت بعدها وأكملت سيرها نحو المجموعة فوق التلة وعند بلوغها إليهم اتضحت معالمها والتي أظهرت جليّاً أنها تعرضت لعنف شديد فأنفها كان ينزف وشعرها منكوش وجزء من ملابسها ممزق وبشرتها متسخة بالطين وكدمة كبيرة ظاهرة على عنقها. وقفت (أنهار) أمامهما بتلك الحالة وقالت وهي مرهقة: أين القناع؟

(رافدة) بتوتر: لم نجده..

(أنهار) ممسكة بحجر كان عند قدمها ملقية إياه تجاه (رافدة) وبعصبية شديدة: كيف لم تجداه؟!.. ألم أخبركما بالحفر عند جذور النخيل؟!

(رافدة) متحاشية الحجر وبنبرة غير مكترثة: أعتقد أن جانبك الفارسي بدأ يظهر أخيراً..

(أنهار) تتنفس بثقل ونظراتها الجنونية تجول حولها: أين (دوسر)؟!

(كُميت) مشيرة خلفها: نائم مع (عوراء)..

(أنهار) موجهة نظرها نحو الحجازية بتجهم: كيف ينام بدوني؟!

سارت (أنهار) بخطواتٍ غاضبة متجاوزة الفتاتين نحو الصغيرين النائمين خلفها وأمسكت بذراع (دوسر) ونزعته من أحضان (عوراء) واحتضنته بقوة وبدأت تعاتبه بصوت يئن: لا تنمْ بحضن غيري!.. لا تنمْ بحضن غيري أبداً!

(دوسر) فاتحاً عينيه: خالة (أنهار)؟.. متى عدتِ؟

(أنهار) وهي مستمرة بعتابه خلال معانقته وجسدها يهتز للأمام والخلف: لا تفعلها مرة أخرى هل تفهم؟!

(دوسر): حاضر

(عوراء) تستيقظ داعكة عينها: ما الذي يحدث؟.. ما به (دوسر)؟

(أنهار) رافعة سبابتها بوجه (عوراء) وبحنق شديد: إياك أن تكرري ما فعلتِه مرة أخرى!

(عوراء) باستغراب: ماذا فعلت؟

نهضت الساحرة الهجينة حاملة الصبي بين ذراعيها وسارت مبتعدة عنهن واستلقت معه على أرض الصحراء تمسح على رأسه وتغني له تهويدة بالفارسية..

وقفت (عوراء) تراقب ما يحدث وهي تقول: هل أنا في حلم..؟

(رافدة) من خلفها: بل كابوس.. وجميعنا نعاني منه في الوقت نفسه

(كُميت): هيا لننام نحن أيضاً.. أعتقد أن غداً سيكون يوماً حافلاً

(رافدة) محتضنة نفسها: وأي نومٍ سيأتينا في هذا البرد

(عوراء) تمد أذرعها باسمة: تعالي لأمنحك بعض الدفء!

# ثمن الحرية البخس

فتح (دوسر) عينيه قبل شروق الشمس بدقائق ليجد خالته تعانقه من الخلف نائمة خلال استلقائهما على الرمال في العراء. أدار الصبي الصغير جسده وعانق صدرها باسماً. شعرت الساحرة الهجينة بعناقه الدافئ ففتحت بدورها عينيها وما أن رأته حتى تبسمت قائلة: كيف حال صغيري اليوم؟

(دوسر) بأعين مغمضة خلال عناقه لها: بأحسن حال وأنتِ بقربي

وجهت (أنهار) نظرها للخلف لترى الفتيات نائمات بعضهن بجانب بعض فقالت: «نحتاج أن نبتاع بعض الخيام ..»

(دوسر): لماذا؟.. نحن لا ننام في الخيام

(أنهار) معيدة نظرها لوجه الصبي المتسائل: لكن هؤلاء الفتيات لسن مثلنا.. يجب أن نعتني بضيوفنا

نهض (دوسر) نافضاً حبيبات الرمل العالقة بملابسه ووجهه وسار نحو الفتيات وبدأ يهز جسد (عوراء) لإيقاظها بينما أسندت الساحرة الهجينة رأسها لكفها تراقبه. فتحت الصبية عينيها وابتسمت لكن ابتسامتها اختفت عندما رأت (أنهار) تراقبها خشيت أن تغضب منها لو لعبت مع (دوسر) لكن الساحرة الهجينة أومأت لها باسمة بأن تذهب معه ففعلت. راقبت (أنهار) الصبي والصبية وهما يلعبان على الرمال خلال استلقائها لفترة حتى انتبهت لـ (كُميت) وهي تجلس وتدعك عينها ثم تقوم بهز جسد (رافدة) وتوقظها هي الأخرى لتجلس بجانبها تتأملان الصغيرين وهما يلعبان وبين الحين والآخر ينظران لـ (أنهار) لكنهما لم يتحدثا معها أو يقتربا منها بالرغم من أنها كانت تتبسم لهما كلما وجها أنظارهما نحوها. عندما خرج قرص الشمس الأصفر بالكامل من الأفق وقفت (أنهار) وقالت لـ (دوسر) بصوت مسموع للجميع: خيلى دور نشو (دوسر)!

(دوسر) يرد عليها ضاحكاً: حاضر يا خالة!

(عوراء) بقلق: ماذا تقول؟

(دوسر) وهو يحفر في الرمال: تأمرنا بعدم الابتعاد أكثر

(عوراء) تشاركه الحفر قائلة: كيف تستطيع فهم لغتها.. هل أنت فارسي مثلها؟

(دوسر) مبتسماً: لا لكني اعتدت على مثل هذه العبارات لأنها تكررها دائماً

(عوراء): سأخبرك بسر.. لكن لا تخبر به أحداً

(دوسر): ما هو؟

(عوراء): أنا أيضاً أفهم معظم كلامها وأشعر بأني سمعت هذه الكلمات من قبل

(دوسر): حقّاً؟

(عوراء): نعم.. أخشى أن أكون فارسية

(دوسر): لِمَ تخشين ذلك؟

(عوراء) بحزن: لأن العمة (نافجة) تكرههم وأنا أحبها

(دوسر): الخالة (أنهار) تكره الفرس أيضاً لكنها لا تظهر ذلك

(عوراء): كيف علمت بذلك؟

(دوسر) ملقياً نظرة حذرة تجاه خالته التي بدأت بالسير نحو (رافدة) و(كُميت) ويقول: رأيتها تقتل الكثير منهم خلال سفرنا المتكرر..

(عوراء): ربما لأنهم كانوا يحاولون الاعتداء عليكما

(دوسر): لا لا.. كانت تفعل ذلك في أحيان كثيرة بدون سبب وعندما سألتها مرة عن السبب قالت بأنهم يستحقون ما أصابهم وطلبت مني أن لا أسألها مرة أخرى

(عوراء) موجهة نظرها لـ (أنهار) التي وصلت للفتاتين: ألهذا وبختني بالأمس؟.. هل ستقتلني أنا أيضاً؟

(دوسر) ضاحكاً: لا يا غبية فهي تحبك مثلي تماماً لكنها تصاب بالإعياء من وقت لآخر وهذا سبب غضبها.. رأسها يؤلمها كثيراً كما تقول.. لا تقلقي

(أنهار) بابتسامة عريضة لـ (رافدة) و(كُميت) الجالستين على الرمال وهي تضع كفيها على بطنها: كيف حالكما اليوم؟

(رافدة) بتجهم ونظرها للأفق: جياع.. عطشى.. متعبون .. كل ما يسرك يا فارسية

(كُميت): سفرنا معكِ يا سيدة (أنهار) شاق وليس كما اعتدنا

(أنهار): نعم لاحظت هذا وأنا أعتذر لكما وسوف نغير كل ذلك اليوم

(رافدة): تغيرينه كيف؟.. هل ستطلقين سراحنا؟

(أنهار): أنتنّ لستن أسيرات عندي

(رافدة): معنى ذلك نستطيع الرحيل في أي وقت؟

(أنهار) مبتسمة: نعم.. لكن عندما ننتهي من الاتفاق الذي أبرمناه بيننا

(كُميت): ماذا تبقى منه؟

(أنهار): لقد فشلتما في الحصول على القناع الذهبي لكن لا بأس فما زال أمامنا شيئان أريد الحصول عليهما وبعد ما أضع يدي عليهما سننتهي

(رافدة): ما هما؟

(أنهار) وهي تمد يديها في وجوه الفتاتين لتنهضهما: لنستعد قبلها..

أمسكت كل فتاة بيد من أيدي الساحرة الهجينة التي سحبتهما وأنهضتهما وقالت ضاحكة: ما بكما عابستين هكذا؟!.. ابتهجا!

نادت (أنهار) على الصغيرين وطلبت منهما الحضور على الفور ففعلا وعندما أصبح الجميع حولها قالت: سوف نرحل الآن من هذا المكان

(دوسر): أين سنذهب يا خالة؟

(أنهار) وهي تربت على حقيبتها الجلدية باسمة: للتسوق.. الفتيات يحتجن بعض اللوازم وأنا أحتاج ملابس جديدة

(رافدة) بتجهم: نحن لا نحتاج لشيء

(أنهار): ماذا عن السلاح؟ ألم تكنّ تردنَ أسلحة؟

(دوسر) مبتهجاً: أنا أريد حلوى!

(عوراء): هل يمكنني أيضاً شراء ملابس جديدة غير هذه الخيمة التي أرتديها؟

(كُميت): أشعر بالنقص بلا قوس وسهام

(أنهار): الجميع سيشترون كل ما يريدون.. ماذا عنكِ يا (رافدة)؟.. ألا ترغبين بسيف بدل الذي فقدتِه؟

(رافدة) بتهكم: ماذا عن المال؟.. هل تملكين مالاً كي نشتري ما نريد كما تقولين؟

(عوراء) محدثة نفسها: تذكرت.. (زمجد) لم يعد حتى الآن ولا أعرف لماذا.. أين هو يا ترى؟

(أنهار) تمد يدها داخل حقيبتها الجلدية مخرجة صرة منها وهي تقول: معي ما يكفينا جميعاً

(عوراء) بسعادة: ماذا ننتظر إذاً؟!.. لنذهب للسوق!

(كُميت) بقلق: انتظروا.. من أي سوق سنتسوق؟

(أنهار): لمَ تسألين؟.. هل هناك سوق محدد تريدين أن تتسوقي منه؟

(كُميت): بل هناك سوق أريد تجنبه.. «سوق الحجاز».. لا يمكنني العودة إليه بعد ما حدث هناك

(رافدة): ولا أنا.. نحن مطلوبات هناك

(أنهار) بنبرة مطمئنة: لا تقلقن.. لن نذهب لسوق الحجاز.. بل لسوقٍ آخر

(عوراء): متى سنذهب؟.. أشعر بالحماس!

(أنهار) وهي تمد كفوفها جانباً قائلة: هيا.. مثلما فعلنا في المرة السابقة..

أمسك الجميع بكفوف بعضهم بعضاً مشكلين دائرة ثم أغمضوا أعينهم وخلال ثوانٍ سمعوا أصوت مجموعة من الناس يتحدثون حولهم فقالت الساحرة الهجينة: «يمكنكم فتح أعينكم الآن..»

(عوراء) بانبهار: أين نحن؟

(أنهار) ممعنة النظر بالسوق المكتظ بالناس: «سوق اللصوص»..

(دوسر) بخيبة: لقد أتينا لهنا من قبل يا خالة

(أنهار) وهي تبحث في حقيبتها الجلدية: نعم صحيح يا عزيزي

(دوسر) بإحباطٍ كبير: إنهم لا يبيعون الحلوى هنا

(رافدة) ممازحة (كُميت): ستنسجمين في هذا المكان

(كُميت): لِمَ تقولين ذلك؟

(رافدة) تشير بسبابتها على المتسوقين مبتسمة: نصفهم ملثمون مثلكِ

(كُميت) بتجهم: والنصف الآخر قبيحون مثلكِ

(رافدة) ضاحكة: ولِمَ الانفعال يا حجازية؟!.. أليست هذه هي الحقيقة؟!

(أنهار) مخرجة المال من حقيبتها: هيا تعالوا وليأخذ كل منكم نصيبه ولتكن مشترياتكم على قدر ما أعطيكم فقط

بدأت الساحرة تضع بضع قطع من الفضة في كف كل واحدة من الفتيات عدا (دوسر) الذي أخذ قطعة واحدة فقط..

(رافدة) ممعنة النظر للقطع في راحة يدها: ما هذا؟.. هذه لا تكفي لشراء شيء ذي قيمة

(أنهار): اختاروا ما تشاؤون وعند دفع الحساب أخبروني.. القطع الفضية ليست لشراء الأسلحة

(كُميت): لشراء ماذا إذاً؟

(أنهار): أي شيء آخر تشتهونه

(عوراء): هل تكفي لشراء رداءٍ جديدٍ؟

(أنهار): نعم.. لكن قبل أن تشتروا أي شيء يجب أن تتسلح أختاك الكبيرتان فهذا المكان يعج بالنخاسين وأنتم صيد مغرٍ لهم

(عوراء): لن نخشاهم وأنتِ معنا يا خالة

(أنهار): سأفترق عنكم لقضاء حاجة ما.. لكن لا تفترقوا أنتم بعضكم عن بعض حتى أعود

(كُميت): يمكننا مساعدتكِ في مبتغاك

(أنهار) موجهة نظرها لوسط السوق: لا.. هذا الأمر يجب أن أقوم به وحدي.. سأترك (دوسر) في رعايتكن ريثما أعود

(دوسر) بحزن: إلى أين أنتِ ذاهبة يا خالة؟.. هل ستتركينني وحدي مجدداً؟

(أنهار) تنزل على ركبتيها ماسحة على خده: فقط لبرهة قصيرة يا عزيزي لا تقلق لن تفتقدني سأعود في الحال

(عوراء) واضعة كفيها على أكتاف (دوسر) من الخلف: لا تقلق ستكون معي!

(دوسر) وعيناه تغرقان بالدموع: أريد أن أكون مع خالتي

(أنهار) لـ (عوراء): اعتني به يا صبية

(عوراء): حاضر يا خالة.. هيا يا (دوسر) تعال معي

(رافدة) مشيرة لمحلٍّ لبيع الأسلحة كان قريباً منهم: هذا المكان يبيع سيوفاً جيدة

(كُميت): السوق بأكمله يعرض أنواعاً فريدة

(أنهار): هيا انتقين ما تردن منها قبل أن أذهب

سارت المجموعة للدكان الذي أشارت إليه البدوية ووقفوا أمامه فرحب بهم البائع ثم قال: أي من معروضاتي لفت انتباهكم؟

(كُميت) وعينها على قوس نحاسي: هل هو مصنوع من المعدن؟

(البائع) رافعاً القوس: نعم.. هذا القوس غنيمة غنمها من باعه لي من رجل يعيش في أقصى الشمال

(كُميت): شمال الجزيرة؟

(البائع) وهو يمد القوس لها: أبعد من ذلك بكثير..

(كُميت) وهي تمسك بالقوس الممدود لها: غريب.. وزنه خفيف جدّاً.. كم ثمنه؟

(البائع): خمسون قطعة ذهبية

(رافدة) بغضب: ماذا؟!.. ما هذا الجشع؟!

(أنهار) ترفع يدها وتقول لها: اتركي مسألة الثمن لي.. اختاري سيفك

(رافدة) بتجهم مشيرة لسيف معلق خلف البائع: أرِني ذلك السيف

(البائع): هل أنتِ واثقة من قدرتك على تحمل ثمنه؟.. السيف باهظ الثمن

(أنهار) للبائع: أحضر السيف دون جدال

مد البائع السيف الذي كان بنصل لامع ومقبض عريض صُنع من العظم..

أخذت البدوية السيف وتفحصته وحركته بضع مرات يميناً ويساراً فقالت لها الساحرة الهجينة: هل أعجبك؟

(رافدة) ونظرها العابس للبائع: بالطبع أعجبني.. هذا السيف مصنوع بحرفية عالية لكن ثمنه سيكون مبالغاً فيه مثل القوس بلا شك

(أنهار) للبائع: أحضر السهام الخاصة بالقوس مع جرابها.. وأخبرني بالثمن الكلي

(البائع) بريبة: هل تنوون الهرب عندما أعطيكم الأسلحة؟.. اعلمي بأن..

(أنهار) مقاطعة تهديده: لن نهرب لأي مكان.. فقط أعطنا ما نريد كي تحصل على مالك

مد البائع جراباً جلديّاً به خمسة سهام نحاسية لـ (كُميت) التي أخذته وعلقته خلف ظهرها ومد كذلك غمد السيف لـ (رافدة) ثم قال: أين مالي الآن؟

(دوسر): هل يمكنني أن أبتاع سلاحاً أنا أيضاً يا خالة؟

(عوراء): وما حاجتك بالسلاح؟!

(دوسر): أريد أن أحمي نفسي به

(عوراء): لا يا (دوسر) أنت صغير على اقتناء سلاح

(دوسر) باكياً: أريد سلاحاً!

(أنهار) مبتسمة: حسناً توقف عن البكاء.. ماذا ستختار؟

(دوسر) ماسحاً دموعه مبتهجًا: شكراً يا خالة!

(رافدة) هامسة في أذن الحجازية: عجيبٌ ما يمكن للأطفال تحقيقه ببعضٍ من دموع الاستجداء..

ألقى (دوسر) نظرة سريعة على مجموعة من الأسلحة المفروشة أرضاً على قطعة قماشية ثم قال وهو يشير بسبابته لخنجرٍ صغير: أريد هذا!

(أنهار) ضاحكة: حسناً.. سأبتاعه لك

(عوراء): هل حقّاً ستشترين له سلاحاً يا خالة؟!

(أنهار) وهي تلتقط الخنجر من الأرض وتمده لـ (دوسر): ولمَ لا؟.. (دوسر) رجل ويمكنه استخدامه.. ماذا عنكِ أنتِ؟.. هل تريدين سلاحاً أيضاً؟

(عوراء) تهز رأسها بالنفي: لا.. أنا أكره الأسلحة

(رافدة) ملتقطة سوطاً أسودَ: ما رأيك بهذا يا (كُميت)؟

(عوراء) بنبرة متوترة: لا تبتاعيه أرجوكِ

(كُميت) وهي تأخذ السوط وتقلبه في يدها: لماذا؟

(عوراء): لا أحبه هو بالذات.. أرجوك أرجعيه

(كُميت) معيدة السوط لمكانه: أنا لا أجيد استخدام السياط عل أي حال

(البائع): هل انتهيتم؟.. أين مالي

(أنهار): كم حق ما أخذناه؟

(البائع): القوس بسهامه بخمسين قطعة ذهبية كما أخبرتك والسيف بسبعين والخنجر لن آخذ عليه مقابلاً فالمجموع يصبح مائة وثلاثين قطعة ذهبية

(رافدة) صارخة: مائة وعشرون قطعة يا لص!.. ثم إن السيف لا يستحق هذا المبلغ الباهظ!

(أنهار) بهدوء: توقفي يا (رافدة)..

(رافدة) بعصبية: لكن..!

(أنهار): جدال الأحمق حماقة أعظم.. سوف أعطيه ما يستحق لا تقلقي

مدت الساحرة الهجينة يدها في حقيبتها الجلدية وقبضت على شيء ما

ثم أخرجت قبضتها ومدتها للبائع وهي تقول: افتح يدك وعد مالك مد البائع يده وبسط كفه تحت قبضة الساحرة الهجينة ونظره على راحة يده بانتظار تساقط القطع الذهبية وخلال ذلك انتبهت (كُميت) إلى أن (أنهار) نفخت تجاه الرجل السارح في قبضتها ثم فتحت يدها التي كانت فارغة لكن الرجل ابتسم ومد كفه الأخرى وكأنه يحاول جمع كمية من القطع الكثيرة المتناثرة والتي لم يكن لها وجود.

(أنهار) تبتسم وتراقبه يعد الهواء بسعادة: هل وصلك حقك؟

(البائع) وهو منهمك في العد: نعم! نعم! . هذا أكثر مما طلبت!

(أنهار) وهي تهم بالرحيل: اعتبرها هدية مني..

تبعت المجموعة الساحرة الهجينة وهم مستغربون مما حدث ومن تصرف البائع عدا (كُميت) التي رأت ما جرى وعلمت بأن (أنهار) قامت بإلقاء طلسم ما عليه أوهمه بأنه حصل على أمواله لكنها لم تعلق. بعد أن توسط الجميع السوق وقفت الساحرة الهجينة تجول بنظرها بين أرجل الناس وكأنها تبحث عن شيء محدد فقالت (كُميت): عن ماذا تبحثين؟

(أنهار) وهي لا تزال تمعن النظر بين أقدام الناس: عن المرشد

(رافدة): المرشد؟

(أنهار): نعم.. المرشد الذي سيقودنا لوجهتنا التالية والتي سأجد فيها غايتي الثانية

(رافدة): لم تخبرينا عن الأشياء الأخرى التي تبحثين عنها.. هل هي أقنعة أيضاً؟

(أنهار): لا.. ولا أستطيع الاقتراب من الثالث قبل الحصول على الثاني

(كُميت): كلامك غير مفهوم

(أنهار) وهي تهم بالانفصال عن المجموعة: سأعود بعد قليل.. اهتما بالصغيرين واحمياهما من النخاسين المتربصين

سارت الساحرة الهجينة واختفت بين جموع المتسوقين تاركة الفتيات في حيرة..

(رافدة): ماذا نفعل الآن؟

(عوراء): أنا جائعة ..

(دوسر): وأنا كذلك

(كُميت) لـ (رافدة): يمكننا شراء بعض الطعام ريثما تعود

(رافدة): هذا المكان يعج بالمجرمين.. حتى الباعة لصوص

(كُميت): لا تقلقي أنا أجيد التعامل معهم.. هيا لنبحث عن مكان يقدم الطعام

(عوراء): هل يمكن أن أشتري لباساً جيداً قبلها؟

(رافدة) مبتسمة: لقد نسينا أمر لباسك.. حسناً.. لكن أخبريني قبلها.. لمَ تمزقين ملابسك دوماً؟

نظرت الحجازية لـ (عوراء) مترقبة إجابتها..

(عوراء) منزلة رأسها: لا أعرف.. أنا لا أمزق ملابسي.. من وقت لآخر أستيقظ وهي ممزقة وأجهل السبب.. أعتقد أني أعاني من مرض ما

(رافدة): وأي مرضٍ يجعلك تمزقين ملابسك؟.. هل تصرعين خلال نومك؟

(عوراء) والخجل يعتريها: لا تسأليني عن أمورٍ لا علم لي بها

(كُميت): يكفي يا (رافدة) لا تضايقي الفتاة

(دوسر) متعاطفاً معها: لا تحزني.. حتى خالتي (أنهار) تصاب بالكوابيس وتصرخ في منامها أحياناً

(رافدة) موجهة حديثها لـ (دوسر): هذا يقودني لسؤالك أنت أيضاً أيها الصغير.. ما حكاية خالتك؟

(دوسر) ببراءة: ماذا تقصدين بحكايتها؟

(رافدة): كيف اجتمعت بها؟.. أين أهلك وقبيلتك؟

(دوسر): أنا مع الخالة منذ أكثر من عام وهي من أنقذتني

(كُميت): أنقذتك من ماذا؟

(دوسر): من أمي.. أخبرتني الخالة بأنها كانت سيئة معي ولا تستحقني وأنا لا أذكر ذلك

(رافدة): هل ترغب في أن نحاول إعادتك لأهلك؟

(دوسر): لا.. أنا سعيد مع الخالة (أنهار) ولا أريد فراقها.. لكن..

(كُميت): لكن ماذا؟

(دوسر): مرض رأسها الذي يباغتها من وقت لآخر يزعجني ويخيفني

(رافدة): هل تقصد أنها مجنونة؟

(دوسر) محتضناً (عوراء) من الخلف: لا أريد الحديث في الأمر

(كُميت) واضعة يدها على كتف (رافدة): اتركيه.. فهو صغير ولن يستطيع فهم ما نريد أن نصل إليه

(رافدة): لكني وصلت لما أريد.. تلك المرأة فاقدة لعقلها وسوف تقودنا للهلاك معها

(كُميت): دعينا لا نستعجل بالحكم ولنبحث الآن عن لباسٍ جديدٍ للصبية ونتناول بعدها بعض الطعام

بعد جولة في «سوق اللصوص» توقفت المجموعة عند بائع للأقمشة والملابس وبدأت (عوراء) تبحث بين بضائعه المعروضة عما يناسبها بمعاونة (دوسر) والحجازية والبدوية تراقبانها مبتسمتين. رفعت (عوراء) لباساً أخضرَ أمام ناظريهما وقالت بحماس: ما رأيكما بهذا؟!

(رافدة) تمعن النظر باللباس باسمة: ما حكايتك مع اللون الأخضر؟.. لِمَ تختارينه دوماً؟

(عوراء) تضم اللباس لصدرها ضاحكة: لأنه أجمل الألوان

(دوسر): نعم صحيح!

(كُميت): لا يهم لونه.. المهم أن يكون واسعاً كي لا يتمزق مهما حاولتِ

(رافدة) للبائع: هل تملك لباساً يناسب هذه الصغيرة بحيث يكون واسعاً بما يكفي كي لا يتمزق؟

(البائع) مستغرباً: لم أفهم قصدك

(رافدة) هامسة في أذن البائع: الفتاة تصاب بالصرع وتمزق ملابسها ونريد لباساً مناسباً لها

(البائع) يهز رأسه: آه نعم.. فهمت.. لدي شيء مناسب

أخرج بائع الأقمشة لباساً أصفرَ فضفاضاً واسعاً وبسطه على الأرض قائلاً: هذا اللباس مصنوع من قماشٍ خاص لا يتمزق بسهولة وهو واسع بما فيه الكفاية كي يعطي الفتاة مجالاً للحركة

(عوراء) بخيبة: ما هذا؟.. الخيمة التي عليّ أهون من هذا اللباس البشع ثم إني لا أحب اللون الأصفر

(كُميت): هل يوجد منه لون أخضر؟

(البائع): لا.. ليس لدي سوى هذه القطعة

(رافدة): سنأخذها.. كم حقها؟

(البائع): ثلاث قطع فضية

(رافدة) بتجهم وهي تمد كل ما معها من نقود: صدق من أسمى هذا المكان بـ «سوق اللصوص»

(عوراء): أنا معي مال.. سأشتريه بنفسي

(رافدة) وهي تمد اللباس الأصفر للصبية باسمة: لا.. هذا الرداء هدية مني لكِ

(عوراء) تأخذ اللباس وتبتسم قائلة: شكراً يا أختي!

(كُميت) تفرك قمة رأس (عوراء) قائلة: هيا كي تجربيه

(عوراء): لا.. ليس الآن.. لاحقاً

(رافدة) مستديرة خلفها: أين (دوسر)؟

بحث الجميع بأنظارهن حولهن ولم يرين الصبي فقالت (عوراء) بقلق شديد: أين ذهب؟!

(رافدة): ستقتلنا الفارسية لو فقدناه

(كُميت) محدقة بنظرها الحاد في أقصى السوق: هناك!.. إنه يقف مع تلك المرأة ذات الجلباب الأسود!

جرت الثلاث نحو المرأة التي كانت تشد على معصم (دوسر) وتسير معه وانتزعنه منها بالقوة..

(رافدة) صارخة فيها: ماذا تظنين نفسك فاعلة؟!

لم ترد المرأة وهربت جرياً من المكان..

(كُميت) للصبي: ما الذي تفعله؟!.. لمَ تركتنا؟!

(دوسر): تلك المرأة أخبرتني بأنها تبيع الحلوى وكنت ذاهباً معها لأشتري بعضَها لي ولـ (عوراء)

(عوراء) بنبرة مؤنبة: لا تفعل ذلك أبداً يا (دوسر)!.. المكان خطر.. ألم تسمع تحذيرات الخالة؟!

(دوسر) منزلاً رأسه بحزن: حاضر

(رافدة): هذا المكان يثير القلق.. متى ستعود الفارسية؟

(كُميت) مشيرة بسبابتها لمحل يبيع اللحوم المجففة: سننتظرها في ذلك المكان

وقف الجميع عند المحل وتناولوا بعض الطعام الذي اشتروه بمال (عوراء) والحجازية ولم يتبقَّ معهم سوى قطعة فضية واحدة ابتاعوا بها بعض الماء من رجل كان يدور بقربته ويسقي المارة.

(رافدة) وهي تراقب المتسوقين من حولهم: هل لاحظتِ كيف ينظر الناس إلينا هنا؟

(كُميت) تشد على معصم الصبي: نعم.. وكأنهم يحاولون تحيُّن الفرصة لنهبنا أو خطفنا

(عوراء) تضم الرداء الأصفر لصدرها: أو سرقة لباسي الجديد!

(رافدة): إلى متى سننتظر تلك الفارسية حتى تعود؟

(كُميت): لقد تأخرت بالفعل

(رافدة): أقترح أن نتوارى عن الأنظار قليلاً ونبتعد عن الزحام وسط السوق

(كُميت): لا.. فلن تجدنا السيدة (أنهار) بسهولة لو اختبأنا

(دوسر): الخالة تجد كل من تبحث عنه

(رافدة): لنأمل أن تجد ما ذهبت لأجله بسرعة إذاً

بعد انتظار طويل جلست (عوراء) مع الصبي على الأرض يلعبان بعضهما مع بعض بينما وقفت البدوية والحجازية تراقبانهما بصمت..

(رافدة) متأملة الصغيرين خلال لعبهما: الحياة كانت أسهل في الماضي..

(كُميت): الحياة لم تكن أسهل.. عقلك فقط كان أصغر.. كلما كبرنا زاد إدراكنا وفهمنا أن هذه الحياة غابة مظلمة مليئة بالحيوانات المفترسة المتربصة بنا

(رافدة): لذا فأكثر ضحايا الحياة هم الصغار..

(كُميت): وأكثر الجناة هم الكبار..

خلال حديثهما اقترب رجل منهما وتحدث مع (رافدة) بعد ما ابتسم لها كاشفاً عن أسنانه الصفراء وهو يشير لـ (عوراء) قائلاً: بكم الجارية؟

(رافدة): كم ترى أنها تستحق؟

(كُميت) بتعجب: ماذا تفعلين؟

(رافدة) هامسة في أذن الحجازية: لن أمضي وقتي بمراقبة الناس.. لنتسلَّ قليلاً مع هذا الأحمق

(كُميت) بصوت مسموع لـ (رافدة) فقط: هؤلاء الناس ليسوا

مناسبين لتسليتك فهم خطرون جدّاً.. لا نريد إحداث مشكلة مثلما حدث في سوق «هجر»

(رافدة) مشوحة بيدها: لا عليكِ

(الرجل): أقدرها بخمس قطع فضية

(رافدة) بتهكم: هل تتحدث عنها أم عن لباسها؟

(الرجل) بتعجب: أي لباس؟

(رافدة) وهي مستمرة بالسخرية من الرجل: لباسها الأصفر الذي بين يديها..

(الرجل) وهو مشوش: سآخذها بلباسها

(رافدة) ضاحكة: لا!.. الصبية ليست للبيع

(الرجل): كل شيء في هذا السوق للبيع

(رافدة): أخبرتك بأنها ليست للبيع.. انصرف الآن

(الرجل): لقد عرضتِها للبيع وسوف أشتريها.. حددي السعر الآن

(رافدة) صارخة في الرجل: هل أنت أحمق؟!.. أخبرتك بأنها ليست للبيع!

صمت الرجل وتجلت على ملامحه نظرات التوعد ثم رحل..

(كُميت) تراقبه يسير مبتعداً عنهم: لقد اقترفتِ خطأً جسيماً

(رافدة): لم يحدث شيء.. لقد وصلته الرسالة

(كُميت): أنتِ لا تعرفين العرف الدارج بين النخاسين.. عندما تعرضين شيئاً للبيع فهو يصبح مستباحاً.. لقد أعلنتِ أن (عوراء) سلعة معروضة وهو الآن يريدها وسوف يبذل كل ما يستطيع للحصول عليها

(رافدة): سأخبره بأنها بألف قطعة ذهبية ولن يستطيع دفع هذا الثمن

(كُميت): وهل تظنين أن الوسيلة الوحيدة للحصول على العبيد هي بالمال فقط؟

(رافدة): ماذا تقصدين؟

عاد الرجل مرة أخرى ومعه عشرة رجال ضخام مسلحين بالسيوف ووقف أمام الفتاتين قائلاً: كم تريدين ثمناً للجارية؟

همت (رافدة) بسل سيفها للاشتباك مع النخاس ورجاله لكن (كُميت) منعتها وقالت للرجل: ثلاث قطع ذهبية

(رافدة): ماذا تفعلين؟!

حنى الرجل رأسه بالموافقة وأخرج القطع الذهبية ومدها لـ (كُميت) ثم قال لأحد الرجال الواقفين خلفه وهو يشير لـ (عوراء): هذه.. أحضروها

(كُميت) تمد ذراعها موقفة الرجل: انتظر!

(الرجل) بعبوس: ما الأمر؟.. ألم أدفع ثمنها؟

(كُميت): بلى.. بلى.. لكننا نريد شراء غيرها منك.. هل لديك بعض العبيد لتعرضهم علينا؟

(النخاس) مبتسمًا: نعم بالطبع.. اتبعوني

سار النخاس مع رجاله ومن خلفه المجموعة وخلال سيرهم قالت (رافدة) بغضب مكبوت: هل جننتِ؟!.. ماذا تظنين نفسكِ فاعلة؟!.. كان يمكنني التخلص منهم جميعاً!

(كُميت) وهي تسير ونظرها للأمام: لو اشتبكنا معهم في وسط السوق فلن يهرب الناس مثلما حدث في «هجر».. الجميع هنا مسلحون وسيقفون معهم ولن نستطيع مقاومتهم جميعاً وحتى لو صمدنا فسوف يتعرض الصغيران لخطر الخطف في حموة القتال.. كان يجب أن ننقل المواجهة معهم لمكانٍ آخر وهذا ما أقوم به الآن

(رافدة) واضعة يدها على مقبض سيفها: معنى هذا أننا سنقاتلهم

(كُميت): لا مخرج من الورطة التي ورطتِنا فيها سوى ذلك

(رافدة): لا تقلقي فرجاله ليسوا أندادًا لي

استمر النخاس ورجاله بالسير خروجاً من حدود السوق وابتعدوا عنه حتى وصلوا لساحة مفتوحة يتوسطها مبنى ضخم بسور عالٍ توقف عند بوابته الكبيرة التي فتحت أبوابها كاشفة عن ساحة كبيرة امتلأت بالناس فأشار لهما قائلاً: تفضلا

(رافدة): نتفضل إلى أين؟

(النخاس): للزريبة كي تنتقيا ما تريدان من الرقيق

(كُميت) بصوت مسموع لـ (رافدة) فقط: هذا هو المكان الذي سنواجههم فيه.. كوني مستعدة

(عوراء) بقلقٍ شديد: لا أريد الدخول

(دوسر): لِمَ لم ننتظر خالتي وتركنا السوق؟

تجاهلت الفتاتان حديث الصغيرين ودخلتا الزريبة وهما تتحينان الفرصة للصدام مع النخاس ورجاله لكن نيتهما تبدلت عندما شاهدتا

ما بالداخل. رأتا مجموعة كبيرة من الزنازين امتلأت بالعبيد نساء ورجالاً وأطفالاً وأن الرجال العشرة المصاحبين للنخاس لم يكونوا إلا جزءاً يسيرًا من أتباعه فقد اكتظ المكان بهم بالإضافة لمجموعة من الرماة المنتشرين فوق أطراف السور والذين شدوا سهامهم نحوهما بمجرد تجاوزهما البوابة ورأتا كذلك شخصاً بملابس غريبة بدا أنه ساحر أو كاهن ما يجلس على قمة منصة خشبية وسط الساحة يراقب المكان.

(رافدة) لـ (كُميت): يبدو أن خطتك لن تنجح..

(كُميت) وهي تحاول أن تحصي من سيواجهونهما بقلق شديد: فعلاً.. لا أظن أن الغلبة ستكون لنا هنا أيضاً

(رافدة): وما هي خطتكِ الآن؟

لم تلحق الحجازية أن ترد حتى سمعت صرخة (عوراء) من خلفها عندما قام النخاس بجرها من شعرها مسقطاً رداءَها الأصفر من يدها ليقودها لأحد الأقفاص الخشبية المنتشرة في المكان. سلت (رافدة) سيفها بنية القتال لكن الحجازية منعتها مرة أخرى قائلة: لا!.. أرجوك!

(رافدة) تشاهد (عوراء) تساق بعنف وهي تصرخ مستنجدة: ماذا تنتظرين؟!

(كُميت) بهدوء: لا يمكننا الاشتباك معهم الآن.. لا نستطيع

أعادت (رافدة) سيفها لغمده بتجهم وأحست بـ (دوسر) يحتضن ساقها مرعوباً وهو يراقب (عوراء) ترمى في قفص خشبي ويقفل عليها ويقول: لمَ أخذوها؟!

(رافدة) بغضب: اسأل خالتك (كُميت)!

(كُميت): لا تقلقا.. سنعود لنجدتها بعد غروب الشمس حين يهدأ المكان

عاد النخاس إليهم وقال: هل ترغبون الآن في أخذ جولة على الزنازين لاختيار ما تريدون؟

(كُميت): لا.. لم نرَ شيئاً يعجبنا

(النخاس): عن ماذا تبحثين؟.. يمكنني أن أجد لكِ أي صفات ترغبين بها حتى وإن لم تكن موجودة هنا

(كُميت): لا، شكراً.. نريد الرحيل فقط

(النخاس) مشيراً لرجاله بفتح البوابة: كما تشائين..

خرج الثلاثة من المبنى وأغلق الباب خلفهم وما أن حدث ذلك حتى قالت (رافدة) بعصبية شديدة: هل تظنين حقّاً أني سأنتظر للمساء؟!.. هل تعلمين ما قد يحدث لها في هذا الوقت؟!

(كُميت) منزلة رأسها: أعرف.. لكن لا خيار أمامنا غير ذلك

(دوسر): لنعد للسوق ونطلب العون من الخالة (أنهار)!

(رافدة): لن نعود!.. (عوراء) لن تبقى في هذا المكان لحظة واحدة!

(كُميت) ممسكة بقوسها: حسناً.. لكن ماذا عن الصبي؟

(رافدة) تبحث بنظرها في المنطقة المفتوحة حولهم لتلمح مجموعة من النخيل في الأفق ثم تقول: هناك!.. سنخبئه هناك

(كُميت): هيا بنا إذاً

بعد مسيرة دقائق وصلت الفتاتان لمجموعة النخيل فحملت البدوية الصبي على كتفها وصعدت به النخلة وهو يقول: هل سنقطف البلح؟

عند وصولها لقمة النخلة مدت (رافدة) يدها للحجازية في إشارة منها بأن ترمي عليها لثامها ففعلت..

ربطت البدوية خاصرة الصبي بجذع النخلة وشدت الوثاق وقالت له بنبرة مطمئنة: سوف نعود إليك بعد ما ننقذ (عوراء).. لا تتحرك أو تحدث صوتاً

(دوسر): هل يمكنني تناول البلح؟

(رافدة) ماسحة على رأسه باسمة قبل أن تهم بالنزول: نعم.. تناول ما تشاء منها

وقفت الفتاتان عند النخلة التي ربطتا (دوسر) في قمتها تراقبان المبنى البعيد بالأفق لثوانٍ ثم قالت (رافدة): ما الخطة؟

(كُميت) وأعينها الثاقبة تراقب السور: المواجهة المباشرة لن تكون في مصلحتنا.. والباب لن يفتح لنا بسهولة لذلك سوف نتسلق السور وما أن نستقر فوقه تقفزين أنتِ وتتجهين مباشرة لـ(عوراء) وتحررينها وتعودين بها

(رافدة): ماذا عنكِ؟

(كُميت): سوف أقنص الرماة في البداية وبعدها أوفر لكِ الغطاء اللازم للهرب

(رافدة): أنتِ لا تملكين سوى خمسة أسهم

(كُميت): الرامي الأول سوف نتسلل من ورائه ونقتله وأستعين بسهامه

(رافدة): الخطة تبدو ركيكة وغير محكمة ولا تنسي الساحر الذي يتوسط المكان ونجهل قدراته

(كُميت): أنا منصتة إذا كنتِ تملكين حلًّا آخر

(رافدة) مستلة سيفها: لا شيء يخطر ببالي الآن

(كُميت): هيا بنا إذاً

هرولت الفتاتان متجهتين نحو المبنى واختارت الحجازية وجهتهما بناءً على علمها المسبق بمواقع الرماة فوق السور بحيث لا ينتبهون إليهما خلال تسللهما بعد تسلقهما. أسندت الأختان ظهورهما للسور الطيني الشاهق فقالت (رافدة): من أي جهة سنتسلق؟

(كُميت) رافعة نظرها للأعلى: سنسير بمحاذاة السور عشرين ذراعاً بعدها سنصل لمكان أول رامٍ وعندها نتخلص منه ونغنم سهامه ونَتسلق

نُفذت الخطوة الأولى من الخطة كما قالت الحجازية لكن عند وصولهما للمكان فوجئتا بأمر أثار استغرابهما..

(كُميت) باندهاش شديد: أين الرامي؟.. من المفترض أن يكون هنا

(رافدة): ربما غير مكانه

(كُميت) تتخلى عن التصاقها بالجدار وتقف أمام السور موجهة نظرها للأعلى: الرماة لا يغيرون أماكنهم بهذه السهولة أو السرعة.. لقد رأيته عن بعد قبل أن نصل إليه عندما كنا نجري قادمتين من أشجار النخيل

(رافدة) وهي تتحرك من مكانها أيضاً وتشاركها النظر لأعلى السور: ماذا حدث إذاً؟

(كُميت) منزلة رأسها وكأنها تحاول التركيز بسمعها: هل تسمعين ما أسمعه؟

(رافدة) بتركيز: نعم.. أعتقد.. كأنه صراخ لمجموعة من الناس

(كُميت) بتعجب: بالضبط.. ما الذي يحدث بالداخل؟

(رافدة): لنقتحم المكان كما خططنا.. الوقت ليس في مصلحتنا أو في مصلحة (عوراء)

(كُميت): معكِ حق.. هيا!

سور المبنى الطيني كان سهلاً للتسلق بسبب الشقوق والنتوءات التي

انتشرت على سطحه وخلال أقل من دقيقة وصلت الفتاتان للحافة وأطلتا برؤوسهما بحذر لاستكشاف المكان وتحديد أهدافهما الرئيسة لكنهما صعقتا لما رأتاه.

مجزرة.. هذا أقل تعبير يمكن أن يصف ما كانت البدوية والحجازية تشاهدان أمامهما بأفواه مفتوحة عجباً من فوق السور فقد انتشرت الأشلاء والأطراف في كل مكان وتشبعت الأرض بدماء الحراس والنخاسين حتى العبيد لم ينجوا وتم ذبحهم كالخراف بعد ما حُطمت زنازينهم وأقفاصهم.

(رافدة) بنبرة مصدومة جدّاً: ما الذي حدث هنا؟.. من فعل ذلك كله؟

(كُميت) بصدمة مماثلة: لا تسأليني..

(رافدة): هل لقيت (عوراء) حتفها معهم؟

(كُميت) موجهة نظرها للمكان الذي احتجزت فيه: قفصها محطم لكنها ليست بداخله ولا أرى جثتها بينهم

(رافدة): لننزل ونبحث عنها حتى وإن كانت جثة هامدة فلن نتركها هنا

قفزت الفتاتان من فوق السور وبمجرد أن حطت أقدامهما على الأرض غطتا أنوفهما من رائحة الدماء التي فاحت في المكان وأثارت غثيانهما.

(رافدة): كيف لكل هذا أن يحدث في وقتٍ قصير؟.. نحن لم نرَ أحداً يدخل أو يخرج من المكان

(كُميت) وكفها على فمها وأنفها: لا أجد تفسيرًا يقبله العقل لما حدث هنا

(رافدة): لنفترق ونبحث عن جثة (عوراء)

(كُميت): لمَ أنتِ متيقنة من أنها ماتت؟

(رافدة): ولمَ ستنجو هي بالذات؟.. الناجي الوحيد في هذه المذبحة هو..

توقفت البدوية عن الكلام وأدارت نظرها لـ (كُميت) التي رمقتها بنظرة خوف وقلق لكنهما لم تتبادلا الحديث وافترقتا بحثاً عن الصبية.. خلال بحثهما مرت (رافدة) بالرداء الأصفر الملقى على الأرض فحملته وضمته لصدرها وأكملت البحث. بعد مدة نادت الحجازية من بعيد على أختها قائلة: «هل وجدتِ شيئاً؟!»

(رافدة): لا!.. فقط المزيد من الجثث والأشلاء!

(كُميت) محدثة نفسها: أين هي؟

قررت الفتاتان التوقف عن البحث في النهاية بعد فقدانهما الأمل في إيجاد الصبية وتوجهتا للبوابة للخروج منها وعند وصولهما توقفتا وقالت (رافدة): ربما تمزق جسدها بالكامل لذا لم نستطع التعرف عليها بين كل تلك الأشلاء

(كُميت): ربما..

(رافدة): لقد لاحظت شيئاً غريباً خلال البحث بين الجثث

(كُميت): وأنا أيضاً

(رافدة): أخبريني أنتِ أولاً

(كُميت): الجثث لم تقتل بنصال حادة.. لقد مزقت أطرافها وكأنها نزعت نزعاً من أجسادها والجروح تبدو ناتجة عن افتراس وحوش ضارية مثل الذئاب أو السباع

(رافدة): هذا ما كنت سأقوله تماماً

(كُميت): شيء آخر..

(رافدة): ما هو؟

(كُميت): لقد رأينا هذه الآثار من قبل.. هل تذكرين؟

(رافدة) بقلق: نعم.. عندما كنا مع العمة عند قصر ملكة الدم.. جثة المتنور الرامي الذي هاجمنا في ساحة القصر

(كُميت): بالضبط.. جروح جثته مماثلة لما نراه الآن

(رافدة): هل تريدين القول بأن عـ..

قوطع حديثهما بطرقٍ قوي على البوابة من الخارج أثار فزعهما..

(رافدة) ممسكة بسيفها والطرق مستمر ويزداد قوة وتسارعاً: هل أفتح البوابة؟

(كُميت) تشد سهماً على قوسها وتنزل على ركبتها متأهبة: نعم..

# تقاطع النِّصال

مدت البدوية يدها وأمسكت مقبض البوابة التي لا تزال تهتز من الطرق القوي وباليد الأخرى شدت على مقبض سيفها تأهباً لأي مفاجأة والحجازية من خلفها على ركبتها موجهة نصل سهمها للباب مباشرة بالتأهب والاستعداد أنفسهما. ما أن سحبت (رافدة) الدرفة اليسرى حتى فتحت البوابة بأكملها وانطلق من خلالها الساحر الذي رأتاه سابقاً وهو يهرول بسرعة والخوف والجزع يهيمنان على وجهه وبدأ يصرخ بهلع وجسده ورأسه مليئان بالجروح الغائرة وملابسه ممزقة وقال صارخاً: «أين هي؟!.. أين الشيطانة؟!»

(رافدة) من خلفه بنبرة عالية ومهددة وهي تشد على سيفها: ابقَ مكانك ولا تتحرك!

التفت الساحر إليها مفزوعاً وصرخ فيها وبدأ بالجري نحوها لمهاجمتها لكن سهم الحجازية سبقه وارتكز في رأسه ليسقط صريعاً في الحال.

شدت (كُميت) سهماً آخر على قوسها ونهضت من مكانها وأخذت بضع خطوات نحو الساحر الملقى على الأرض ونظرها منصب عليه.

(رافدة): لا تقلقي.. لقد مات

(كُميت) ترخي شدها للسهم وتعيده للجراب الجلدي خلف ظهرها: كيف خرج للخارج دون أن نراه؟

(رافدة) موجهة نظرها للسور الطيني العالي: لا أعتقد أنه تسلق السور.. ربما طار كالفارسية أو رماه أحد من فوقه

(كُميت): ولِمَ يعود للداخل؟.. ألا يخشى الموت؟.. هل تظنين أنه الفاعل؟

(رافدة): إذا كان هو الفاعل فمن تسبب له بتلك الجروح؟

(كُميت) وهي تشد سهمها المغروس في رأس الساحر لتستعيده: معكِ حق

(رافدة): لم يعد هناك سبب لبقائِنا هنا.. لنعد للصبي قبل أن يهلك من حر الشمس

خرجت الاثنتان من المبنى عائدتين لمجموعة النخيل التي ربطتا (دوسر) عندها وفي منتصف الطريق شاهدتا (عوراء) تهيم عارية في الصحراء فجرتا نحوها وعند وصولهما إليها اعترضتا طريقها بالوقوف أمامها لكنهما لم تتحدثا معها مباشرة لأنهما رأتا أن أعينها كانت بيضاء بالكامل وفي حالة من الضياع والتيه فقامت (رافدة) بإيقافها عن التقدم وألبستها رداءَها الأصفر وأجلستها على حجرها وقالت لـ (كُميت): أحضري الصبي وأنا سأنتظر هنا معها..

جرت الحجازية نحو مجموعة النخيل وتسلقت النخلة التي قيد فيها (دوسر) بلثامها وحررته ثم حملته على كتفها ونزلت عائدة بالسرعة نفسها لأختيها وعند وصولها رأت أن (عوراء) مغمضة العينين والبدوية تمسح على جبينها برفق.

(كُميت) تضع الصبي على الأرض قائلة بقلق: ماذا حدث لها؟.. هل أخبرتكِ؟

(رافدة) وهي مستمرة بالمسح على جبين (عوراء) محدقة بوجهها بقلق: قالت شيئاً غريباً.. كلمة واحدة بلغة لم أفهمها.. لكن صوتها لم يكن هو.. كان صوتاً مختلفاً.. صوت رجل

(كُميت): رجل؟

(رافدة) مديرة وجهها للحجازية: نعم.. هناك شيء مخيف في أختنا

(أنهار) من خلفهما: أختكما غير طبيعية.. خذا حذركما منها..

قفز (دوسر) فرحاً لرؤية خالته وجرى نحوها لمعانقتها..

(كُميت): ماذا تقصدين بغير طبيعية؟

(رافدة): أختنا مريضة فقط

(أنهار) واضعة كفها على رأس الصبي بعد أن احتضن فخذها وعيناها على (عوراء) الفاقدة للوعي: منذ أن عانقتني خارج أسوار «هجر» وأنا على علم بأنها ليست طبيعية.. أين وجدتموها؟

(رافدة) بعبوس: لا شأن لكِ بها!

(أنهار): حسناً.. لكن ما هو من شأني هو سؤالي لكما عن سبب ترككما للسوق بعد ما حذرتكما من ذلك؟

(كُميت): نحن آسفـ..

(رافدة) مقاطعة بنبرة ساخطة: أنتِ لم تحذرينا من ترك السوق!.. لقد حذرتنا من النخاسين فقط!

(أنهار) مبتسمة: حسناً يا (رافدة) لن أجادلكِ أكثر

(كُميت): هل وجدتِ ما كنتِ تبحثين عنه يا سيدة (أنهار)؟

(أنهار): لا.. الأمر كان أصعب مما ظننت

(كُميت): لمَ لا تخبريننا ما تبحثين عنه لعلنا نستطيع مساعدتكِ.. لا تستصغري من قدراتنا

نظرت الساحرة الهجينة لأعين الحجازية المحدقة فيها بصمت لعدة ثوانٍ متفكرة وكأنها لا تريد الإفصاح عن ما يدور في دواخلها لكنها في نهاية المطاف قالت: «باشه..» .. سأخبركما عما أبحث عنه في «سوق اللصوص» لكن الشمس شارفت على المغيب والبحث عنه ليلاً غير مجدٍ

(رافدة): عن من؟

(أنهار): عن المرشد.. الدليل الهادي.. الجوال المتجول والساكن المسكون..

لم تفهم الفتاتان المقصد من كلام الساحرة الهجينة التي أخرجت بعض القطع الذهبية من حقيبتها الجلدية وقالت لـ (كُميت) وهي تمدها لها:

«عودي للسوق واشتري دابتين وحمليهما بخيمتين وكل ما يلزم لرحلة طويلة..»

(كُميت) وهي تأخذ القطع الذهبية: خيولاً أم إبلاً؟

(أنهار): فرساً وناقة.. لا تشتري جواداً أو بعيراً.. مفهوم؟

(كُميت): حاضر

(أنهار): هل تحتاجين أن يرافقكِ أحد؟

(كُميت) تلف لثامها على وجهها: سأكون بخير وحدي

(أنهار) مشيرة لمجموعة النخيل التي ربط فيها (دوسر) سابقاً: سنكون بانتظار عودتك هناك

(كُميت) تهز رأسها بالموافقة وتهم بالرحيل: حسناً

رحلت الحجازية سيراً على أقدامها عائدة لسوق اللصوص لجلب ما طلبته الساحرة الهجينة منها..

(أنهار) لـ (رافدة): هيا لنحتمِ من حر الشمس فأختك ستستغرق بعض الوقت حتى تعود

حملت البدوية (عوراء) النائمة وبدأت بالسير نحو أشجار النخيل ومن خلفها (أنهار) التي حملت هي الأخرى الصبي الصغير الذي قال

لها بقلق: ما بها (عوراء) يا خالة؟
(أنهار) ونظرها مرتكز على (رافدة) السائرة أمامها: إنها متعبة قليلاً..
لا تقلق عليها ستكون بخير
عند وصولهم للمكان وضعت (رافدة) الصبية على الأرض تحت ظل النخيل وجلست بجانبها..
(أنهار) تُنزل (دوسر) أرضاً مخاطبة (رافدة): ما مشكلتك معي؟
لم ترد البدوية عليها ولم تلتفت حتى إليها..
(أنهار) مستأنفة الحديث معها: أنا لست عدوة لكن ولو كنت كذلك لرأيتن وجهي الآخر
(رافدة) بتهكم وأعينها على وجه (عوراء): وكم وجهاً تملكين يا فارسية؟
(أنهار) محركة سبابتها مجبرة رأس (رافدة) على الالتفات إليها وبنبرة مهددة: لا تجبريني على التعامل معكِ بطريقة لن تعجبك
(رافدة) متألمة من انحناء عنقها رغماً عنها: لن تكسريني بأساليبك البالية يا ساحرة!
(أنهار) تلف عنق البدوية أكثر وتقول بهدوء: يمكنني فصل رأسك عن عنقك بحركة من سبابتي.. ما رأيك؟

(رافدة) بلا اكتراث وبنبرة متألمة: لست متعلقة بالحياة يا ساحرة كي تهدديني بالموت..

أنزلت الساحرة الهجينة سبابتها محررة عنق البدوية من قبضتها وقالت: أريد سبباً واحداً لعدائك لي..

وقفت (رافدة) تدعك عنقها بكفها وقالت بتجهم: لا أحتاج أسباباً كثيرة.. يكفي أنكِ تبقيننا معكِ بالقوة لتحقيق مآربك.. تتعاملين معنا وكأننا خدم عندك!

(أنهار): ماذا تريدين؟.. أخبريني وسأمنحك أي شيء

(رافدة): أن تتركينا نرحل بسلام ولا تلزمينا بمرافقتك أو بتنفيذ عهدنا معكِ

(أنهار): لكِ ذلك.. عندما تعود أختكِ سوف نفترق.. هل هذا كل شيء؟

(رافدة) بريبة: هل تقولين الصدق أم أنكِ تجارينني فقط؟

(أنهار): لا حاجة بي للكذب.. إذا لم تطلبن بأنفسكن أن ترافقنني فلن أجبركن وهذا وعد مني

(رافدة): حسناً سنرى..

بقيت المجموعة عند أشجار النخيل عدة ساعات بانتظار عودة الحجازية من السوق لكنها تأخرت مما دفع (رافدة) الجالسة عند (عوراء) لقول: أين (كُميت)؟.. لِمَ لم تعد من السوق حتى الآن؟

(أنهار) من جانبها وهي تراقب (دوسر) يلعب بالقرب منهما: السوق يغلق مع غروب الشمس وغالباً هي لا تزال تبحث عن الدواب المناسبة

(رافدة): الشمس ستغرب بعد قليل والريح الباردة بدأت تهب.. يجب أن نشعل ناراً

(أنهار) تهم بمسح كفّيها بعضهما ببعض لإشعال النار: أين تريدينها؟

(رافدة): هل يمكننا إشعال النار بالطريقة المعتادة ولو لمرة واحدة؟

(أنهار) متوقفة عمّا كانت تقوم به: لا بأس لكن لماذا؟

(رافدة) تنهض من مكانها وتبدأ بجمع بعض أغصان الحطب الجافة: بدأت أفتقد الحياة الطبيعية.. الحياة الخالية من السحر والطلاسم

(أنهار) تبتسم وهي تتأمل البدوية خلال جمعها للحطب وتقول: ولِمَ لا تعودين إليها؟ ما الذي يمنعك؟

(رافدة) واضعة غصناً آخر على ساعدها: أشياء كثيرة.. ومع ذلك ما زلت أريد العودة لقبيلتي بالرغم من المخاطر التي تنتظرني هناك

(أنهار): هذا ما أسعى أنا لتحقيقه بالعودة لـ «فارس».. اشتقت لشواطئ «ديلم» ونخيلها

(رافدة): ألا يمكن لخالتك أن تسمح لكِ بالعودة دون الاقتتال معها؟

(أنهار): لن تتركني أهنأ للحظة واحدة لو علمت بأني عدت لـ «فارس» وتخليت عن وصيتها.. قبل أن تزرع أرضًا بالورد يجب أن تقتلع ما فيها من صبار.. لن أستعيد حياتي الطبيعية وهي لا تزال على قيد الحياة

(رافدة) رامية ما جمعته من حطب أمام الساحرة الهجينة: ما زلت أرى أن التفاهم قد يقودك لحل يرضي الطرفين

(أنهار) ضاحكة: تفاهم؟!.. ومع العمة (أفسار)؟!

(رافدة) خلال جمعها المزيد من الحطب: نعم وما المشكلة؟

(أنهار) بابتسامة حزينة: كرهها للعرب يعمي أعينها في كل مرة يحاول عقلها العمل.. بالرغم من أن سر قوتها يعود الفضل فيه لعلوم العرب في السحر إلا أن هذا لم يغير في قلبها شيئاً تجاههم.. أخبرتني بذلك

عندما كانت تعلمني بعض طلاسمها الخاصة في «هجر» وكأنها تريد أن توصل لي رسالة بأنها لو أحست بأي تعاطف من قبلي تجاه عرق أمي فسوف تسخط علي.. أكثر من يتعرض للكره هو من يحاربه.. ولو أني حاولت مع خالتي لانقلبت عليّ وأقصتني دون تردد

(رافدة) تجلس بجانبها بعد ما جمعت ما يكفي من الحطب: وكيف حصلت على ذلك العلم وهي تكره العرب؟

(أنهار): هذه الحقيقة لا يعرفها أحد سواي بعد ما أخبرتني بها قبل أن نفترق في «هجر) وتعود لـ «فارس» مع أخواتي.. قالت إنها وفي وقتٍ مضى تعرضت لاعتداءٍ كاد يودي بحياتها وكانت على شفا الموت لولا أن شخصًا ما أنقذها وأبقاها بكوخٍ فوق جبلٍ متجمد لمدة خمسة أعوام أجبرها فيها على تعلم السحر المتقدم بتقديم الكتب النادرة لها بشكلٍ يومي دون أن يكشف لها عن هويته

(رافدة) تمسك حجرين من الصوان لإشعال النار بهما: ولمَ يقوم بذلك؟

(أنهار): معظم السحرة المخضرمين عندما يتقدم بهم العمر ويشعرون بدنوِّ أجلهم يختارون ساحراً آخر يورثون له هذا العلم الوافر الذي أفنوا حياتهم في جمعه وتحصيله ويبدو أن الخالة (أفسار) قد وقع عليها

الاختيار في تلك اللحظة لسببٍ ما عندما خسرت نزالها مع كبير السحرة بـ «تخت سليمان».. أعتقد لأنها أول ساحرة تقرر مواجهة زعيم السحرة آنذاك لأن ذلك لم يكن مسبوقاً

(رافدة) وهي تطرق الحجرين بعضهما ببعض محدثة بعض الشرر: ومن كان ذلك الساحر الذي ورثها علمه؟.. هل كشف هويته لخالتك؟

(أنهار): نعم.. لم يكن ساحرًا بل ساحرة.. جدة أختي الكبرى (نازانين) هي من قام بإنقاذ خالتي وتعليمها السحر لتخلفها وقد علمت بذلك عندما آوتها واحتوتها بعد ما تركت الكوخ فوق قمة الجبل وأحرقت جميع الكتب التي قدمتها لها وهذا السر لا يعرفه أحد حتى (نازانين)

(رافدة) خلال نفخها على النار الصغيرة التي أحدثتها مستخدمة الأوراق الجافة: ولمَ تخبركِ أنتِ بالذات دونَ أخواتكِ الأخريات؟

(أنهار): أعتقد أنها اختارتني كي أخلفها وانتقتني من بين أخواتي عندما اكتشفت قدرتي على حفظ الطلاسم بسرعة بعد نزالنا مع العصبة العربية ووضعت مهمتي في «عربستان» كَاختبارٍ لي

(رافدة) وهي مستمرة بالنفخ على النار لتكبر: كان من الأولى أن تختار فارسية لتورث علمها لها وليس هجينة مثلكِ

(أنهار): كره خالتي للعرب لم يحلْ بينها وبين رغبتها باختيار الأنسب لتلقي كل تلك العلوم بوقتٍ قصير وتدمير سحرة «عربستان» من الداخل وأخواتي لم يكنّ ليستطعن الانخراط في أرض الجزيرة بسهولة مثلما فعلت أنا

(رافدة) تمسح كفيها أمام النار التي تصاعدت ألسنتها: وهل تكرهين العرب بالقدر نفسه الذي تكرههم به خالتك؟

(أنهار): العرب كانوا وما زالوا جزءاً مني فهم أهل أمي وكل يوم أمضيته بأرضهم وبينهم أجد نفسي تميل إليهم أكثر لكن ليس للدرجة التي تجعلني أنسى «فارس».. ما أنا متيقنة منه هو أني فقدت الرغبة في إلحاق الأذى بهم مهما كانت رغبة خالتي بذلك.. أرادت خلق شوكة في خاصرة العرب من خلالي وتلك الشوكة سترتد بعينها في القريب العاجل لكن ليس قبل أن أحصل على ما سيمنحني القدرة للتغلب عليها وعلى أخواتي.. يجب أن أكون مستعدة لمواجهتهنّ إذا كنت أريد أن أستعيد حياتي مرة أخرى

(رافدة) مسندة ظهرها لجذع نخلة خلفها: وكم بقي لتكوني جاهزة لتلك المواجهة؟

(أنهار) سارحة بالنار المشتعلة أمامها: لقد بت اليوم أقوى منهنّ جميعاً لكن خالتي لا تزال تخيفني

(رافدة): لكنك لم تحصلي على القناع الذهبي..

(أنهار): لا بأس.. ما سنجده في «المدينة المفقودة» سيعوض تلك الخسارة.. المهم أن نجد الطريق المؤدي إليها

(رافدة): .. «المدينة المفقودة»؟

(أنهار): نعم.. مدينة «تاج الملوك».. هذه هي وجهتنا التالية

(رافدة): وماذا سنجد هناك؟

قبل أن ترد الساحرة الهجينة على البدوية انتبهت لشيء يظهر أمامها بالأفق البعيد حيث كانت الشمس الحمراء تحط وقالت لـ (رافدة): هل ترين ما أراه؟

(رافدة) موجهة نظرها حيث كانت (أنهار) تمعن النظر: يبدو وكأنه سرب من الطيور المقبلة نحونا

نهضت الساحرة الهجينة ونادت على (دوسر) بصوت مرتفع: تعال هنا بسرعة!

جرى الصبي نحو خالته التي أمرته بالجلوس عند (عوراء) النائمة وحذرته من ترك مكانه..

(رافدة) مراقبة ما يحدث بقلق: ما الأمر؟!

(أنهار) معيدة نظرها لسرب الغربان الكثيف المقترب منهم: أنتِ كذلك ابقي معهما حتى أتخلص منه..

(رافدة): تتخلصين مِمَّن؟!.. عن ماذا تتحدثين؟!

(أنهار) وهي تبدأ بالسير مبتعدة عن أشجار النخيل: فقط ابقي مكانك ولا تتدخلي أبداً

قطعت الساحرة الهجينة مسافة مائة قدم تقريباً توقفت بعدها عندما أحاط بها سرب الغربان وأخذوا يحلقون فوقها وينعقون بصوت مزعج ومرتفع.

(أنهار) بنبرة هادئة وواثقة: ليس لدي اليوم بطوله.. لننتهِ من هذا الأمر في الحال

صمتت الغربان وتوقفت عن النعيق في الوقت نفسه ليعم هدوء صارخ في المكان تبعها تساقط أجسادها واحداً تلو الآخر على الأرض

حول الساحرة الهجينة ولم يبقَ سوى ثلاثة غربان في السماء يرفرفون بأجنحتهم لعدة ثوانٍ قبل أن يتشكلوا لهيئة بشرية وينزلوا على الأرض أمام (أنهار).

بقيت الساحرة الهجينة تراقب من تشكلوا أمامها وقد كانوا رجلاً أصلع حليق الوجه يلبس رداءً أسود ممسكاً بيديه حربة طويلة برأسٍ حاد وامرأتين متطابقتين في أشكالها وكأنهما توءمتان فكلتاهما كانت تحمل سيفين. سيفاً في كل يد وشعرهما قصير جدّاً والوشوم السوداء ملأت أجسادهما عدا وجوههما ولم يكن بينهما أي اختلاف حتى بالملامح سوى لون الشعر فواحدة كان شعرها بلون فضي لامع والأخرى بلون أصفر كلون الذهب. اشتركت الاثنتان بسمة واحدة فقط وهي أن كلًّا منهما وشمت بخمس نجومٍ على أنوفهما بينما وشم الرجل على رأسه بثماني نجوم في إشارة واضحة إلى أنهم جميعاً من المتنورين القتلة.

(المتنور الأصلع) وهو يشد من قبضته على حربته الطويلة: إلى متى وأنتِ تحاولين الهرب من قبضة الطائفة الجنتية؟!

(أنهار) ببرود: أنا لم أهرب يوماً منكم.. أنتم من لا تدركون أنكم لن تستطيعوا أبداً الإيقاع بي مهما أرسلتم من قتلة

(المتنورة ذات الشعر الفضي) مقلبة سيفيها ليشتعلا بوهج أزرق: رأسك مطلوب عند السيد الكبير وسوف نقطفه ونرسله إليه اليوم!

(المتنورة ذات الشعر الذهبي) رافعة سيفيها فوق رأسها ليشتعلا هما أيضاً بلهب أصفر وتقول ضاحكة: الموت يطرق بابك يا ساحرة فما أنتِ فاعلة؟!

(أنهار) منزلة حقيبتها الجلدية جانباً وعيناها تتحولان لبياضٍ مُشع وبكل هدوءٍ تقول: «لنمتْ.. ما بها؟.. لنمتْ..»

اندفع المتنور الأصلع جرياً نحو الساحرة الهجينة موجهاً رأس حربته للأمام وهو يصرخ كالمجنون بينما تحركت المرأتان بسيوفهما المتوهجة يمنة ويسرة منطلقتين بالسرعة نفسها و(أنهار) تقف بانتظارهم. قبل أن يغرس المتنور رأس حربته في صدر الساحرة الهجينة حركت كفها وكأنها تبعد ذبابة عن وجهها لترمي به أرضاً على وجهه في الرمال وقبل أن يرتد كفها وجهت المتنورتان سيوفهما الأربعة لعنقها بعد ما قفزت كل واحدة منهما من جنبيها لكنهما وجدتا أن أنصال سيوفهنّ تحطمت قبل أن تمسها لتقبض (أنهار) بيديها عنق كل واحدة وتقول:

«هل هذا أفضل ما يستطيع المتنورون تقديمه؟»

أمسكت المتنورة ذات الشعر الفضي بقبضتيها على معصم يد (أنهار) القابض على عنقها ورفست بقدميها وجه الساحرة الهجينة وهي تقول: نحن لم نبدأ بعد!

اختل توازن (أنهار) من تلك الضربة وأفلتت قبضتها من عنق المتنورة ذات الشعر الذهبي وقبل أن تستعيد تركيزها قامت الأخرى بنفخ نارٍ من فمها لوجه الساحرة الهجينة بينما نهض المتنور الأصلع وبحركة سريعة وخاطفة رمى برمحه الطويل تجاه (أنهار) المشوشة. لم ترخِ الهجينة قبضتها عن عنق المتنورة ذات الشعر الفضي بالرغم من استمرارها بنفث النار المحرقة عليها بل حركتها لتصد بجسدها ذلك الرمح المندفع نحوها وعندما انتبهت المتنورة ذات الشعر الذهبي لذلك ألقت بجسدها عليهما وأزاحتهما عن طريق الرمح الذي تجاوزهما ولم يصب أي واحدة منهنّ.

مسح المتنور الأصلع على رأسه ليتحطم رمحه لعدة أجزاء صغيرة تحولت لسرب من الغربان السوداء التي التفت وعادت محاصرة للساحرة الهجينة الواقعة على الأرض وأخذوا ينقرونها بمناقيرهم الحادة. تدحرجت المتنورة ذات الشعر الذهبي مبتعدة عن (أنهار) التي

كانت تصارع سرب الغربان وهي مستلقية ووقفت في الحال بجانب زميلتها تراقبان المشهد ضاحكتين. صرخ المتنور الأصلع فيهما من الخلف قائلاً: «لا تقفا هكذا وأجهزا عليها!»

خرج غرابان من السرب المحاصر لـ (أنهار) وحلقا تجاه المتنورتين اللتين رفعتا كفوفهما وأمسكتا بالطائرين ليتحولا لخناجر بيديهما. اندفعت الاثنتان جرياً نحو الساحرة الهجينة في نية لتوجيه عدة طعنات لها خلال انشغالها بإبعاد الغربان المحاصرة لها لكنها باغتتهما بقراءة طلسم خرج على أثره مجموعة كبيرة من الصخور من قاع الأرض قامت برجم الطيور جميعاً وقتلها في الحال دفعة واحدة لتجتمع مكونة صخرة كبيرة اندفعت نحوهما لتضربهما وتسقطهما أرضاً قبل أن تصلا إليها. ارتفعت الصخرة الكبيرة للأعلى خلال نهوض (أنهار) التي أصيبت ببعض الجروح على وجهها وحركت كفها نزولاً لتنزل الصخرة على المتنورة ذات الشعر الذهبي وتسحقها. صرخت المتنورة ذات الشعر الفضي عندما شاهدت أختها وهي تُقتل أمامها وهمت بالاندفاع باتجاه الساحرة الهجينة لكن الصخرة سبقتها وارتفعت مرة أخرى ونزلت على رأسها هي الأخرى. انفجرت الصخرة وتحطمت

بعد ما نطحها المتنور الأصلع برأسه وقال وهو يتنفس بغضب كالثور الهائج: «لن أكون لقمة سائغة مثلهما يا ساحرة!»

(أنهار): هيا.. أرِني ما عندك..

خلع المتنور الأصلع رداءه الأسود وبسطه على الرمال أمامه وقفز وسطه واختفى تحت الأرض..

(أنهار) بتهكم: حيلة جميلة.. ماذا الآن؟

لم تكمل الساحرة الهجينة جملتها حتى أحست بنصلٍ حاد يشق ظهرها لتلتفت مذعورة خلفها وترى المتنور يغوص في الرمال بسرعة..

(أنهار) متأثرة من إصابتها وتجول بنظرها بحثاً عن المتنور: جبان خسيس!.. أظهر نفسك!

صرخت الساحرة الهجينة مرة أخرى بعد ما تعرضت لطعنة ثانية في خاصرتها لتشاهد الجزء العلوي من المتنور خارجًا من الأرض بجانبها ممسكاً بحربة نحيلة حادة غارساً رأسها فيها وهو يقول متهكماً: «ما بكِ؟.. ألن تقاومي ولو قليلاً!؟!»

وجهت (أنهار) قبضتها لوجه المتنور لكنه وبسرعة البرق غطس مرة

أخرى في الرمال تاركاً الساحرة الهجينة تسير بخطوات بطيئة ومترنحة تنزف من جروحها..

لم يظهر المتنور الأصلع لفترة وكأنه ينتظر أن تخور قوى الساحرة الهجينة أكثر حتى يوجه ضربته الأخيرة لها وبالفعل ومع اختفاء نور الشمس بالكامل وتخييم الظلام في المكان قفز المتنور من تحت الأرض أمامها وهي بحالة تعب وإرهاق شديدين وفي يده حربة طويلة هم بتوجيهها نحوها لكن الحربة سقطت من قبضته عندما خرج نصل سيف (رافدة) من قلبه بعد ما طعنته من الخلف. أمسك المتنور نصل السيف الدامي الخارج من صدره وهو مصدوم واستدار خلفه ليرى البدوية تنظر إليه بحدة وتتنفس بتسارع من الرهبة وقبل أن يفقد الوعي التقط حربته ورفعها فوق رأسه في نية لرميها تجاهها لكن (أنهار) باغتته بضربة أخيرة قبل أن تفقد وعيها وسحبت السيف من ظهره وغرسته في أعلى عنقه ليسقط الاثنان على الأرض أمام (رافدة).

# سيف السماء والدابة العظيمة

فتحت الساحرة الهجينة عينيها لترى بنظرها المشوش أنها مستلقية أمام النار و(دوسر) بجانبها نائماً وعند النخلة فوق رأسها ربط لجام فرس رمادية وناقة حمراء محملين بالعتاد ووجدت أن جروحها قد طببت بالكامل. بعد أن زالت الزغللة بالكامل عن عينيها انتبهت إلى أن (رافدة) و(كُميت) كانتا تجلسان عند النار تتسامران لكن حديثهما لم يكن مسموعاً بوضوح لها فهمت بالنهوض لكن جسدها لم يساعدها فانتبهت الفتاتان لها ونهضتا من مكانهما وسارتا نحوها وهما تقولان بصوت واحد: ابقي مكانك!

(أنهار) معيدة رأسها للخيمة المطوية التي وضعت تحته: ما الذي حدث؟

(كُميت): لقد حكت لي (رافدة) كل شيء ولحسن الحظ أني ابتعت بعض اللوازم الخاصة بتطبيب الجروح لكني لم أظن أننا سنحتاجها بهذه السرعة ولكِ أنتِ بالذات

(أنهار) مبتسمة: حتى الساحرات ينزفن يا (كُميت).. البدوية أنقذت حياتي وأنا مدينة لها

(رافدة): لم أفعل ما يستحق أن تديني لي بشيء ثم إني في الحقيقة أشعر بأننا نحن من تسببنا لكِ بهذا الأذى بسبب ملاحقة المتنورين لنا

(أنهار): هذه المرة لم يكونوا يبحثون عنكن بل عني..

(كُميت) باستغراب: عنكِ أنتِ؟.. هل أنتِ مطاردة منهم أيضاً؟

(أنهار) ماسحة على رأس (دوسر) النائم عند صدرها: نعم.. بدأت مطاردتهم لي منذ عامين تقريباً عندما قتلت أحدهم في (هجر» وأهدر سيدهم الكبير دمي جراء ذلك ومن وقتها والطائفة الجنتية ترسل قتلتها للثأر.. حمقى.. لأجل متنور واحد سقط حتى الآن العشرات منهم على يدي ولا يزالون يحاولون ويفشلون في كل مرة لكن مؤخراً بدأت هجماتهم تزداد قوة وأخشى أنهم سينجحون قريباً

(كُميت): لِمَ لم تخبرينا بذلك من قبل؟

(أنهار): أشياء كثيرة لا تعرفنها عني ولا نية عندي للتحدث عنها لذا لا تسألن

(رافدة): هل يمكننا على الأقل السؤال عما إذا كنا سنرحل قريباً بعد إصابتك؟

(أنهار): كما أخبرتكِ.. يمكنكن الرحيل إذا شئتن.. سأتدبر أموري مع (دوسر) كما كنا نعل دوماً

نظرت الفتاتان بعضهما لبعض لثوانٍ بصمت ثم قالت (كُميت) وهي لا تزال تحدق بأعين أختها: لا.. سنبقى معكِ حتى تنتهي.. لقد اتفقنا على ذلك ولن نتراجع الآن

(رافدة) تهز رأسها بالموافقة: نعم.. أختي معها حق

(أنهار): بعد غدٍ سوف أتعافى بالكامل لكن يجب أن نجد المرشد قبلها

(كُميت): جروحك لن تلتئم بالكامل قبل عدة أسابيع

(أنهار): لدي طرقي الخاصة في تعجيل ذلك.. لكن أريد منكما التوجه للسوق غداً والعثور على المرشد وإحضاره إلى هنا

(رافدة): وكيف سنجد هذا الرجل؟

(أنهار): المرشد ليس من البشر.. مرشد «المدينة المفقودة» من الجن ويزور أسواق البشر في أرجاء الجزيرة بأوقات محددة لأسبابٍ مجهولة وخط سيره غير معروف لكني تمكنت بصعوبة من معرفة معلومة واحدة من أحد مسترقي السمع وهي أنه يزور «سوق اللصوص» مرة كل عام في هذا التوقيت ولا يبقى سوى يومين فقط ثم يختفي بعدها ويصعب إيجاده وقد أهدرت اليوم الأول بالبحث عنه ولم أجده ولم يتبقَّ سوى الغد

(كُميت): وكيف سنجده نحن؟

(رافدة): والأهم من ذلك كيف نقنعه بأن يأتي معنا

(أنهار) تبحث بنظرها: أين حقيبتي؟

(رافدة) وهي تنهض: سأحضرها لكِ

مدت البدوية الحقيبة الجلدية للساحرة الهجينة المستلقية والتي قامت بإخراج حجر أسود صغير منها ومدته لهما قائلة: هذا الحجر سيجبره على القدوم معكما

(كُميت) آخذة الحجر الأسود الصغير من بين أنامل (أنهار) ممعنة النظر

فيه: هل نقدمه له فقط؟

(أنهار): عندما تحددان مكانه وتتثبتان من أنه هو المرشد فقط قوما برمي الحجر عليه وسيصبح طوع أمركما

همت البدوية بالحديث لكن (أنهار) قاطعتها بصوتٍ متعب وقالت: أعرف ما ستقولين.. المرشد متشكل كبشر لكن ينقصه سمة واحدة وهي التي من خلالها تستطيعان كشف هويته

(كُميت): ما هي؟

(أنهار): المرشد لا يملك ظلًّا.. مهما تحركت الشمس حوله فجسده لا يترك أثراً على الأرض.. لقد فشلت بالأمس وأنتما أملي الأخير.. ابحثا عن رجل بلا ظل فهو غايتكما

(رافدة): هل يحق لنا على الأقل معرفة غايتكِ أنتِ من الوصول لهذه المدينة؟

(أنهار): لقد وضعت لنفسي ثلاثة أهداف للوصول للقوة التي أصبو إليها لمواجهة خالتي وأخواتي.. القناع الذهبي.. سيف السماء.. طلسم الدابة العظيمة..

(كُميت): وأي من المتبقي سنجده في المدينة المفقودة؟

(أنهار): سيف السماء.. الذي قُتل به (الجلاد)

(كُميت): من؟

(أنهار): أمضيت سنوات من عمري أبحث عن حقيقة «المدينة المفقودة» التي شيدها الجني المتمرد المعروف بـ (الجلاد) والذي كان موته لغزاً محيراً بأوساط الإنس والجن لكني وجدت الحقيقة

(رافدة): وما هي تلك الحقيقة؟

(أنهار): الجن لم يكن يسمح لهم بتعمير أرض أو تشييد بنيان لذا تجدين ممالكهم في الجبال أو البحار أو الصحراء المفتوحة لكن أميراً من الجن تمرد على هذا القانون السماوي وخرج مطالباً بمدينة معمرة يبنيها الجن على سواعدهم ودعا لتجاهل ذلك الأمر المحرم مدعياً أنه مجرد أوهام زرعها الجن المعمرون برؤوسهم وأنه لا يوجد قوة أعلى منهم ستمنعهم وبالفعل نجح بإقناع عدد كبير من الجن من عدة قبائل مختلفة شاركوه ذلك الطموح في إعادة وجودهم على الأرض كشعوب معمرة وأسموا المدينة «تاج الملوك» بعد اكتمالها في أحد أرجاء جزيرة

العرب. قرر هذا الأمير المتمرد أو كما عرف لاحقًا بـ (الجلاد) أن يغزو قبائل الجن التي لم تنضم إليه ويقبض على شيوخها ويقوم بجلدهم بسوطٍ كبيرٍ حتى يخضعوا له أو يهلكوا تحت ضربات سوطه.

بلغ (الجلاد) مرحلة من الطغيان أوصلته للجنون لكن جنونه هذا لم يزده إلا هيمنة ورغبة بالتوسع أكثر وزيادة أعداد المنضمين إليه مما جعله مصدر رعب لبقية قبائل الجن لدرجة أن بعضهم بدؤوا يتوجهون لمدينة «تاج الملوك» طوعًا لينضموا إليه ويساندوا طموحه قبل أن يغزوهم ويرغمهم بالقوة لكن غروره قاده للتهلكة في نهاية المطاف فبعد ما كبرت مملكته وأصبحت قوة يهابها حتى قبائل الشياطين بدأ (الجلاد) يخطط لغزو مدن يقطنها بشر وتلك كانت بداية النهاية..

(كُميت): ماذا حدث؟

(أنمار): في ليلة من الليالي قبل تحركه نحو إحدى المدن جنوب «الحجاز» هبط من السماء جيشٌ عرف بـ «جيش النور» لأنه أحدث وهجاً أبيضَ كبيراً خلال نزوله على مدينة «تاج الملوك» رآه الكثير من القاطنين في المنطقة على بعد مسافات طويلة وخلال دقائق من الصراع والقتال قتل جميع الجن بمن فيهم الأمير المتمرد الذي تلقى طعنة من

أحد مقاتلي السماء بسيفٍ ذي بريق قوي كان هو الأثر الوحيد الذي خلفه (جيش النور) خلفه. خلت المدينة من قاطنيها لعدة أعوام لكن ومع تقدم الزمن بدأ بعض الجن الذين كانوا متعاطفين مع (الجلاد) ولم ينضموا إليه بالعودة للمدينة والعيش فيها إحياءً لذكراه لكنهم لم يعلموا بأن «جيش النور» وقبل رحيله عن المدينة قد أصدر حكماً أشبه باللعنة وهو أن كل من يدخلها من الجن لا يمكنه الخروج منها ويحبس خلف أسوارها للأبد..

(رافدة): إذا كان كل الشهود على الواقعة لقوا حتفهم فكيف علمتِ بكل تلك التفاصيل؟

(أنهار): العلم كان موجوداً في السماء فقط ولا يستطيع سرقته سوى الشياطين المسترقة لذا جلت أطراف الجزيرة شرقاً وغرباً.. شمالاً وجنوباً حتى تمكنت من جمع فتات العلم من هنا وهناك من السحرة المتعاونين مع المسترقين وأكملت الحقيقة.. حقيقة أن السيف المنير لا يزال موجوداً في مدينة «تاج الملوك» ولا أحد يعلم بذلك سوى الجن المحبوسين داخل المدينة

(كُميت): فهمت من كلامك أن الجن عموماً يستطيعون الوصول

لتلك المدينة وقتها يشاؤون فلمَ تحتاجين هذا المرشد بالذات؟.. لمَ لا تستعينين بأي نفر من الجن؟

(رافدة): نعم.. لدينا عبد من الجن الأزرق وقد يقودنا إليها لو عاد

(أنهار): الوصول إلى المدينة هو نصف المهمة النصف الآخر هو الدخول بأمان.. لا يكفي أن نجد الطريق المؤدي إليها فقط .. يجب أن يسمح لنا بالدخول والمرشد هو الوحيد المخول بمنح ذلك الحق

(كُميت): سوف يحبس إذا دخل معنا.. وهل هو من سيخرجنا منها؟

(أنهار) مبتسمة: أسئلتكما كثيرة.. سوف تريان بأعينكما كل شيء في وقته.. فقط أحضراه لي غداً وهو مقيد لإحداكما بالحجر الأسود

هزت الفتاتان رؤوسهما بالموافقة..

(أنهار) تتأمل وجوههما التي تضج بالأسئلة وتقول باسمة: حسناً.. اسألا

(رافدة): ماذا عن الطلسم؟

(أنهار): طلسم الدابة العظيمة؟

(كُميت): نعم.. ما حكايته ولمَ تريدينه؟

(أنهار): هذا الطلسم بالذات بدأت أشك بقدرتي في الحصول عليه بعد ما كاد المتنورون اليوم ينهون حياتي فصاحبته أقوى منهم بكثير.. بكثير جدّاً.. كنت أريد مواجهتها وأنا أملك القناع الذهبي لأرجح كفتي قليلاً لكن ذلك لم يعد ممكنًا الآن

(كُميت): ماذا عن (سيف السماء)؟.. ألن يكون كافياً لمواجهتها؟

(أنهار): السيف أجهله وأجهل قدراته ولم يمسه بشر من قبل وقد لا يكون ذا منفعة من الأساس هذا إن وصلنا إليه ووجدناه

(رافدة): سنكون معكِ ونعاونكِ في مواجهتك ضدها

(أنهار) مبتسمة: الطلسم لا يجيده سوى ساحرة سندية اسمها (العطبول) وتعرف بـ (أميرة العاج).. صغيرة بالعمر لكنها اكتسبت علماً عظيماً من جدها قبل وفاته.. ذلك العلم توارثه أفراد عائلتها لقرون طويلة وقد وقع عليها الاختيار لحمله بعد إصابة جدها بالمرض لأنها كانت آخر سلالتهم ولم يكن لها إخوة ليحملوا العلم عوضاً عنها وأعظم ما تعلمته هو طلسم (الدابة العظيمة) والذي لا ينجو منه أحد كما يشاع بين أوساط السحرة

(كُميت): سندحرها.. لكن كيف تنوين الحصول على الطلسم منها؟

(أنهار) مغمضة عينيها: كل شيء في وقته يا بنات.. كل شيء في وقته..

مع أول الصباح استيقظت الفتاتان وامتطتا الفرس الرمادية وانطلقتا نحو السوق للبحث عن المرشد ولم توقظا (أنهار) التي كانت لا تزال نائمة مع (دوسر) و(عوراء) عند جذوع النخيل. بعد مضي ساعتين على غيابهما فتحت الساحرة الهجينة عينيها عندما أحست بتقلب (دوسر) في حضنها وهو يهم بالاستيقاظ فتبسمت له وقالت: ألم تكتفِ من النوم؟

(دوسر) بنبرة ناعسة محتضناً (أنهار): لا أريد ترك دفء النار يا خالة

(أنهار): هل رأيت الناقة التي أحضرتها أخواتك؟

(دوسر) رافعاً رأسه بحماس: لا!.. أين؟!

(أنهار) مبتسمة: إنها مربوطة عند تلك النخلة.. أعرف أنك تحب اللعب مع النياق

(دوسر) ينهض من مكانه على عجالة باحثاً بنظره حوله حتى وقعت عينه على الناقة المربوطة عند جذع النخلة: إنها جميلة!

(أنهار): اجلب لنا بعض البلح لنتناوله قبل أن تفك رباطها

جرى (دوسر) نحو النخلة وبدأ بتسلقها و(أنهار) تراقبه باسمة..

خلال ذلك سمعت أنين (عوراء) من خلفها وقد بدأت هي الأخرى بالاستيقاظ..

(أنهار) محدثة الصبية دون أن تحيد بنظرها عن (دوسر) فوق النخلة: كيف حالك يا صبية؟.. هل استرددتِ عافيتك؟

(عوراء) بنبرة متعبة جدّاً وهي مستلقية على ظهرها تحدق بأهداب النخيل المتراقصة فوقها: أين أنا؟

(أنهار): أنتِ في أمان والفضل يعود لأختيك..

(عوراء): أين (دوسر)؟

(دوسر) ملوحاً بيده من فوق النخلة: أنا هنا!

وجهت الصبية نظرها إليه وشعرت بالاطمئنان وتبسمت..

(دوسر) رامياً بلحة تجاهها: خذي!. تناولي هذه!

سقطت الثمرة نصف الناضجة بجانب الصبية لكنها لم تتحرك لتلتقطها وكان التعب بادياً عليها بالرغم من ابتسامتها. نهضت (أنهار)

بتثاقل من مكانها وزحفت ملتقطة البلحة مكملة زحفها حتى استقرت بجانب (عوراء) ومدتها عند فمها قائلة: «تناوليها كي تكتسبي بعض القوة..»

(عوراء): لا أشتهي يا خالة

وضعت أنهار الثمرة في فمها ولاكتها حتى أصبحت مضغة لزجة ثم أخرجتها من بين شفتيها ودستها بفم الصبية وهي تقول: يجب أن تأكلي..

تناولت (عوراء) البلحة الممضوغة دون مقاومة ثم قالت: أين أختاي؟

(أنهار) مسندة رأسها بجانب رأس (عوراء) دون أن تلامسها: ذهبتا للسوق..

(عوراء) بنبرة مهمومة: هناك شيء مظلم مرتبط بي ولا يريد تركي..

(أنهار): أعرف يا صبية لكن ماذا تعرفين أنتِ عنه؟

(عوراء): لا شيء.. لا شيء البتة.. لكني أحس بأثره وتفاقم ذلك الإحساس منذ خروجي من «مدينة البركة»

(أنهار): هل كنتِ من سكان تلك المدينة؟

(عوراء) مديرة نظرها نحو (أنهار) المستلقية بجانبها: نعم.. هل تعرفينها؟

(أنهار): زرتها قبلاً

(عوراء) مبتهجة: حقّاً؟!.. ما رأيك بها؟!

(أنهار) سارحة في ملامح الصبية المسرورة وخدها مسند جانباً: مدينة كئيبة يملؤها الألم..

(عوراء) بحزن: صحيح.. هذا أقل ما يمكن أن يُقال عنها

(أنهار): لمَ كنتِ هناك؟

(عوراء): لا أذكر ولا أريد التذكر.. التحرر من الماضي هو أول خطوة نحو المستقبل.. الماضي الذي عشته حالك السواد ولا أريد العودة إليه حتى لو كان بعقلي فقط

(أنهار): أنتِ روح عتيقة بجسد يافع.. هذه الكلمات لا تصدر من فتاة بعمرك

(عوراء): ربما لأنها ليست كلماتي.. سمعتها من أحد زوار «مدينة البركة» ولم أفهمها إلا عندما خرجت منها

(أنهار): وهل وجدتِ السعادة بعد خروجك منها؟

(عوراء): لم أكن أبحث عنها لأجدها.. كنت أريد حياة هادئة فقط

(أنهار) ممعنة النظر في الأجزاء المكشوفة من جسد (عوراء): الندب والحروق على جسدك تحكي الكثير..

(عوراء) مشيرة لعينها المفقوءة: بالرغم من أني أكره كل ندبة في جسدي إلا أن هذه الندبة بالذات بكفة والبقية في كفة.. بت أكره نفسي بسببها

(أنهار): من يكره نفسه لا يمكنه أن يحب الحياة أبدًا..

(عوراء): الحياة هي من تكرهني وليس العكس.. لقد أعاقت هذه الندب حياتي وحرمتني الكثير

(أنهار): أنا كذلك أملك ندباً لكنها لم تكن يوماً عائقاً لي بل على العكس تماماً كانت هي من تحفزني وتذكرني كل يوم..

(عوراء): تذكرك بماذا؟

(أنهار) وأعينها محدقة بأعين (عوراء): بأنه لا أحدَ سيهتم لأمرك سواك وكما ولدنا وحدَنا سنموت وحدَنا لذا يجب ألا نعلق مصايرنا بأشخاصٍ مهما كانوا.. البحث عن القبول عند الآخرين هو بداية

انهيارك أنت اقبل نفسك وحاول أن تؤمن بنفسك فقط بعدها ستكون صخرة لن يؤثر فيك شيء..

(عوراء): ماذا عن (دوسر)؟.. ألا تحبينه؟

(أنهار) ومعالم وجهها تتغير: (دوسر)؟.. هذا الصبي هو وحده من استطاع تجاوز كل الحواجز التي شيدتها بيني وبين الناس.. هو من استطاع الولوج إلى قلبي دون استئذان وحبي له تجاوز نفسي وهذا ما يخيفني

(عوراء): لماذا؟

(أنهار): أن تحب غيرك هو أن تضحي له بكل ما تملك.. روحك وراحتك.. شعورك ومشاعرك.. وأنا عاهدت نفسي أني لن أفعل ذلك أبداً لأي أحد.. لكن.. مع (دوسر) أنا مستعدة للقيام بذلك دون تردد

صوت شيء يسقط من خلفهما..

جلست الاثنتان ووجهتا أنظارهما للمكان الذي صدر منه الصوت لتريا (دوسر) وقد وقع من فوق النخلة على قفاه..

(عوراء) باسمة: وأنا أحبه أيضاً ومستعدة للتضحية من أجله

(أنهار) خلال مراقبة (دوسر) وهو ينهض وينفض التراب عن ملابسه: مع الحب تأتي الغيرة يا صبية وهي شعور مدمر احذري منه..

(عوراء) موجهة نظرها لجسد (أنهار) المطبب ثم لوجهها المصاب ببعض الخدوش: ما الذي حدث لكِ يا خالة؟

(أنهار) ماسحة على وجنتها بأناملها مبتسمة: حصلت على ندبٍ جديدة لا أكثر..

(عوراء): وندبك القديمة.. ما سببها؟

(أنهار): خالتي.. هي من تسببت بندبي.. ما ظهر منها وما بطن

(عوراء): هل تكرهينها؟

(أنهار): أكره ما كانت عليه.. امرأة بلا قلب.. بلا رحمة.. منحتني أسوأ ذكريات حياتي

(عوراء): وتلك الذكريات لا تزال تطاردك؟..

(أنهار): نعم.. في يقظتي ومنامي.. عندما تنوي دفن الذكريات المؤلمة تثبت من أن الحفرة عميقة.. أنا لم أستطع القيام بذلك.. خالتي (أفسار) هي كابوسي الذي لا أستطيع الاستيقاظ منه لكنها أعطتني نصيحة في وقتٍ من الأوقات تمكنت من خلالها من البقاء والصمود أمام عواصف الحياة التي تعصف بي دوماً

(عوراء): وما تلك النصيحة؟

(أنهار): بعد ما قدمتني أول مرة لأحد السحرة في «الجبل البارز» مقابل طلسمٍ وعدت منه بين الحياة والموت وأفقت فجراً بغرفتي وحدي بكيت.. بكيت بشدة وحرقة.. أحسست بالظلم والعجز عن أخذ حقي وعندما دخلت عليّ خالتي (أفسار) ورأتني بتلك الحالة توقعت منها بعض المواساة خاصة وأنها هي من رمتني تحت أقدامه وتنوي تكرار الشيء نفسه مع ساحر آخر يعيش في «سيبه»لكنها لم تفعل واكتفت بقول: «لا تظهري دموعك لأحد لأنها ستكون سلاحاً تُطعنين به ويستخدم ضدك عاجلاً أم آجلاً..»

(دوسر) منادياً على (عوراء) من عند النخلة التي وقع تحتها: تعالي لنلعب مع الناقة!

(عوراء) ترد بصوت مرتفع عليه: حسناً!.. حل وثاقها وسألحق بك!

(أنهار) مستأنفة حديثها وهي سارحة بحزن: ندبي وندبك هي سر بقائنا وستكون يوماً سبباً في عظمتنا فأصحاب الإعاقات عظماء دوماً..

(عوراء): وما العظمة في النقص؟.. هل رأيتِ عظيماً أعورَ من قبل؟

(أنهار): هل ترين أن عاهتك هذه نقص؟

(عوراء): نعم.. ولا تحاولي إقناعي بغير ذلك

(أنهار): إذا كان بكِ نقص فهو في عقلك الذي يفكر بتلك الطريقة..

(عوراء) تبتسم وتهم بالنهوض للحاق بـ (دوسر): أعرف هذا سلفاً يا خالة

استلقت الساحرة الهجينة مرة أخرى وبقيت صامتة تراقب الصبي والصبية يلعبان مع الناقة..

# قافلة الجِيَف

على ظهر الفرس الرمادية دخلت البدوية والحجازية «سوق اللصوص» أول الصباح وتجولتا فيه بهدوء وأنظارهما تبحث عن المرشد الذي أخبرتهما عنه الساحرة الهجينة..

(رافدة) ممسكة بلجام الفرس: كيف سنجد هذا المرشد بين هذه الحشود الكبيرة؟

(كُميت) من خلفها: أعتقد أن البحث ونحن على ظهر الفرس غير مجدٍ.. يجب أن نترجل عنها كي نستطيع إمعان النظر في ظلال الناس أكثر

(رافدة): لو تركنا دابتنا فسوف تسرق بلا شك

(كُميت) وهي تقفز على الأرض وتمسك باللجام: ستسير معنا..

(رافدة): أنا سأبقى فوقها كي أراقب من فوق

(كُميت) ممعنة بأعينها الثاقبة بين أرجل الناس: حسناً

مضت الدقائق وتحولت لساعات من البحث غير المثمر وانتصفت الشمس في كبد السماء وأصبحت ظلال الناس محصورةً أسفل أقدامهم مما زاد من صعوبة إيجاد المرشد فقررت الفتاتان التوقف وأخذ قسطٍ من الراحة عند أحد الباعة الذي كان يبيع اللبن وتناول بعضه ريثما ينزل قرص الشمس مرة أخرى ويمتد معه ظل الناس مجدداً لتستأنفا البحث.

(رافدة) تشرب من إناء فخاري صغير ونظرها على المارة بالسوق: إذا لم نجده اليوم فستغضب منا الفارسية..

(كُميت) تمد للبائع بعضَ المال المتبقي عندها من تسوقها الأخير: سنجده.. ولا أظنها ستغضب فهي تعرف أننا نبذل ما في وسعنا

(رافدة) معيدة الإناء للبائع ماسحة فمها بظهر يدها: لقد حملتنا مسؤولية عدم إيجاد القناع الذهبي وسوف يتكرر الأمر الآن مع المرشد.. أشعر بأنها جلبتنا معها فقط لتعلق علينا فشلها المتكرر

(كُميت): كنت أظن أن سخطك عليها بدأ يهدأ

(رافدة): هذا ليس سخطاً بل شفقة على حالها.. المرأة غير مستقرة في عقلها وقد تنقلب علينا في أي لحظة

(كُميت): حديثك مكرر وليس وقته الآن

(رافدة) سارحة في الفرس الرمادية: اشتقت لجوادي (لشيم)..

(كُميت): أنا متعجبة من أن (زمجد) لم يعد إلينا حتى الآن

(رافدة): ربما لو كان معنا لساعدنا في إيجاد هذا المرشد بحكم أنهما كليهما من الجن

(كُميت) تبحث بنظرها بين أرجل المارة: سأجده أنا.. سأجده

(رافدة): من أين تأتين بكل هذه الثقة؟

(كُميت) محدثة نفسها خلال بحثها: أين يمكن لجني متشكل أن يذهب في سوق كهذا.. ولماذا؟

(رافدة) بتهكم: ربما يأتي للتسوق

(كُميت) وكأن فكرة قد باغتتها: نعم صحيح.. لمَ لا؟

(رافدة): أنا لا أتكلم بجدية.. ما الذي يمكن للجن أن يشتروه من هنا؟

(كُميت): شيء هم بحاجة إليه ولا يستطيعون إيجاده بكميات كبيرة إلا في أسواقنا وخاصة سوقاً مثل «سوق اللصوص»

(رافدة) مجارية لحديث الحجازية دون حماس: نعم.. وما هو هذا الشيء؟

(كُميت): فكري قليلاً بما قالته (أنهار) عن المدينة المفقودة.. ألم تقل بأن الجن فيها محبوسون ولا يستطيعون الخروج؟

(رافدة): بلى لكن ما علاقة ذلك بإيجاد المرشد؟

(كُميت): هل تذكرين عندما كانت العمة تقدم ما يتبقى من طعامنا لـ (زمجد) وتحديداً العظام؟

(رافدة): ماذا تريدين أن تقولي؟

(كُميت): إن من نبحث عنه ليس مجرد مرشد.. بل هو المسؤول عن تزويد المدينة المفقودة بالمؤن فهم لا يستطيعون الخروج منها للحصول على الطعام ولا بد لأحد من الخارج أن يجلبه لهم كي يبقوا أحياء

(رافدة): حسناً.. لو كنت سأجاريك بهذا التفكير الغريب فمعنى ذلك أن هذا المرشد يريد شراء العظام لكن لا أحد يبيع العظام لأننا لا نأكلها

(كُميت): أنتِ مخطئة يا أختي العزيزة.. هناك من يبيعون جثث الدواب على تجار الجلود وتلك الجثث تحتوي على العظام وهذه التجارة ممنوعة في الأسواق الكبيرة والمعروفة لأنهم لا يسمحون بدخول الجيف المحملة بالأمراض إلى داخل المدن المكتظة بالسكان لكن في سوقٍ كهذا لا بد وأنها تجارة رائجة

(رافدة) واهتمامها يزداد بكلام الحجازية: هل تظنين حقّاً أن..

(كُميت) مقاطعة: بل أنا متيقنة من أن المرشد يأتي هنا لشراء جثث الدواب.. إذا وجدنا تجار الجثث النافقة فسنجد المرشد

(رافدة) بحماس: ماذا ننتظر إذاً؟!.. هيا لنذهب في الحال!

(كُميت) ملتفتة على بائع اللبن: أين نجد تجار الجثث النافقة في السوق؟

(بائع اللبن) رافعاً سبابته للأمام: في أقصى السوق.. فهم لا يعرضون بضائعهم إلا هناك بعيداً لأن الناس يشمئزون من منظر الجيف ورائحتها

تبادلت الأختان النظرات لثوانٍ ثم جرتا نحو الفرس وقفزتا فوق ظهرها وانطلقتا لـ «سوق الجيف»..

(رافدة) خلال انطلاقهما فوق الفرس: كيف فكرتِ بهذه الفكرة وطرأت على بالك؟

(كُميت) وتركيزها منصب أمامها: بعض الأفكار الجميلة تولد في ظروفٍ مؤلمة وقبيحة..

خلال وقتٍ قصير وصلت الاثنتان لأقصى حدود السوق الشمالية حيث انتشرت أكوام الأجياف للدواب النافقة والمعروضة للبيع. كانت تلك الجثث مكومة على شكل هضابٍ صغيرة من مختلف الحيوانات وأكثرها كان من الخيول والجمال وبعضُ الباعة عرضوا بضائع مختلفة مثل جثث الذئاب والكلاب والثعال الصغيرة. تجولت الأختان في ذلك السوق الجانبي ولاحظتا أنه لم يكن مكتظّاً فالعرض كان أكثر من الطلب ومعظم الزبائن اشتروا البضائع بالجملة وحملوها على قوافل متأهبة للرحيل وخلال تجوالهما انتبهتا لرجلٍ يقف أمام أحد باعة الخيول النافقة يمد له صرة بدا أنها تضم كمية ضخمة من المال ومن خلفة مجموعة كبيرة من النياق المحملة بأكياس كبيرة مليئة لقمتها بالعظام فقط.

(كُميت) هامسة في أذن أختها: هل تظنين أنه المرشد؟

(كُميت) موجهة نظرها لأقدام الرجل: لا فهو يملك ظلًّا

(رافدة): لا أرى أحداً غيره يشتري العظام في السوق بتلك الكمية

(كُميت): لنبحث أكثر فنحن لم نغطِّ السوق بأكمله

استمرت الاثنتان بالبحث ولم تجدا شيئاً أثار انتباههما عدا ذلك الرجل الذي رأتاه سابقاً يشتري تلك الكمية الكبيرة من العظام فقالت (رافدة): ما العمل الآن؟

صمتت الحجازية وهي تشعر بقليل من الخيبة لكنها لم تيأس وشدت لجام الفرس وعادت أدراجها للمكان الذي شاهدتا فيه ذلك الرجل أول مرة وعند وصولهما لم تجداه. ترجلت (كُميت) عن دابتها وسارت نحو البائع وسألته: «هل أجد عندك عظام خيول؟»

(البائع) ضاحكاً: ما حكاية العظام اليوم؟.. نحن بالعادة نبيع الجلود فقط ونرمي بالعظام.. ما سر الاهتمام بها الآن؟.. هل هناك سر لا أعرفه؟

بالطبع الحجازية تعمدت أن تسأله هذا السؤال لتستدرجه بالحديث عن الصفقة الكبيرة التي أتمها للتو وقد نجحت في ذلك وقالت: «نعم

صحيح.. الطلب على العظام ازداد مؤخراً لأنها مناسبة جدّاً لصناعة السهام الخفيفة والقوية»

(البائع) موجهاً نظره لقوسها وسهامها خلف ظهرها: هل أنتِ هنا لشراء العظام للتسلح؟

(كُميت) متوقعةً هذا السؤال: نعم.. هل بقي عندك بضاعة يمكن أن أشتريها؟.. سوف أدفع ما تريد

(البائع) مشيراً بكفه خلفه: كما ترين.. لم يتبقَّ عندي سوى جيف الكلاب والجمال.. لقد اشترى رجل قبل قليل كل بضاعتي من جثث الخيول ورحل

(كُميت): أي وجهة سلك؟

(البائع) مبتسماً بخبث: هل تنوين سرقة حمولته؟

(كُميت) تمد ما تبقى معها من مال للتاجر: هل يهمك ما يحدث له؟

(البائع) وهو يأخذ المال باسماً: بالطبع لا.. لقد توجه بقافلته غرباً

(كُميت) وهي تهم بالعودة للفرس: شكراً

(البائع) ضاحكاً: لو رغبتِ في بيع غنيمتك فسوف أشتريها منكِ بنصف القيمة!

قفزت الحجازية على الفرس وضربت خاصرتها بكواحلها وانطلقت مسرعة باتجاه الغرب..

(رافدة) تحتضن ظهر أختها كي لا تقع من سرعة اندفاع الفرس وتقول: إلى أين؟!

(كُميت) ونظرها منصب للأفق: لدي حدس..

(رافدة): حدس؟.. حدس ماذا؟

(كُميت): بأن المرشد لم يدخل السوق من الأساس وقام بإرسال من ينوب عنه لشراء الجيف وهو نفسه الرجل الذي رأيناه عند البائع

(رافدة): ولمَ يقوم بذلك؟

(كُميت): جني مهم كهذا يعلم بأن الكثير يبحثون عنه وهذا أقل ما يمكن أن يقوم به حماية لهويته

(رافدة) مسندة ذقنها على كتف أختها ونظرها للأمام: أتمنى أن تكوني محقة..

لم تمضِ دقائق من العدو السريع وسط الصحراء المفتوحة على ظهر الفرس الرمادية حتى ظهرت في الأفق قافلة الجثث وشاهدت الأختان

الرجل الذي رأتاه سابقاً يقف مع شخص آخر يتحدثان.

(رافدة) بتفاؤل: هل تظنين أنه المرشد؟

(كُميت): سنعرف الآن.. كوني هادئة ولا تثيري جزعه كي لا يهرب منا

(رافدة): حسناً

رفع الرجلان رؤوسهما ووجها أنظارهما نحو الفتاتين اللتين وصلتا عندهما وكان من الواضح أنهما امتعضا من حضورهما بسبب معالم التجهم التي تجلت على وجوههما لكن الحجازية تداركت الموقف وقالت على عجالة مخاطبة صاحب القافلة وعينها موجهة لأقدام الرجل الآخر: نحن رسل!

(صاحب القافلة) بعبوس: رسل؟!.. أنتما قاطعتا طريق!

تيقنت (كُميت) من أن الرجل الآخر هو المرشد عندما لم ترَ له ظلًّا لكن الخوف دب في قلبها من أن يختفي في أي لحظة خاصة وأنه كان مستاء جدّاً عند رؤيتها مع (رافدة) فقالت وهي ترمي بقوسها وسهامها على الأرض رافعة كفيها: لا لا.. نحن لسنا لصتين.. نحن هنا لإيصال رسالة فقط

(رافدة) وهي ترمي بسيفها على الأرض أيضاً وتقول: نعم صحيح

(صاحب القافلة) بنبرة مشككة: رسالة مِمَّن وما فحواها؟

(كُميت) مترجلة عن الفرس وكفاها للأعلى: من بائع الجيف في السوق

(المرشد) لصاحب القافلة: ما الأمر؟.. ما الذي يحدث؟

(صاحب القافلة) دون أن يلتفت إليه: يمكنك الرحيل.. اتركني أنا مع هاتين الغريبتين وسوف أتفاهم معهما

أدار المرشد ظهره وأمسك بلجام الناقة القائدة لقافلة الجثث وبدأ بالسير مبتعداً عن المكان وعندها استغلت الحجازية الفرصة وأخرجت الحجر الأسود من جيبها ورمته تجاهه لكن صاحب القافلة اعترض مسار الحجر وأمسكه بقبضته قائلاً بتجهم: «ماذا تحاولين فعله؟!»

فجعت (كُميت) من ضياع الفرصة الوحيدة لأسر المرشد وشلت حركتها ووقفت مصدومة وعاجزة عن التفكير وخلال ذلك خرجت (رافدة) من خلفها جرياً بعد ما التقطت سيفها من على الأرض وقطعت يد صاحب القافلة الذي أطلق صرخة مدوية لفتت انتباه المرشد فاستدار بنظره للخلف ليرى الحجر يضربه على صدره بعد ما التقطته (رافدة) من الأرض وألقته نحوه.

راقبت الفتاتان بتوجس المرشد الذي وضع كفه على صدره دون أن يتحرك أو يقول كلمة واحدة بينما كان صاحب القافلة يصرخ ألماً من إصابته ويتوعد بالانتقام. أنزلت البدوية نصل سيفها على صاحب القافلة منهية حياته في الحال ليعم الهدوء المكان ونظرات الترقب بين الثلاثة تتسيد الموقف. أنزل المرشد كفه من على صدره ببطء ثم قال بهدوء: «الرسالة وصلت.. أنتظر أوامري..»

ابتسمت الفتاتان فرحاً لما حققتاه وقررتا العودة في الحال بعد ما نجحتا في أسر مرشد «المدينة المفقودة»..

مع حلول الليل وبينما كانت (أنهار) تجلس مع الصغيرين تتسامر معهما عند نارٍ صغيرة أشعلتها لهما لإحساسهما بالبرد الشديد. وصلت الفتاتان على ظهر الفرس الرمادية وما أن رأتاها حتى تبسمتا لها فعلمت بأنهما قد أتمتا المهمة. وقفت الساحرة الهجينة بتثاقل بسبب جروحها التي لم تبرأ بالكامل وقالت: أين هو؟

أشارت (رافدة) بصمت خلفها لترى (أنهار) رجلاً يلبس عباءة خضراء وعمة سوداء كثيف اللحية والشارب ينظر إليها بوجه مكتئب فتبسمت قائلة: «مرحباً بك أيها المرشد..»

ترجلت الفتاتان عن الدابة بسرعة عندما رأتا أن (عوراء) قد استيقظت واستعادت عافيتها وعانقتاها في عناقٍ مشترك وقبلتاها بقبل متكررة وهي تقول ضاحكة: ما بكما تقبلانني هكذا؟!

(رافدة) وهي تشد شعر الصبية الأحمر: اشتقنا لكِ يا حمقاء!

(كُميت): لا تغيبي هكذا مرة أخرى!

(عوراء): أنا لم أغب.. عن ماذا تتحدثان؟

(أنهار) بعد ما سارت نحو المرشد ووقفت أمامه وقالت بصرامة: خذني لـ «تاج الملوك» أيها الجني..

(المرشد) عابساً: أنا لا آخذ أوامري منكِ

(أنهار) ملتفتة على (كُميت): وجهي له الأمر في الحال بأن يأخذنا للمدينة المفقودة!

(كُميت): لست أنا من رماه بالحجر.. البدوية هي من أصابته

(أنهار) بخليطٍ من الحماس والعصبية: لا يهم!.. المهم أن نرحل في الحال لأحصل على سيف السماء!

(رافدة): ألا تريدين الانتظار حتى تتعافي بالكامل؟

(أنهار) معيدة نظرها لوجه المرشد العابس: لن أهنأ بنومٍ أو راحة بعد ما أصبحت قريبة من هدفي.. أعدوا العدة وجهزوا الدواب.. سنتحرك الآن..

بدأ الجميع بالتجهز للتحرك وبينما كانوا يقومون بذلك دنت (رافدة) من (دوسر) الذي كان جالساً على ركبتيه أمام النار مغمضاً عينيه ضامّاً كفيه بعضهما ببعض فقالت له باستنكار: ماذا تفعل؟

(دوسر): أطلب البركة

(رافدة): ممن؟

(دوسر): من النار.. فالنار فيها خير وبركة كما تقول خالتي

(رافدة): لن تقول ذلك عندما تمسك في جسدك

(دوسر): خير النار أبدي ولا ينقطع

(رافدة): هل هذا ما علمته لك تلك الفارسية؟

(دوسر): نعم..

(رافدة) تركل حفنة من الرمال بقدمها مخمدة النار: لا شيء أبدي يا عزيزي.. لا شيء.. انهض الآن وانسَ هذه الترهات

لم ينهض الصبي في الحال وبقي يراقب رماد النار بصمت..

(رافدة) تسير عائدة للمرشد وتقول له: كم سنستغرق من الوقت للوصول للمدينة المفقودة؟

(المرشد): مسيرة خمس ليالٍ..

(كُميت): هذه مسافة طويلة

(أنهار) مبتسمة بخبث: اسأليه كم ستكون المدة لو نقلنا هو إلى هناك؟

(رافدة) لـ (المرشد): أجب على السؤال

(المرشد): ارتداد طرف عين..

(رافدة): ماذا تنتظر إذاً؟.. هيا خذنا إلى هناك

# تاج الملوك

تحت ضوء عدد لا متناهٍ من النجوم يتوسطها قمر حديث الولادة..

مدينة كبيرة مبنية من الحجارة ذات أسوارٍ عالية وبوابة حديدية ضخمة مشرعة..

لا أثر لحراسة من أي نوع ولا سكان قاطنين..

صامتة كالموت إذا أقبل..

ومخيفة كالفرح إذا أدبر..

الساحرة الهجينة تتقدم بخطواتٍ حذرة نحو البوابة الحديدية المفتوحة بعد وصولها مع مجموعتها وبوجه مبتهج ونظرات تشتعل حماساً تقول:

.. «تاج الملوك».. وأخيراً وبعد كل تلك المدة أصل عند مشارفها..

(كُميت): هل سندخل جميعاً؟

(أنهار) وهي سارحة في مدخل المدينة: لا.. أنا سأدخل وحدي فقط

(دوسر): أريد الذهاب معكِ يا خالة

(عوراء): وأنا أيضاً

(رافدة) لـ (عوراء): وما دخلكِ أنتِ؟.. ابقي مكانك هنا

(أنهار) ملتفته إليهم: لا هو ولا هي.. أنا وحدي فقط..

(كُميت): وكم ستغيبين؟

(أنهار) معيدة نظرها لسور المدينة الحجري: لو سارت الأمور كما يجب فلن أغيب أكثر من ساعة من الزمان

(رافدة) بتهكم: ومنذ متى تسير الأمور كما يجب؟.. سنمهلك حتى الصباح

(أنهار) تبدأ بالسير نحو البوابة المفتوحة: سأعود قبلها

(رافدة) منادية على الساحرة الهجينة: ماذا عن المرشد؟!.. ألا تحتاجينه بشيء؟!

توقفت (أنهار) عن السير وبعد تفكر قليلٍ استدارت وقالت: بلى.. نسيت أن أسأله عن الطريقة للدخول بأمان

(رافدة) لـ (المرشد): أخبرها بالطريقة

(المرشد): أن لا تدخل وهي تحمل سلاحاً من أي نوع ولن يتعرض لها أحد

(رافدة): وكيف تخرج؟

(أنهار): لا أحتاج هذه المعلومة.. لدي خطة

(رافدة): حسناً كما تشائين

(أنهار) لـ (رافدة): وتذكري أمراً مهمّاً.. لا تحرريه قبل أن أعود.. سوف يطلب منك تحريره مراراً وتكراراً.. لا تفعلي ذلك أبداً وتستجيبي له تحت أي ظرفٍ من الظروف.. هل تفهمينني؟

(رافدة): لم أكن أنوي ذلك لكن لماذا؟

(أنهار): لأن الغرض منه لم ينتهِ بعد..

أكملت الساحرة الهجينة طريقها وتجاوزت بوابة المدينة..

(المرشد) لـ (رافدة): حرريني..

(رافدة) ضاحكة: كانت الفارسية محقة!

(المرشد): حررني يا سيدتي.. لقد أنهيت مهمتي وقدتكم لـ «تاج الملوك»

(رافدة) تسير مبتعدة عنه: اخرس الآن فلست بمزاج يسمح لي بالحديث معك

لحق المرشد بالبدوية وبقي يكرر عليها طلبه بتضرع وإلحاح وهي تنهره وتصرخ بوجهه للابتعاد عنها..

ابتسمت الحجازية من ذلك المنظر ثم جلست على الأرض وخلعت جراب سهامها ووضعته مع قوسها أمامها وبدأت تتأمل سور المدينة بصمت. خلال تأملها لمحت أرنباً يجري في الأفق أمامها فقالت محدثة نفسها: طريدة ثمينة في هذا الوقت!

شدت في الحال سهماً على قوسها ورمت الأرنب لتصيبه في خاصرته وترديه قتيلاً..

(دوسر) يقفز فرحاً من خلفها: إصابة رائعة!

(عوراء) تجري تجاه الأرنب: سأحضره لنطبخه!

(دوسر) وهو يجلس بجانب (كُميت) مراقباً الصبية وهي تجري: أريد أن أتعلم الرماية مثلكِ

(كُميت) باسمة: وما حاجتك لذلك؟

(دوسر): أريد أن أكون قويّاً لأدافع عن الخالة (أنهار)

(كُميت): خالتك تستطيع الدفاع عن نفسها فلا تقلق

(دوسر): لكني أحتاج التعلم للدفاع عن نفسي أيضاً فهي قد لا تدوم لي

(كُميت): حديثك يسبق سنك أيها الصغير.. ثم إن حاجتك لشيء ما ليست سبباً كافياً لأحقيتك به..

(دوسر): وكيف أكون مستحقّاً لأتعلم مهارة الرمي مثلكِ؟

(كُميت): سؤال جيد أيها الصغير لا أملك الإجابة عليه

(دوسر): لا يهم! سأراقبك حتى أتعلم منكِ!

(كُميت): مراقبة الطيور لن تجعلك طائراً..

(دوسر) بإحباط: لكني أريد تعلم الرماية

(كُميت): ألا يكفيك الخنجر الصغير الذي اشترته لك خالتك من «سوق اللصوص»؟

(دوسر) مخرجاً الخنجر من جيب صدره ممعناً النظر فيه بإحباطٍ: هذا الخنجر لا يمكنه أن يؤذي بعوضة

(كُميت) تأخذ الخنجر من يده وتقول باسمة: ماذا لو جعلت هذا الخنجر أكثر خطورة؟.. هل ستشعر بالاطمئنان أكثر؟

(دوسر) بسعادة كبيرة: نعم!.. لكن كيف؟!

(عوراء) وهي ترمي بالأرنب بينهما مقاطعة حديثهما: هيا لنشعل ناراً!

(كُميت): إشعال النيران هو اختصاص أختك (رافدة).. اطلبي منها ذلك

(عوراء) موجهة نظرها للبدوية التي لا تزال تتشاجر مع المرشد: إنها مشغولة بالصراخ على ذلك الرجل

(كُميت) وهي تنهض: هيا إذاً..

(دوسر): إلى أين؟

(كُميت): سنجعل خنجرك الصغير أكثر قوة

(عوراء): ماذا عن الأرنب؟.. أنا جائعة!

(كُميت) تنزع السهم من بطن الأرنب وتبدأ بالسير: لا تقلقي سنعود في الحال وسأشعل أنا النار لتطبخيه بنفسك لكن اتبعاني أولاً

تبع الصبي الصغير و(عوراء) الحجازية التي توقفت بعد سير قصير عند مجموعة من الجحور المحفورة في هضبة صغيرة نبتت فوقها عشبة برية شائكة. أشارت (كُميت) للجحور وقالت لـ (دوسر): هل ترى تلك المنازل؟

(دوسر): نعم.. ما بها؟

(كُميت) وهي تفك لثامها وتطويه على يدها وساعدها: هناك يبيت من سيهديك القوة لخنجرك

(دوسر): لم أفهم

(عوراء): ولا أنا ..

نزلت الحجازية عند أحد الجحور ومدت يدها الملفوفة بلثامها داخله وبعد بحث قصير أطبقت على شيء ما وقالت: أمسكته!

جرى الصغيران ووقفا خلفها قائلين بصوتٍ واحد: بماذا أمسكتِ؟!

أخرجت الحجازية ذراعها من الجحر وهي ممسكة بأفعى صفراء مقرونة طويلة لفت جسدها على ساعدها بينما قبضت بقوة على رأسها وقالت باسمة: هذه!

صرخ الصغيران جزعاً عند مشاهدة الأفعى وسماع فحيحها المخيف..

(كُميت) تمد يدها الأخرى تجاه (دوسر) قائلة: ناولني خنجرك

(دوسر) يمد الخنجر الصغير قائلاً بتوتر: هل ستقتلينها؟

أخذت الحجازية الخنجر وقربت رأسه من فم الأفعى وهي تضغط على فكيها بقوة كاشفة عن أنيابها التي سال منها سمها الزعاف وبدأ يقطر على نصله والصغيران يراقبان باهتمام.

(كُميت) تحرك أنياب الأفعى صعوداً ونزولاً على حد الخنجر: خنجرك الآن أصبح مكتحلاً..

(دوسر): مكتحلاً؟

(كُميت) تنفخ على الخنجر ثم تمده للصبي: نعم.. طعنة بسيطة منه الآن سترديي أي شخص قتيلاً خلال ثوانٍ

(عوراء) بحماس: ضعي بعضه على سهامك أيضاً!

(كُميت) تلوي رأس الأفعى وتفصله عن جسدها: لا حاجة لي بذلك.. فأنا لا أخطئ هدفي أبداً

(دوسر) ممعناً النظر في الخنجر بين يديه: شكراً يا أختي

(كُميت): خذ حذرك فخنجرك بلا غمد وقد يجرحك وتصاب أنت بالسم

(دوسر) بقلق: ماذا أفعل به إذاً؟

(كُميت) ضاحكة: أعده لي!

أخذت الحجازية الخنجر وشقت جزءاً من لثامها ولفته به ثم مدته مرة أخرى للصبي وهي تقول: الآن يمكنك وضعه في جيبك بأمان

خبأ الصغير الخنجر في جيب صدره وقال مبتسماً: أشعر بالأمان منذ الآن!

(عوراء): هل يمكن أن نعود الآن ونشعل النار لطبخ الأرنب؟!

(كُميت) تنهض وتلف لثامها على وجهها: نعم.. هيا بنا

في تلك الأثناء قطعت (أنهار) مسافة ليست بالقصيرة سيراً على أقدامها لوسط المدينة المفقودة أوصلتها لمنطقة بدت أنها سوقها والذي لم يبدُ

لها مهجوراً فالدكاكين عمرت بالبضائع المتنوعة ولم يكن أي منها فاسداً والشيء الوحيد الغريب هو خلو المكان من الناس. لم يبقَ الحال هكذا مطولاً وبدأت (أنهار) تسمع تدريجيّاً تصاعداً لأصوات مجموعة كبيرة من الناس يتحدثون حولها وكأن المكان مكتظ لكنها لم تشاهد أحداً. همّت الساحرة الهجينة بالبحث وتركيزها كان منصبّاً وقتها على إيجاد سيف السماء وبالاعتماد على علمها المحدود في أن «الجلاد» قتل داخل القصر الكبير الذي كان يقطنه والذي رأته بالأفق البعيد عند طرف المدينة الشمالي فتجاهلت الأصوات المحيطة بها وهرولت تجاهه. قبل أن تصل لبوابة القصر تحولت الأصوات وتشكلت دفعة واحدة لأناسٍ يمكنها رؤيتهم وجميعهم كانوا يحدقون فيها بتعابير ساخطة ومتجهمة مما أثار رعبها في البداية لكنها استجمعت شجاعتها وتجاهلتهم وأكملت المسير نحو البوابة الكبيرة خاصة وأن لا أحد منهم وجه إليها كلاماً أو تعرض لها جسديّاً.

وقفت الساحرة الهجينة أمام بوابة القصر الحجري الضخم تفكر بطريقة ما لتجاوزها لكن حدث ما لم يكن متوقعاً وهو أن البوابة الحديدية فُتحت لها وكأنها ترحب بقدومها. بخطواتٍ واثقة تقدمت

(أنهار) ودخلت باحة القصر ومع تقدمها وصلت للمدخل الرئيس الذي قادها لقاعة كبيرة مظلمة اتضحت معالمها بعد ما اشتعلت النيران في جوانبها كاشفة عن أعمدة رخامية ضخمة امتدت بطول القاعة وارتكز على أحدها سيف براق تلألأ بشعاعٍ متوهج كلون السماء. سحرت الساحرة الهجينة بجمال ذلك السيف وسارت نحوه بوجهٍ سارح وفمٍ مفتوح حتى استقرت أمامه ورفعت يدها في نية للإمساك بمقبضه ونزعه من العمود الرخامي لكن صوتاً حدثها من الخلف قائلاً بنبرة هادئة: «سيف جميل.. أليس كذلك؟»

التفتت الساحرة الهجينة بسرعة لمصدر الصوت لترى رجلاً عجوزًا يبتسم لها..

(أنهار) بخليط من الخوف والريبة: من أنت؟

(العجوز): أنا من يجب أن يسأل هذا السؤال وليس أنتِ

(أنهار) بثقة: أنا (أنهار) وقد أتيت للحصول على «(سيف السماء»).. السيف الذي قتل (الجلاد).. سيكون من نصيبي ولن تمنعني

(العجوز) مبتسماً: ومن قال بأني سأمنعك؟.. تفضلي.. خذي السيف..

همت الساحرة الهجينة بأخذ السيف لكنها توقفت عندما حدثها العجوز مرة أخرى قائلاً: لم تخبريني.. أين الثمن؟

(أنهار) دون أن تلتفت إليه: ثمن ماذا؟.. السيف؟

(العجوز): لا.. السيف ليس ملكي كي آخذ مقابلاً عنه

(أنهار) مديرة نظرها نحو العجوز: عن ماذا تتحدث إذاً؟

(العجوز): ثمن خروجك من هنا.. أقصد المدينة..

(أنهار): سوف أخرج كما دخلت.. البشر لا يحبسون مثلكم.. أنت من الجن أليس كذلك؟

(العجوز): المدينة لا تستطيع منعكِ من الخروج.. لكن نحن نستطيع وسنفعل

(أنهار): إلا إذا قدمت الثمن

(العجوز) يغمض عينيه حانياً رأسه: تماماً

(أنهار): وما هو الثمن الذي تريدونه؟

(العجوز): نحن لا نحتاج لشيء.. وهنا تكمن معضلتك

(أنهار): هل خرج أحد من قبل من هذه المدينة.. أقصد من البشر؟

(العجوز) متفكراً: آخر زائر بشري دخل وخرج من المدينة كان ساحرة.. ساحرة في منتصف العشرين من عمرها.. كانت هاربة من مجموعة يلاحقونها وقد قتلناهم جميعاً وسمحنا لها بالخروج

(أنهار): لمَ هي بالذات؟.. لمَ لم تقتلوها معهم؟

(العجوز): لأنها قدمت لنا معروفاً كبيراً دون أن تعلم وقد اعتبرناه ثمن خروجها سالمة من هنا

(أنهار): هل يمكن أن تخبرني بهذا المعروف لعلي أستطيع تقديم شيء مماثل له

وضع العجوز كفيه خلف ظهره وبدأ يتجول في القاعة واستأنف حديثه قائلاً: هذه المدينة كانت وما زالت مطمعاً للكثير من الناس.. بحث عنها ملوك وشيوخ قبائل رغبة منهم في غزوها ونهب كنوزها المدفونة والتي من ضمنها هذا السيف الذي أتيتِ من أجله لكن جميع محاولاتهم باءت بالفشل لأن الطريق المؤدي إليها لا يمكن سلكه دون دليل ومن وقتٍ لآخر يتعثر بعض المسافرين بالطريق الصحيح

مصادفة ويكتشفون المكان ويلقى من يدخلها حتفه في الحال إذا كان لا يعرف القانون

(أنهار): تقصد الدخول بدون سلاح..

(العجوز): نعم.. يبدو أنكِ ملمة بالكثير

(أنهار): لم آتِ هنا لأهلك أو أحبس وأنا مستعدة لكل شيء

(العجوز) مكملاً كلامه: الساحرة لم تكن تعرف قوانيننا ولم تسمع بمدينتنا من الأساس لكن الأقدار شاءت أن لا تدخل علينا إلا وهي محصنة حاملة معروفها على أكتافها.. شيخ «قبائل حمير» كان من المهتمين بإيجاد المدينة وسرقة ثرواتها لدعم غزواته على «اليمامة» وبالفعل تمكن من إيجاد الطريق المؤدي إليها وكنا على علم بذلك وعلى علم أيضاً بأنه سيدخلها بجيش غير مسلح ليمنعنا من التصدي له لكن الساحرة الشابة غدرت به وقتلته وخلصتنا منه قبلها ولحسن حظها أنها وخلال هروبها من ديار «قبيلة حمير» بعد قتل شيخها وملاحقة فرسانها لها أتت إلينا وقمنا نحن بتخليصها ممن كانوا يطاردونها وتركناها ترحل بسلام.

(أنهار) وهي تنزع سيف السماء من العمود الرخامي: وأنا سأرحل بسلام مثلها..

(العجوز) موجهاً نظره نحوها: لا أظن ذلك.. الموت هو قدرك ولا فرار منه

(أنهار) والسيف يتوهج بيدها: لو قتلتني فسوف تحكم على قاطني مدينتك بالهلاك

(العجوز) ببرود: وكيف ذلك؟.. أفصحي

(أنهار): مرشدكم أسير عندي.. هل تذكره؟.. المرشد المسؤول عن جلب الطعام لكم على مدار العام.. بدونه ستموتون من الجوع.. لقد استوليت على قافلة العظام التي كانت قادمة إليكم وهو الآن مع أتباعي خارج المدينة ولو لم أخرج لهم قبل الصباح فسوف يقتلونه

ظهرت معالم التوتر على العجوز ثم قال بهدوء مصطنع: أنتِ كاذبة..

(أنهار): أنت تعلم بأني أقول الحقيقة.. وإلا فكيف وجدت مدينتكم؟.. تنحَّ عن طريقي الآن ورافقني لمخرج المدينة كي أحرر المرشد وتعود الأمور كما سبق..

صمت العجوز محدقاً بالساحرة الهجينة الواثقة من كلامها ومعالم القلق تجلت على وجهه ولم يخاطر بتكذيبها وقرر موافقتها على طلبها وبالفعل سار الاثنان حتى وصلا لبوابة المدينة وقبل أن تخرج (أنهار) قال لها: «أوفي بوعدك وحرري المرشد..»

(أنهار) بنبرة متهكمة وهي تسير خروجاً من المدينة: سأفكر بالأمر..

خرجت الساحرة الهجينة لترى الجميع مجتمعين حول نارٍ متقدة يتناولون الأرنب الذي اصطادته الحجازية والمرشد يقف فوق رأس (رافدة) يتحدث معها وهي منزعجة منه. أول من انتبه لعودة (أنهار) كان (دوسر) الذي نهض من مكانه وجرى نحوها محتضناً ساقها قائلاً ببهجة عارمة: لقد افتقدتك!

انتبه البقية لها بعد نهوض الصبي الصغير ووقفوا جميعاً يراقبون بانبهار السيف المشع بيدها فقالت بنبرة فخر ورضا رافعة السيف للأعلى: لقد حصلت عليه!

(المرشد) لـ (رافدة): هل يمكن أن تحرريني الآن؟

(رافدة) لـ (أنهار): أرجوك اسمحي لي بتحرير هذا المزعج!

(أنمار): لم يعد لنا حاجة به.. حرريه

(رافدة) تصرخ في أذن المرشد: اذهب أنت حر!

اختفى المرشد بلمح البصر دون أن يقول شيئاً..

(رافدة) وهي تزفر: كان كالكابوس!

سارت الهجينة حتى وصلت عند النار التي اجتمعوا عندها وقالت: هيا لنرحل نحن أيضاً.. لا أريد البقاء هنا أكثر

(كُميت): نحن مستعدون للرحيل والدواب جاهزة لكن إلى أين؟

قبل أن تجيب (أنمار) على سؤال الحجازية اهتز السيف المشع بقوة بيدها وتفلت من قبضتها وبدأ يدور بشكل سريع فوق رأسها والجميع يراقبون ما يحدث بذهول.

(دوسر) بخوف وعيناه للأعلى تراقبان السيف الذي شكل حلقة ضوئية فوقه وفوق خالته من سرعة دورانه: ما الأمر يا خالة؟!

(أنمار) تشاركه القلق محتضنة رأسه لخاصرتها: لا أعرف يا عزيزي!

(رافدة) رافعة كفها على جبينها للاحتماء من الضوء القوي الذي انتشر حولهم: ابتعدوا!

(كُميت) وعيناها تشعان مع وميض السيف المتحرك: لا وقت لذلك الآن

(عوراء) بفم مفتوح وأعين متسعة: بريقه أخاذ..

توقف السيف فجأة وارتفع رأسه تجاه النجوم وبسرعة البرق انطلق صعوداً نحو السماء واختفى بعد ما أحدث لمعة خاطفة في كبدها وكأنه نجمة ومضت..

صرخت (أنهار) عندما رأت ذلك المشهد وبدأت تلطم وجهها بكفيها وتشد شعرها وتضرب عنقها بقبضاتها وهي تئن وتنوح كالمجنونة مما دفع (عوراء) للجري نحوها وسحب (دوسر) من تحتها والبقية يراقبونها تنزل على ركبها وتقبض من رمال الأرض وتضرب بها وجهها حتى أدمته.

استمر الصراخ والعويل بشكل هستيري ولم يستطع أحد التدخل لمنعها لأنها ومن الواضح قد أصيبت بنوبة غير طبيعية من الغضب والسخط أفقدتها عقلها وقد تؤذي أي شخص يقترب منها لذا قررت (رافدة) و(كُميت) أخذ الصغيرين والدواب بعيداً عنها حتى تهدأ.

بالرغم من ابتعاد الجميع عنها مسافة ليست بالقصيرة وصعودهم تلة رملية كانت بالقرب منهم إلا أنهم كانوا لا يزالون يسمعون صوت نواحها مما دفع (دوسر) لوضع كفيه على أذنيه وإغماض عينيه والبكاء بهدوء خلال احتضان (عوراء) له وطمأنته.

(رافدة) لـ (كُميت) وهما تقفان فوق التلة تراقبان (أنهار) من بعيد: هل تحققتِ الآن من أنها مجنونة؟

(كُميت): المرأة مفجوعة لا أكثر.. لا تقسي عليها هكذا

(رافدة): مفجوعة؟.. لا شيء يبرر ما تقوم به الآن سوى العته في رأسها.. العته الذي قد يصيبنا في أي لحظة ويدمرنا جميعاً

(كُميت): لا تقللي من حجم مصيبتها فخسارتها كبيرة.. لقد أمضت سنواتٍ طويلة للحصول على ذلك السيف وبكل بساطة يضيع كل شيء أمام ناظرها في لحظات

(رافدة) وهي تستدير عائدة لوسط قمة التلة حيث كان الصغيران جالسين: وأنا لن أنتظر حتى نضيع نحن معها

(كُميت) وهي لا تزال تراقب (أنهار) وهي تلطم وتنوح بصوت

مرتفع: لم يبقَ سوى وجهة واحدة نرافقها فيها ثم سنفترق عنها للأبد..

مع أول الصباح كان أول المستيقظين (رافدة) التي نهضت ومدت أذرعها للأعلى متثائبة قبل أن تسير لطرف التلة لرؤية على أي حال كانت (أنهار) لتجدها منكبة بوجهها على الرمال فقالت محدثة نفسها: «يبدو أنها قد ناحت حتى الإنهاك..»

بحثت البدوية بنظرها عن الدواب التي لم تكن مربوطة فوق التلة ولم ترَ سوى الجواد فامتطته باسطة نظرها في الأفق من حولها حتى لمحت الناقة تهيم بعيداً فأيقظت (كُميت) وأخبرتها بأنها ستذهب لتعيدها.

(كُميت) تنهض محتضنة نفسها من البرد: وماذا سنفعل بعدها؟

(رافدة) وهي تنطلق: أيقظي الفارسية لنعرف فمصايرنا لا تزال مربوطة بها

نزلت الحجازية من فوق التلة وسارت نحو (أنهار) المستلقية على بطنها وعند وصولها إليها جثت عندها ومدت كفها لتوقظها لكن وقبل أن تهز جسدها قالت بصوتٍ مشبع بالإرهاق والتعب: «أنا مستيقظة..»

(كُميت) مبعدة كفها: هل هدأتِ؟

(أنهار) وخدها لا يزال على الرمال الباردة: أهدأ؟.. أنا لم أهدأ منذ سنوات.. كل شيء أقوم به ينتهي بالفشل

(كُميت): اندمي على الأشياء التي لم تقومي بها وليس ما قمتِ بها..

(أنهار): أحس بغضب عارم يقطع أوصالي

(كُميت): أبي كان يقول دوماً بأن العقول غير المتزنة تُفجع بسهولة..

(أنهار): أعرف أنكم تظنون أني مجنونة

(كُميت): أنا لم أقل ذلك

(أنهار): لم تقوليها في وجهي

(كُميت): أنا فقط عبرت لكِ عما أشعر بكل صراحة

(أنهار) تنهض وتجلس على ركبتيها دون أن تنظر لـ (كُميت): هناك خط رفيع بين صراحة الرأي ووقاحة التعبير..

صمتت الحجازية ولم ترد واكتفت بالنظر لـ (أنهار) بشفقة..

(أنهار) رافعة نظرها للحجازية وبوجهٍ تغطى ببعض الرمال وأعين محمرة وشعر منكوش: ألن تردي عليّ؟.. لقد اتهمتك بالوقاحة؟

(كُميت): أنتِ تحاولين افتعال مشكلة معي ولن أعطيك الفرصة

(أنهار): لأنكِ جبانة!

(كُميت) وهي تهم بالنهوض: مواجهة العواصف الهوجاء ليست بشجاعة..

أمسكت الساحرة الهجينة بمعصم (كُميت) وقالت بنبرة نادمة: أنا آسفة.. لم أقصد ما قلته..

(كُميت): أعرف.. وقتما تكونين جاهزة أخبرينا كي نرحل

(أنهار) تاركة يدها منزلة رأسها للأرض: وما الفائدة من الرحيل؟.. سيكون من المستحيل عليّ مواجهة (العطبول) بدون سيف السماء.. طلاسمي وحدَها لا تكفي وأي صدام معها سينتهي بهلاكي بلا شك.. الرحلة انتهت

(كُميت): الحرب ليست قتلاً فقط.. القتال جزء بسيط منها..

(أنهار) موجهة نظرها للحجازية والريح تتلاعب بشعرها: ماذا تقصدين؟

(كُميت) بثقة: ستحصلين على «طلسم الدابة العظيمة» وسنفي نحن

بوعدنا.. رتبي نفسك ولا تجعلي (دوسر) يراك بهذه الحالة فقد كان يبكي طيلة الليل قلقاً عليك

(أنهار): (دوسر)؟

(كُميت): نعم.. (دوسر) الذي يهتم لأمرك أكثر منكِ.. لا تخذليه وتتخاذلي الآن فهو يراكِ قوية على الدوام

(أنهار): شكراً يا (كُميت).. أمهليني بضع دقائق

(كُميت) تسير عائدة للتلة: خذي كل الوقت الذي تريدين

حينما بلغت الحجازية قمة التلة الرملية رأت أن (رافدة) قد عادت وأيقظت الصغيرين وأطعمتهما وسقتهما من حمولة الناقة التي أعادتها وعند رؤيتها لأختها قالت: كيف حالها الآن؟

(كُميت) مديرة نظرها نحو (أنهار) التي بدأت إصلاح شكلها وهندامها في الأفق البعيد أسفل التلة: كل شيء على ما يرام.. سنتحرك بعد قليل

(رافدة): هل أخبرتكِ إلى أين؟

(كُميت) بأعين منشغلة بالساحرة الهجينة وبنبرة يشوبها القلق: لا يهم إلى أين المهم أن نخرج سالمين

(رافدة): لِمَ تقولين ذلك؟.. أشعر بأنكِ تعرفين شيئاً ما وتحاولين إخفاءَه علي

(كُميت) مديرة نظرها نحو أختها: هذه أول مرة أحس بأنها خائفة..

(رافدة): من تقصدين؟.. الفارسية؟

(كُميت): نعم.. ثقتها مهزوزة.. حديثها عن تلك (العطبول) غير مريح

(رافدة): ماذا قالت؟

(رافدة): لم تقل كثيراً لكن ما قالته كان كافياً لأن أعرف أننا مقبلون على شيء ليس بالسهل

(رافدة): من حقنا أن نرفض مصاحبتها!.. نحن لسنا ملزمين بالسير في طريق هلاكنا

(كُميت): قد تظنين أنها حماقة مني لكني لا أستطيع تركها وحدَها تواجه مثل هذا المصير.. حتى وإن ماتت فلا أستطيع التخلي عن ذلك الفتى.. لا أعرف.. أفكاري متزاحمة

(رافدة): تعرفين أني سأكون معكِ أنتِ وليس معها.. لذلك فكري مليّاً بأي قرار تتخذينه

(كُميت): أعرف يا أختي.. فلنرَ إلى ماذا ستؤول الأمور

اشتدت الرياح وبدأت الرمال ترتفع والأتربة تعصف شيئاً فشيئاً من حول الجميع..

(كُميت) تشد رباط لثامها: عاصفة رملية سوف تمر من هنا

(رافدة) مغطية فمها: هذا ما كان ينقصنا

(كُميت): لعلها تحمل لنا الخير

(رافدة): أي خيرٍ قد نجنيه من الأتربة الخانقة؟.. هل سنسافر في هذه الأجواء؟

(كُميت) وهي تراقب (أنهار) تشق طريقها صعوداً نحوهما: أعتقد ذلك..

وصلت الساحرة الهجينة لقمة التلة وكان (دوسر) كعادته في استقبالها لكنها لم تمنحه الود المعتاد بل اكتفت بقبلة سريعة على رأسه وأكملت سيرها نحو الفتاتين الواقفتين وسط الريح المتصاعدة وقالت: السفر بالدواب لم يعد خياراً.. يجب أن نصل لوجهتنا بسرعة

(رافدة): ستحلقين بنا إذاً كالمعتاد؟

(أنهار): نعم

(كُميت): لكننا أنفقنا الكثير عليها وعلى المؤن على ظهورها

(أنهار) تمد أذرعها جانباً: حيث نحن ذاهبون لن نحتاج إليها..

شكل الجميع الدائرة وأغمضوا أعينهم وخلال ثوانٍ وصلوا لوجهتهم الجديدة والأخيرة..

# أميرة العاج

«يمكنكم فتح أعينكم الآن..»

بعد ما فتح الجميع أعينهم رأوا أنهم فوق جبلٍ يطل على مدينة ضخمة جدّاً يدخل ويخرج منها أفواج كبيرة من الناس والقوافل..

(رافدة): أين نحن؟.. هل ما زلنا في الجزيرة؟

(أنهار) وهي تراقب مدخل المدينة المكتظ: لا.. نحن بعيدون جدّاً عنها لكن تلك المدينة تضم جميع الأعراق.. عرب.. عجم.. حتى أهل الشمال يعرجون بها

(دوسر): لقد أتينا إلى هنا من قبل يا خالة أليس كذلك؟

(أنهار): بلى يا عزيزي.. قطعنا المسافة بالترحال أول مرة كي أستطيع العودة إليها عندما يحين الوقت

(دوسر) بسعادة: نعم تذكرت!.. هذه المدينة التي اشتريت منها حلوى العسل!

(عوراء) بتساؤل: حلوى العسل؟

(دوسر): نعم!.. حلوى لذيذة جدّاً!.. يجب أن تجربيها!

(عوراء) وهي تشاركه سعادته: حسناً سأفعل!

(كُميت) تقف بجانب (أنهار) وتشاركها النظر: ذكرتني المدينة بـ «سوق الحجاز»..

(أنهار): اسمعيني يا (كُميت).. اسمعوني جميعاً.. لو حدث لي أي مكروه فطريق العودة سيكون جنوباً من هنا.. مسيرة بضع أسابيع وتصلون لحدود الجزيرة

(رافدة): لن نستطيع العودة بدون دواب هل نسيتِ ذلك؟

(دوسر) بقلقٍ شديد: ما الذي سيحدث لكِ يا خالة؟

(كُميت) واضعة كفها على رأس الصبي القلق ونظرها لـ (أنهار): لن يحدث شيء.. أعدك بذلك

التفتت الساحرة الهجينة نحو الحجازية وبادلتها النظرات الصامتة للحظات ثم قالت دون أن تحيد عنها: «هيا بنا كي لا نتأخر..»

تحرك الجميع ونزلوا من فوق الجبل ومشوا على أقدامهم حتى وصلوا لبوابتها المشرعة والمحروسة بمجموعة من الفرسان والجنود واندمجوا مع الأفواج السائرة لوسط المدينة الكبيرة وخلال سيرهم نبهتهم الساحرة الهجينة بأن لا ينظروا للحراس مباشرة ويحاولوا قدر الامكان التقدم ورؤوسهم منزلة لأنهم يراقبون كل المارة وأي شيء يمكن أن يثير شكوكهم سيدفعهم للتحرك والتحقق من الأمر وغالباً سيؤدي هذا لمنعهم من دخول المدينة أو أسوأ من ذلك. تجاوزت المجوعة البوابة بسلام وسار الجميع بخطٍّ مستقيم وراء (أنهار) الممسكة بيد (دوسر) بشدة خشية أن تفقده بسبب الزحام في ممرات تلك المدينة المكتظة بالناس.

(رافدة) بتذمر وهي تسير خلف (عوراء) ممسكة بأكتافها لتحميها من التدافع: لمَ هذا الزحام الشديد؟.. هل هناك مناسبة ما؟

(أنهار): هذا يوم اعتيادي في المدينة.. لا تقلقوا سنتجاوز هذه الفوضى بعد قليل

(كُميت) وهي تسير أمام (عوراء) وخلف (أنهار): التنوع العرقي هنا لافت.. أستطيع سماع لغات كثيرة يتحدث بها الناس من حولي

(أنهار) حاملة (دوسر) على كتفها مكملة سيرها للأمام: حاكم المدينة يؤمن بالتنوع وهو سر ازدهار مدينته

(رافدة): شعوبنا لا تحب مثل هذا الخلط في الأعراق..

بدأ الزحام يخف تدريجيّاً مع تقدمهم لوسط المدينة وبعد مسيرة نصف ساعة تقريباً وصلت المجموعة لساحة كبيرة أقل ازدحاماً انتشرت فيها الأشجار المثمرة توسطتها بركة ماء مصنوعة من الحجارة المصفوفة اجتمعت حولها الدواب والطيور انبثق منها عدد من الأزقة المتفرعة.

أنزلت (أنهار) الصغير من على كتفها وقالت: لقد اقتربنا..

(كُميت): اقتربنا من ماذا؟

(أنهار) مشيرة لزقاقٍ على يمينهم: من حي «المداغير»

(رافدة): ولأي غرض أتينا هنا؟

(أنهار) وهي تتقدم نحو الزقاق: اتبعوني ولا تتحدثوا مع أي أحد مهما حاول التقرب منكم.. مفهوم؟

(عوراء) لـ (دوسر): متى سنشتري حلوى العسل؟

(دوسر) وهو يسير خلف خالته: لا أعرف.. ربما عندما تنتهي الخالة من عملها

كان الزقاق أشبه بالممر الطويل المغطى بشبكة من الشجيرات في قمته مما جعله مظلماً بعض الشيء وانتشرت على جوانبه أبواب خشبية متقاربة جدّاً وشبه متلاصقة لا يفصل بينها سوى نوافذ صغيرة أطل من بعضها مجموعة من النساء بمختلف الأعمار والأعراق. بعض تلك الأبواب كان مفتوحاً والبعض الآخر وقف عند عتبته امرأة أو فتاة يراقبْنَ بصمت من يعبر من خلال ذلك الزقاق وعند مروره بجانبهنّ يبدأنَ بالسعال.

(رافدة) وهي تجول بنظرها على النساء اللاتي كنّ يسعلنَ كلما مروا بجانبهن: يبدو أن هناك مرضاً ما منتشراً هنا..

(أنهار) وتركيزها منصب على الوصول لنهاية الزقاق الطويل: لمَ تقولين ذلك؟

(رافدة): جميع النساء هنا يسعلن..

(أنهار): هؤلاء النسوة لسن مريضات.. إنهنّ «الكِحاح»

(كُميت): الماذا؟

(عوراء) وعينها تقع على فتاة ترمقها بنظرة وتتبسم لها: ولمَ يسعلن إذا لم يكنَّ مريضات يا خالة؟

(أنهار): يفعلن ذلك لاستدراج الزبائن..

(عوراء): لأي غرض؟

(أنهار): لغرضٍ لا يعنيك يا صغيرتي..

(عوراء): وماذا يبعنَ؟.. الحلوى بالعسل؟

(أنهار): بضاعتهن رخيصة ولا تلزمنا.. أكملي سيرك بصمت

مدت إحدى النساء الواقفات عند باب منزلها يدها تجاه رأس (دوسر) ومسحت عليه قائلة: «صبي جميل..»

(أنهار) ضاربة يدها من على رأسه وبنبرة ناهية: لا تلمسيه!

(رافدة) لـ (أنهار): هل بقي الكثير لنصل؟

(أنهار) وهي مستمرة بالسير: لم يبقَ الكثير

(عوراء) مشيرة بسبابتها لإحدى النساء بانبهار وتقول لـ (رافدة) الواقفة خلفها: انظري لشعرها يا (رافدة)!.. كم هو طويل وجميل!

(رافدة): استمري فقط بالسير بصمت

وقفت الساحرة الهجينة قبل نهاية الزقاق عند إحدى الفتيات اللاتي وقفنَ عند عتبات أبوابهنّ كالبقية وقالت لها دون أن تنظر إليها: أين عمتكنّ؟

رفعت الفتاة العاقدة لأذرعها أكتافها متظاهرة بأنها لا تعرف..

أطبقت (أنهار) بقبضتها على غرة الفتاة وشدت شعرها للأمام بعنف ثم للخلف ضاربة رأسها بقوة في الجدار ثم قالت بهدوء: حاولي التذكر

(عوراء) مصدومة واضعة يدها على فمها: لمَ ضربتِها؟!

(كُميت) وهي تراقب الموقف: لا تتدخلي يا (عوراء)

(الفتاة) تمسح على رأسها دون أن تبدي أي غضب أو استياء مما فعلته

(أنهار): أمي كانت تقول لي دوماً: «لا تحاول الدخول في جسد شخصٍ قبل أن تدخل عقله أو قلبه..»

تبسمت الساحرة الهجينة وأخرجت من حقيبتها الجلدية قطعة ذهبية ومدتها للفتاة فأخذتها وعضت عليها بأسنانها للتحقق من أصالتها..

(أنهار) بتهكم: لن تري أنقى من هذا الذهب في حياتكِ البائسة.. الآن.. أين عمتك؟

بدأت الفتاة بالسير بعد ما وضعت القطعة الذهبية بجيب صدرها وقالت: اتبعيني..

تبعها الجميع حتى خرجوا من الزقاق الضيق لمنطقة مخضرة ذات سور حجري منخفض بدت وكأنها بستان خاص فأشارت الفتاة لهم تجاه مسار بين هضبتين كبيرتين من القش وقالت: اسلكي هذا الطريق وستصلين لمنزل العمة..

(أنهار) وعينها على الطريق: هل هي وحدَها؟

(الفتاة) وهي تهم بالعودة: العمة دائماً وحدَها..

(أنهار) للبقية: هيا بنا

(رافدة): إلى أين؟.. ومن هذه العمة التي تريدين زيارتها؟

(كُميت): هل يمكن أن تخبرينا على الأقل ما المطلوب منا؟

(أنهار): سأخبركن بكل شيء عندما نصل لكن لنبتعد من هذا المكان أولاً

لم يمضِ وقت طويل من المشي حتى أقبل الجميع على مكانٍ مريب شيد من الصخور الكبيرة بطريقة لم تشبه بقية العمران بالمدينة فهو لم يكن منزلاً أو قصراً لكنه كان أشبه بالكهف المنحوت والمصمم ليشبه الهرم وانتشر حوله مجموعة من التماثيل بأحجامٍ مختلفة لبشر برؤوس وأجساد حيوانات غريبة اكتسى بعضها بالذهب والورد وبعضها الآخر أشعل أسفل منه البخور ووضعت حوله أطباق فخارية من الفواكه والأطعمة المتنوعة.

(كُميت): مكان غريب

(عوراء): أجده مريحاً بعض الشيء

(رافدة) واضعة كفيها على صدر (عوراء) من الخلف: لا تبتعدي عني

(دوسر) لـ (أنهار): هل هذا الدكان يبيع حلوى العسل يا خالة؟

(أنهار) وذهنها مشتت خلال مراقبتها لمدخل ذلك الصرح الحجري:
لا تتحدث معي الآن يا عزيزي.. اذهب وابقَ مع (عوراء)

(دوسر) يجري تجاه الصبية: حاضر

(عوراء) تحتضنه باسمة ومرحبة: أهلاً!

دنت (كُميت) من الساحرة ووقفت على يسارها تشاركها النظر في مدخل الصرح الحجري: ماذا الآن؟

(أنهار) والتوتر والقلق الشديد ظاهران على محياها: ننتظر.. ننتظر فقط

(كُميت): هل..

(أنهار) مقاطعة: اطلبي من (رافدة) أن تنضم إلينا وتقف بجانبي

(كُميت): ماذا عن الصغيرين؟

(أنهار) ببال مشغول وذهن مشتت: لا يهم.. لا يهم.. أحضريها الآن

أشارت الحجازية لأختها بأن تقف على يمين الساحرة الهجينة ففعلت بعد ما همست للصغيرين بأن يبقيا مكانهما ولا يتحركا وعند وصولها قالت: «ما الحكاية؟.. ماذا ننتظر؟»

في تلك اللحظة سمع الثلاث ما يشبه صوت أوراقٍ جافة مسحوبة على الأرض وقبل أن يتكهنّ عن مصدره خرجت من الكهف فتاة ذات عنق طويل بأعين رمادية فاتحة وجلدها كان كلون الطين ولم تتجاوز

في عمرها العقد الثاني ترتدي لباسًا شفافاً بالكاد غطى جسدها الذي وشم معظمه بوشوم غريبة أبرزها كان ما وشم على ظهرها وهو رجل بأطراف متعددة ورأس فيل بأعين حمراء. اكتحلت عيناها بطبقة كثيفة من كحل الإثمد الأسود خرج عن حدود حاجبيها ومنخارها ثُقب بحلقة ذهبية ربطت مع حلقة مشابهة في شحمة أذنها بسلسال تدلى على وجنتها. شعرها الأسود لف في جديلة طويلة وضخمة لامست الأرض وهو كان مصدر الصوت الذي سمعنه خلال خروجها. شفتها السفلية وسمت بندبة امتدت عبر ذقنها. تقدمت الفتاة التي لم تكن سوى (العطبول) نحو (أنهار) بخطواتٍ اختلطت بين التغنج والترنح وهي تلوك شيئاً ما في فمها وعيناها تتجولان بينها وبين الحجازية والبدوية ثم قالت لها:

«هل أتيتِ لبيع الفتيات اللاتي معكِ..؟»

(أنهار) بتوتر: نعم..

(العطبول) ممرة طرف ظفر خنصرها الطويل على وجه (أنهار): لطالما فتنت بالملامح الفارسية..

(أنهار): الفتيات المعروضات أمامك.. اختاري ما تشائين منهنّ

(العطبول) تلف رأسها جانباً وهي مستمرة باللوك ممعنة النظر في (كُميت) و(رافدة): اطلبي من تلك أن تزيل اللثام عن وجهها..

(أنهار) للحجازية ونظرها منصب على (العطبول): أزيلي لثامك يا (كُميت)..

وضعت الحجازية طرف سبابتها على لثامها وأنزلته كاشفة عن وجهها المتوتر..

وجهت (العطبول) عينيها نحو (رافدة) لبضع ثوانٍ وأمعنت بها وبجسدها نزولاً وصعوداً بنظرها ثم قالت بنبرة متهكمة: ذات الأعين لا بأس بها.. سآخذها مع العربية الأخرى بقطعتين ذهبيتين

(أنهار): موافقة..

(العطبول) تنظر خلفهن وترى (عوراء) و(دوسر): وتلك الخادمة بقطعة من الفضة..

(أنهار): حسناً

(العطبول) تشير برأسها لـ (دوسر) باسمة: ماذا عن الصبي الجميل؟..

كم تريدين مقابلاً له؟

(أنهار): الصبي ليس للبيع

تبسمت الساحرة السندية بخبث وبدأت بالسير نحو (دوسر) المتشبث بـ (عوراء) مرعوباً من نظراتها له و(أنهار) تراقبها بتوتر شديد..

وقفت (العطبول) أمام الصبي تحدق به صامتة وهي تلوك ما كان في فمها ثم قالت: «مذاقهم في هذا العمر شهي..»

(أنهار) وهي تزفر: حسناً.. حان الوقت

(العطبول) ملتفتة إليها باسمة: وقت ماذا؟

بسطت الساحرة الهجينة كفها في وجه الساحرة السندية وأطلقت وهجاً أزرقَ دفعها للخلف عدة خطوات لكنه لم يسقطها وفي لمح البصر وجدتها (أنهار) خلفها تطبق على عنقها وتقول بغضب: «لقد اقترفتِ خطأً كبيراً يا فارسية!»

(أنهار) تشير بيدها للفتيات وهي تختنق للهرب من المكان في الحال

لكن (رافدة) سلت سيفها وصرخت في (عوراء) قائلة: خذي (دوسر) وابتعدي من هنا!

تدحرجت (كُميت) جانباً ثم جلست على ركبتها وشدت سهماً على قوسها ونزلت في انتظار فرصة سانحة لإصابة (العطبول)..

حاولت (أنهار) ثنيهما عما كانتا تنويان القيام به لكن قبضة الساحرة السندية على عنقها منعتها من الحديث أو الصراخ..

(العطبول) تهز (أنهار) بقوة وعنف ضاحكة: ماذا ستفعلان بتلك الأسلحة الهزيلة؟!

(رافدة): حرريها من قبضتك وواجهينا وسترين ما سنفعله بكِ!

رمت أميرة العاج (أنهار) جانباً على مجموعة من الجرار الفخارية الكبيرة التي تحطمت فوقها في الحال..

(العطبول) باسطة أذرعها: هيا أرياني ما في جعبتكما..

أطلقت (كُميت) سهمها تجاه رأس الساحرة السندية غير الآبهة لكن السهم وقبل أن يصيبها توقف عند وجهها ولم يتقدم أكثر أو يسقط لكنه بقي معلقاً في الهواء لبرهة ثم استدار بعدها وانطلق نحو (رافدة)

وأصابها في فخذها لتقع صارخة على الأرض و(العطبول) تضحك وتقول ساخرة: أنتِ لا تجيدين النيشان يا قطة!

أخرجت (كُميت) سهمًا آخر من الجراب الجلدي خلف ظهرها لكنها لم تلحق أن تشده على قوسها لأن (العطبول) وفي لمح البصر ظهرت أمامها وقبضت على وجهها بكفها ورفعتها للأعلى وبدأت بغرس أظافرها الطويلة في وجنتيها وجبينها وهي تقول: لا حاجة لكِ بهذا الوجه الجميل إذا لم أكن سأستفيد منه!

سقطت الحجازية على الأرض عندما أفلتتها (العطبول) بسبب ألمٍ مباغتٍ أصابها في بطنها فأنزلت رأسها لترى (رافدة) تطل عليها من بين سيقانها وهي مستلقية على ظهرها ممسكة بمقبض سيفها المطعون في بطن الساحرة السندية وتقول باسمة: قضي الأمر!

(العطبول) تبادلها الابتسام قائلة: ما زلنا في البداية!

رفست الساحرة السندية وجه (رافدة) بقدمها الحافية رفسة أدمت أنفها وأفقدتها الوعي..

أمسكت (العطبول) بمقبض السيف المغروس في بطنها ونزعته ثم

نظرت للبدوية المغشي عليها بين أقدامها وقالت: سلاحك سيرد إليكِ يا خرقاء!

قفزت (كُميت) فوق أكتاف (العطبول) وقبل أن تحاول إلحاق الأذى بها ارتفعت في الهواء ورميت بقوة للجدار فوق (رافدة) لتقع على رأسها وتفقد الوعي هي الأخرى بجانب أختها.

(العطبول) بتذمر وهي ترمي بالسيف جانباً: ما هذا اليوم المزعج؟!

(أنهار) من خلفها عاقدة أصابعها: لننتهِ منه إذاً!

(العطبول) مديرة نظرها وجسدها نحو الساحرة الهجينة: لا تقلقي يا فارسية.. ستمتْنَ جميعًا!

(أنهار) محاولة استفزاز (العطبول) لاستخدام «طلسم الدابة العظيمة» كي تسمع نصه وتحفظه: هيا أريني قدرتك!.. لم أرَ سوى فتاة ضعيفة طعنت بسهولة!

(العطبول) بنبرة متهكمة: قبل أن أحولكن جميعاً لتراب سأعطيكِ فرصة أخيرة لمهاجمتي.. هيا يا فارسية أنا بانتظارك

أغمضت (أنهار) عينيها وقرأت طلسمًا خرج على إثره سرب من

الدبابير السوداء من أذنيها وفمها وأنفها وانطلقوا دفعة واحدة تجاه أميرة العاج التي بدأت بالضحك قائلة: ما هذه الطلاسم الحقيرة؟!

قبل أن يصل سرب الدبابير للساحرة السندية أمسكت بجديلتها بيديها وبدأت تلف حول نفسها محدثة زوبعة سحقت السرب بالكامل..

توقفت (العطبول) عن الدوران ثم وضعت باطن كفها الأيمن على جبينها ووجهت نظرها للأرض أمامها وهي تقول: شاهدي كيف يستخدم السحرة الكبار طلاسمهم!

بدأت الساحرة السندية بترديد طلسم بلغتها و(أنهار) منصتة إليها بتركيز وبعد ما انتهت تشكل بينهما فيلٌ أبيضُ ضخمٌ بأعين حمراء وأنياب عاجية كبيرة وطويلة جدّاً. تغطى ذلك الفيل بأشكال مختلفة من المصوغات الذهبية والأحجار الكريمة تدلى اثنان منها من أذنيه الكبيرتين كأقراط ووقف يدك الأرض بقدمه وينفخ الدخان من فمه غاضباً.

(العطبول) تربت على قفا الفيل باسمة: لا تبقِ منها شيئاً ولا تذر..

اندفع الفيل الضخم نحو الساحرة الهجينة التي بادرت بمسح كفيها

بعضهما ببعض بحركة دائرية سريعة ليخرج من أناملها مجموعة من الحراب المنطلقة نحو تلك الدابة الضخمة. غُرست جميع الحراب في جسد الفيل ولم تخطئه حربة واحدة لكنه لم يهتز أو يتوقف عن الجري حتى وصل لـ (أنهار) المصدومة والتي حاولت إدخال يدها في حقيبتها الجلدية لكن الفيل المندفع أدركها قبل أن تتمكن من ذلك ونطحها برأسه بقوة رامياً بها للأعلى وقبل أن تقع أرضًا التقطها بأحد أنيابه وأخذ يلوح بها في الهواء ممزقًا لباسها ولحمها و(العطبول) تراقب ما يحدث ضاحكة.

أسقط الفيل (أنهار) بعد فترة من الزمن ليرتطم رأسها بقوة على الأرض لتلحق بـ (رافدة) و(كُميت) وتفقد وعيها هي الأخرى. سار الفيل حتى وصل لجسدها الملقى ورفع قدمه فوق رأسها منتظرًا الأمر من سيدته.

(العطبول): ماذا تنتظر؟.. هشم رأسها!

رفع الفيل خرطومه للأعلى وأطلق نَهِيمًا قويّاً وهم بإنزال قدمه على رأس (أنهار) لكنه توقف عندما سمع صوتًا أجشَّ غليظًا يلهث غضباً يحدثه من خلف (العطبول) قائلاً بالفارسية: اتركها وشأنها!

التفتت الساحرة السندية خلفها نحو مصدر الصوت ورأت من كان يتحدث فتبسمت قائلة: ما هذا؟!.. هل كلكن تردن الهلاك اليوم؟!

كانت (العطبول) توجه حديثها لـ (عوراء) التي وقفت أمامها بأعين بيضاء بالكامل مشرعة فمها إلى أقصاه ورأسها يهتز للأمام والخلف وتلهث كالكلاب باسطة كفيها جانباً محركة أناملها وكأنها تملك مخالب و(دوسر) يقف خلفها مرعوبًا منها ومن الحالة التي كانت عليها.

أشارت (العطبول) بلا اكتراث للفيل الضخم بيدها بأن يترك (أنمار) ويهاجم الصبية عوضاً عنها فانطلق نحوها يهز الأرض بدبيبه المتسارع وبعد ما تجاوز سيدته ولم يتبقَّ بينه وبين (عوراء) سوى بضعة أقدام وهي لا تزال على وضعها المتشنج خرج من فمها جذع جسد علوي لماردٍ أسودَ ضخم بقرون حمراء تشبه قرون الجدي أمسك بأنياب الفيل العاجية وقلبه على ظهره.

فجعت (العطبول) مما رأته وزادت صدمتها عندما شاهدت ذلك المارد الأسود يخرج من فم عوراء بالكامل وينزعها كما تنزع الملابس ويقف أمامها بقامة أطول منها بثلاث مرات وقرونه الحمراء زادت من طوله

أكثر. بدأ الفيل يحرك سيقانه في الهواء كالسلحفاة المقلوبة محاولاً النهوض لكن المارد باغته ووجه قبضته لبطنه ونزع أحشاءَه وقتله في الحال.

(العطبول) عاقدة أصابعها وهي ترتجف: أي سحر تستخدمين؟!

قبض المارد الأسود بيديه خاصرة الساحرة السندية ورفعها للأعلى حتى أصبح وجهها مقابلاً لوجهه وبقي يحدق بها بأعينه الصفراء متجهماً ومزمجراً وهي ترتعد من الخوف صارخة فيه بلغتها: من أي جحيمٍ أتيت؟!

قضم المارد وجه (العطبول) ورمى بها على الأرض وبقي يراقبها وهو يلعق ما علق من دمائها على شفتيه ويتنفس كالثور الهائج لثوانٍ قبل أن يستدير ويمسك بجسد (عوراء) والتي كانت لا تزال بحالة تشنج ويفتح فمها ويدخل في جوفها مثلما خرج وخلال دخوله تمدد جسدها كالقربة المنفوخة لكن ملابسها لم تتمزق هذه المرة بسبب اتساعها لتسقط بعدها فاقدة للوعي و(دوسر) خلفها منزوياً بزاوية مفزوعاً غارقاً في دموعه.

تفتح الساحرة الهجينة عينيها بعد فترة غير معلومة لها..

ترى البدوية والحجازية مستلقيتين بجانبها فاقدتين للوعي..

ترفع رأسها وهي تشعر بألم مبرح في جميع أجزاء جسدها..

تبحث بنظرها من حولها لترى جثة (العطبول) المشوهة ودابتها المقتولة..

تنادي بصوت خفيض مشبع بالألـم على (دوسر) دون أن تحصل على إجابة..

نهضت (أنهار) وأحست بعد ما وقفت بالدوار والغثيان لكنها سارت بخطوات مترنحة تنادي على (دوسر) وخلال سيرها وقعت عيناها على (عوراء) الملقاة على الأرض لكنها لم تكترث لها وأكملت طريقها خروجاً من المكان نحو الزقاق الذي أتوا منه بحثاً عن الصبي الصغير.

لم يمضِ وقت طويل بعد رحيل (أنهار) حتى أفاقت (كُميت) والتي بدورها أيقظت أختها (رافدة) وأصابهما العجب مما رأتاه حولهما..

(رافدة): ما الذي حدث هنا؟

وجهت (كُميت) نظرها لجثة (العطبول) والذباب يحوم حول وجهها المفقود وبجانبها استلقى الفيل الضخم منزوع الأحشاء وقالت بنبرة متوترة جدّاً:

«لقد تكرر الأمر ذاته مرة أخرى.. لماذا؟.. لماذا ننجو في كل مرة؟»

نهضت البدوية وتوجهت مباشرة لـ (عوراء) وبدأت تهز جسدها محاولة إيقاظها: أفيقي!.. ما الذي جرى هنا؟!

(عوراء) بتململ: دعيني أكمل نومي!

وصلت (أنهار) لمدخل الزقاق وبدأت تصرخ في النسوة الواقفات على جوانبه تسأل عن (دوسر) وهنّ يراقبنها بين مستغربة وغير مكترثة حتى تعاطفت معها فتاة وأخبرتها بأنها رأته يذهب برفقة إحداهنّ عندما شاهدته يسير باكياً وأخذته معها. صفعت (أنهار) المرأة صارخةً فيها بعصبية: أين أخذته؟!

(الفتاة) وكفها على وجنتها: لمنزلها..

(أنهار) رافعة يدها مرة أخرى في وجهها مهددة بصفعة أخرى وبوجه محتقن: سيري أمامي لمنزلها في الحال!

قادت الفتاة الساحرة الهجينة عبر الزقاق وأشارت لأحد الأبواب وسطه فدفعت بها جانباً ثم ركلت الباب ودخلت كالمجنونة تصرخ منادية وسط البيت على صغيرها حتى سمعته يرد عليها من إحدى الغرف قائلاً: «أنا هنا يا خالة!»

دخلت (أنهار) الغرفة ورأته على حجر امرأة وأخرى تطعمه بعض الخبز..

شدت الساحرة الهجينة شعر التي كانت تطعمه وأسقطتها أرضاً ودفعت بوجه الأخرى للجدار وحملت (دوسر) بين ذراعيها وهمت بالخروج..

(أنهار) تسير وتمسح على ظهر الصبي وبنبرة جنونية: هل أنت بخير؟!.. هل تعرضت للأذى؟!

(دوسر) وذقنه مسندة لكتفها مراقباً النساء الخائفات في الغرفة خلفها وبنبرة هادئة: لا.. لم أصب بشيء.. لقد حمتني (عوراء)

(أنهار) وهي مستمرة بالتقدم خروجاً من المنزل: (عوراء) أصيبت مثلنا..

(دوسر): لقد حماها الغول الذي خرج من بطنها..

توقفت الساحرة الهجينة عن السير فجأة وسط الزقاق المكتظ بالنساء على جوانبه وأنزلت (دوسر) من على كتفها ووضعته أمامها وقالت باهتمام شديد: تقول غول خرج من بطنها؟

(دوسر) يهز رأسه موافقاً: نعم.. خرج من فمها وأكل الساحرة والفيل ثم عاد لبطنها.. هل هو ابنها؟

(أنهار) رافعة رأسها لنهاية الطريق المؤدي لمنزل (العطبول) سارحة لثوانٍ ثم معيدة نظرها لـ (دوسر) قائلة بتوتر: هل كان ذلك الغول أسود اللون بقرون حمراء؟

(دوسر): نعم كيف عرفتِ؟.. هل رأيتهِ مثلي؟

احتضنت الساحرة الهجينة صبيها بقوة والجزع يتفجر من عينيها وقالت: لا تذكر ذلك لأحد ولا تتحدث في هذا الموضوع أمام أختيها.. هل تفهم يا عزيزي؟

(دوسر): حاضر

حملت (أنهار) الصبي مرة أخرى وأكملت السير عائدة من حيث أتت..

بعد وصول الساحرة الهجينة مع الصبي ورؤيتها أن الجميع قد أفقن سوى (عوراء) التي كانت تمانع كل محاولات أختيها لإيقاظها وكأنها لم تنم منذ أيام قالت لهما و(دوسر) لا يزال على كتفها ونظرها المرتاب على الصبية:

«لا تجبراها على الاستيقاظ.. يجب أن نرحل في الحال ونخرج من المدينة.»

(رافدة) وهي تقف: وكيف سنقوم بذلك دون إيقاظها؟.. هل سنتركها هنا؟

(أنهار) تشد من قبضتها على جسد (دوسر) دون أن ترفع عينيها المتوترتين عن (عوراء): أخبرتكما سلفاً بأن أختكما ليست طبيعية..

(كُميت): هل تعرفين شيئاً لا نعرفه؟

(أنهار) وسرحانها ينقطع موجهة عينيها المرتبكتين نحو الحجازية: أنا سأرحل الآن وسأنتظركن فوق الجبل حيث وصلنا وعند المغيب سأرحل بكن أو بدونكن..

(رافدة) بتجهم: ترحلين إلى أين؟!.. هل تنوين تركنا في هذه المدينة الغريبة عنا؟!

(أنهار) تهم بالرحيل: أمهلكن حتى المغيب لتلحقن بي

رحلت الساحرة الهجينة مع صبيها تاركة الفتاتين في حيرة وعجب مما قالت..

(كُميت): ما بها؟

(رافدة): نوبة من نوبات جنونها المعتادة ما الجديد؟

(كُميت): لا.. هذه المرة كانت مختلفة

(رافدة): مختلفة كيف؟

(كُميت): أشعر حقّاً ولأول مرة بأنها تريد الافتراق عنا

(رافدة): سيكون يوم عيد إذا حدث ذلك!

(كُميت): يجب أن نلحق بها.. نحن لا نزال بحاجتها كي تعيدنا لأرض الجزيرة على الأقل

(رافدة) مشيرة بكفها نحو (عوراء): وماذا عن هذه البقرة الصفراء النائمة؟

(كُميت): سأحملها أنا

(رافدة): لن تستطيعي حملها كل تلك المسافة لخارج المدينة خاصة في هذا الزحام.. يجب أن نوقظها

(كُميت): انعتيني بالمجنونة لكني أظن أن إيقاظها ليس فكرة جيدة الآن

(رافدة): ما حكايتك أنتِ وتلك الفارسية؟.. لمَ لا تريدان إيقاظها؟

(كُميت): قودي الطريق فقط وأنا سأحملها

(رافدة): حسناً كما تشائين..

# قُرَّة عيني المفقودة

قبل الغروب بقليل وعلى أحد أطراف قمة الجبل المطل على المدينة المكتظة جلست الساحرة الهجينة تراقب أفواج الناس والقوافل بهدوء وهي محتضنة لـ (دوسر) بقوة وأقدامه الصغيرة تلعب في الهواء وهو يراقب الهاوية العميقة أسفل منه..

(رافدة) من خلفها بعد ما انتهت للتو من صعود القمة مع أختيها بتذمر: أرى أنكِ لم ترحلي يا فارسية..

(أنهار) سارحة في الأفق وببرود: لم ينقضِ الوقت الذي حددته لكنّ بعد

(كُميت) تنزل (عوراء) النائمة أرضاً وبنبرة مشبعة بالتعب والإرهاق: أعيدينا لأرضنا.. لقد انتهى كل شيء بيننا بعد ما حصلتِ على طلسمك

(أنهار) دون أن تلتفت إليهنّ: ومن قال بأني حصلت عليه؟.. بمقتل الدابة العظيمة كُسر الطلسم ولا يمكن لأحد استخدامه الآن

(رافدة) بصوت مرتفع قليلاً: حصلتِ عليه أم لا!.. هذا أمر يخصك ولا يعنينا!.. نفذي كلام أختي وأعيدينا!

(أنهار): لا ترفعي صوتك.. سوف أعيدكنّ كما كان الاتفاق

(كُميت): نحن جاهزات.. هيا

(أنهار): ليس الآن..

(رافدة) بتجهم: متى إذاً؟!.. ماذا تنتظرين؟!

(أنهار) ماسحة على رأس (دوسر): نحن متعبان ونحتاج بعض الراحة وأنتما كذلك.. سننام لبضع ساعات وبعدها سنرحل

همت البدوية بقول شيء وهي فاقدة لأعصابها لكن (كُميت) تداركتها ووضعت يدها على ظهرها في إشارة منها بأن لا تجادل وتتحمل أكثر حتى ينتهين من هذا اليوم بسلام. زفرت (رافدة) بقوة وجلست بجانب (عوراء) النائمة بوجهٍ عابس ولم تقل شيئًا.

(كُميت) لـ (أنهار) قبل أن تنضم إلى أختها: أيقظينا عندما تقررين الرحيل..

(أنهار) بصوت مسموع لـ (دوسر) فقط: سأفعل..

(دوسر) مشاركاً خالته تحديقها بمدخل المدينة في الأفق: لقد نسينا شراء الحلوى بالعسل.. لقد وعدت (عوراء) بأن تجربها

(أنهار) متجاهلة حديثه عن الحلوى: هل خنجرك الصغير لا يزال معك؟

(دوسر): نعم.. إنه في جيبي.. لمَ تسألين؟

(أنهار) بنبرة هادئة تخللتها غصة: سأستعيره منك.. هل تمانع؟

(دوسر) دون اكتراث: لا.. لكن خذي الحذر فهو مسموم

(أنهار) مسندة خدها لخد الصبي محكمة عناقه أكثر: هذا أفضل..

غابت الشمس وأسدل الليل ستاره المظلم وغط الجميع في النوم بسرعة بسبب الإرهاق الذي ألم بهم جميعاً خلال ذلك اليوم الحافل. جميعهم عدا الساحرة الهجينة التي بقيت محتضنة للصبي الصغير وهو نائم في حضنها. قبل أن ينتصف الليل وضعت (أنهار) جسد الصبي النائم على

الأرض بجانبها ومدت يدها في جيبه مخرجة الخنجر المسموم الملفوف بالخرقة من وشاح الحجازية وحررته منها وأمسكت بمقبضه وحدقت به لثوانٍ قبل أن تنهض وتسير نحو الفتيات الثلاث المضطجعات والنائمات بعضهن بجانب بعض. وقفت فوقهن تراقبهن بنظرات حادة وشفاهها ترتجف لكن قبضتها على الخنجر كانت محكمة. انصب تركيزها في النهاية على (عوراء) وبقيت تمعن النظر فيها وطال إمعانها حتى فتحت (رافدة) عينها مصادفة ورأتها بتلك الحالة فقالت بصوت مستنكر: «ما هذا الخنجر بيدك؟!.. ماذا تنوين أن تفعلي؟!»

(أنهار) دون أن تحيد بنظرها عن الصبية النائمة وبأعين دامعة ونبرة مشبعة بالجنون: «أختكما يجب أن تموت..»

نهضت البدوية من مكانها بسرعة مستلة سيفها مشهرة رأسه في وجه الساحرة الهجينة مهددة: إياكِ والاقتراب منها يا فارسية!

انتبهت (كُميت) وأفاقت من منامها هي الأخرى بسبب صراخ (رافدة) وعند مشاهدتها لذلك الموقف المحتدم وقفت على عجالة وقالت:

«ما الذي يحدث يا (رافدة)؟!»

(رافدة) وهي لا تزال في وضع متأهب وعينها على (أنهار) الواقفة والخنجر بيدها: الفارسية كشرت عن أنيابها أخيراً وقررت الغدر بنا خلال نومنا!

(أنهار) بخليط من التوتر والحزن: أنتِ لا تفهمين.. الصبية يجب أن..

(كُميت) مقاطعة وهي مذهولة من رؤية الخنجر في يد (أنهار): لم أتوقع ذلك.. نحن لم نؤذِك.. لمَ تريدين قتلنا؟!

(أنهار) مشيرة بالخنجر لـ (عوراء) بيدها التي بدأت بالاهتزاز: ليس أنتما.. فقط هي..

(كُميت) تشد سهماً على قوسها وتوجهه لرأس الساحرة الهجينة: لن يحدث هذا يا فارسية..

(أنهار) بأعين دامعة وصوت مشحون بالحزن: حتى وإن أخبرتكما بأنها ستكون سبباً في هلاككما وهلاك الكثير غيركما؟

(رافدة) بتجهم: لن يتسبب شيء في هلاكنا سوى البقاء معكِ!

(أنهار) رامية الخنجر على الأرض: ارحلن.. لا أريد أن تكون تلك الفتاة قريبة مني أو من صغيري (دوسر)

(كُميت) مرخية السهم: ونحن لا نريد البقاء معكِ أيضاً.. هيا يا (رافدة) لنرحل!

(رافدة) دون أن تنزل سيفها أو تبعد نظرها عن (أنهار): إلى أين؟.. كيف نعود للجزيرة؟

(كُميت) تحمل (عوراء) وتهم بالنزول من قمة الجبل: سنتدبر أمورنا.. هيا!

وقفت الساحرة الهجينة تراقبهن وهن يرحلن وبعد ما اختفين على أنظارها سارت بهدوء وجلست عند طرف الجبل وبعد صمتٍ قصير قضته في التحديق بالسماء أجهشت بالبكاء فجأة مما أيقظ (دوسر) الذي وقف خلفها وقال بنبرة قلقة: «ما بكِ يا خالة؟.. وأين البقية؟»

(أنهار) بصوت مشبع بالهم والدموع: رحلن وتركنني..

(دوسر) مواسياً بوجهٍ حزين: أنا ما زلت موجوداً ولن أتركك أبداً

(أنهار) وبكاؤُها يزداد ويتحول لنحيب: ستتركني عاجلاً أم آجلاً!.. أنا معطوبة ولن تطيق معي صبراً!

صمت الصبي ولم يرد على خالته المنهارة..

(أنهار) مكملة حديثها الممزوج بالبكاء والنحيب والذي بدأ يأخذ طابع الهلوسة: فكرت مليّاً بإنهاء حياتي لأتخلص من كل هذا العناء لكن وفي كل مرة تراودني تلك الفكرة أقوم بشيء جنوني.. شيء لم أتصور يوماً القيام به أبداً.. بعدها أجد روحي والتي كانت راغبة بالرحيل تلصق بجسدي بكل قوتها وكأنها لا تريد أن تفارقني لكني مؤخراً فقدت حتى هذا الإحساس.. سأعود لـ «فارس» وليحدث ما يحدث..

احتضن (دوسر) الساحرة الهجينة من الخلف واضعاً رأسه على ظهرها وقال: سينتهي حزنك قريباً يا خالة.. أعدكِ بذلك..

(أنهار) تبسم وتمسح بعضَ دموعها المنهمرة بكفها وتقول:

«في اليوم نفسه الذي تخسر فيه أجمل شيء في حياتك قد ترى العوض يتجلى أمامك باسطاً ذراعيه يدعوك لمعانقته وكأن الأقدار ترفض لك أن تغرق في حزن أو حسرة على شيء لم يكن مقدراً لك من الأساس.. أنت يا (دوسر) كنت وستبقى الشيء الوحيد الجميل في حياتي البائسة..»

شعرت الساحرة الهجينة في تلك اللحظة بوخزة في ظهرها..

تحول شعور الوخز تدريجيّاً لألمٍ صاعق..

تلتفت خلفها والألم يتأجج ويتصاعد في جسدها لترى (دوسر) يمسك بخنجره الصغير بين قبضتيه ويحدق بها بعد ما سحبه من ظهرها..

(أنهار) بوجه مفجوع ومتسائل: .. (دوسر)؟.. لماذا؟

رمى الصبي بالخنجر الملطخ بدماء الساحرة الهجينة جانباً ولم يجبها..

مسحت (أنهار) بعض الدماء التي سالت من فمها ثم نظرت لكفها الأحمر وقالت:

«لم تكذب حجارة وأصداف عرافة «هجر».. لقد تحققت نبوءتها أخيراً.. لست غاضبة منك يا (دوسر).. هذا قدري الذي هربت منه لسنوات.. تعال يا عزيزي لأعانقك للمرة الأخيرة..»

(دوسر) وعيناه تدمعان: أنا أسف يا خالة (أنهار)..

مدت (أنهار) ذراعها وأشارت له باسمة بيدها الملوثة بالدماء للاقتراب منها..

سار الصغير نحوها فعانقته بذراعها الممدود وحضنته ثم مسحت على وجنته بأناملها الدامية وقالت بأعين دامعة وصوت مختنق:

«تعتذر عن ماذا يا قُرَّة عيني؟.. لقد وهبتني حريتي أخيراً.. كنت أخشى أن أعيش وأخاف أن أموت.. لقد قدمت لي هدية طال انتظارها.. شكراً يا (دوسر)..»

(دوسر) وصوته يتغير لصوت رجل بالغ:

«أنا سعيد لسماع ذلك.. فقد أحببتك بالفعل يا (أنهار)..»

رفعت الساحرة الهجينة ذراعها من على الصبي وهي مصدومة وبكل ما تبقى من قوتها الخائرة قالت: «ما الذي يحدث؟!.. من أنت؟!»

أخذ (دوسر) بضع خطواتٍ للوراء ثم وضع كفه على وجهه وبدأ جسده بالتلوي والانتفاض متحولاً لرجلٍ بشعر أبيض قصير بوجهٍ يافع وسيم وعلى وجنته وشمت ثلاث دوائر سوداء مصمتة.

راقبت (أنهار) ما يحدث أمامها بفمٍ مفتوح يقطر دماً وأنفاس متناقصة ولم تستطع الحديث لأنها بدأت تفقد القدرة على الحركة في معظم أطراف جسدها بما فيه لسانها لأن سم الخنجر قد بدأ مفعوله بالسريان بعروقها.

(دوسر) وهو بهيئة ذلك الرجل وبالفارسية:

«عندما يفشل القتلة يتدخل الكهنة.. المتنورون لا يقهرون.. نحن نصفي حساباتنا دوماً.. ولو بعد حين..»

لم تستطع (أنهار) التعبير عما كان يتفجر بقلبها من إحساس بالغضب والقهر لكن عينيها ضجتا بصرخات خرساء ودموع حارقة..

(مايزك) وهو يراقب الساحرة الهجينة في لحظاتها الأخيرة: «قبل أن ترحلي.. اعلمي هذا.. خالتك (أفسار) وأخواتك متن منذ زمنٍ طويل وسيكنَّ بانتظارك في العالم الآخر..»

سقط رأس الساحرة الهجينة مرتطماً بالأرض..

دمعت عين الكاهن (مايزك) قبل أن يختفي من المكان تاركاً جثتها فريسة لذئاب الجبل الذين بدؤوا بالاقتراب..

# صدح الصمت

في منطقة اختلطت فيها التضاريس الجبلية والمسطحات الخضراء سارت البدوية والحجازية الحاملة لـ (عوراء) ليلاً وخلال سيرهما استيقظت الصبية متسائلة عن مكانها. أنزلتها (كُميت) وشرحت لها ما حدث معهن لكنها لم تخبرها بأن (أنهار) حاولت قتلها واكتفت بإخبارها بأنهن انفصلن عنها بعد ما انتهت من الحصول على طلسم الدابة العظيمة كما كان الاتفاق.

(عوراء) بحزن شديد: لمَ لم توقظاني؟.. كنت أريد توديع (دوسر)

(رافدة): لم يكن هناك فرصة.. كان يجب أن نرحل بأسرع وقت قبل أن تغير الفارسية رأيها

(عوراء) ودموعها تنزل على وجنتيها: ألم تقل بأنها هي من سيعيدنا للجزيرة؟

(رافدة): لقد أصابتها نوبتها المعتادة ولم نشأ أن ننتظر أكثر

(عوراء) ماسحة دموعها: وهل سنسير على أقدامنا كل المسافة؟

(رافدة) ونظرها لسلسلة الجبال المحيطة بهن: سؤال جيد يا (عوراء).. لا أظن أننا سنتمكن من بلوغ وجهتنا سيراً على أقدامنا.. يجب أن نجد وسيلة أخرى للسفر فنحن بلا زاد أو ماء..

(عوراء) بتوتر: هل سنموت؟

(كُميت) واضعة كفيها على أكتاف الصبية القلقة: لا تخافي.. سنسير حتى نجد مدينة أو قافلة وسنحصل على بعض الدواب

(عوراء) منزلة رأسها: حسناً

(كُميت): ما بكِ؟.. ألا تثقين بكلام أختيك؟

(عوراء) دون أن ترفع رأسها: بلى.. لكن.. بدأت أفتقد (دوسر) منذ الآن

ضمت الحجازية الصغيرة إليها وقالت: أنا واثقة بأنه يفتقدك أيضاً لكن الظروف قيدتنا ولم يكن لدينا خيار آخر

يسمع الجميع عواء ذئب آتياً من إحدى القمم حولهن وبعد لحظات يرد عليه آخر في الجهة المقابلة وثالث في جهة أخرى..

(رافدة) رافعة نظرها نحو القمم: المنطقة تعج بالذئاب

(كُميت) تفك عناق الصبية وتشارك البدوية نظرها للأعلى: لقد رأونا.. وعواؤُهم بهذا الشكل المتتابع يدل على أنهم ينوون الهجوم علينا

(رافدة) مخرجة سيفها من غمده: لنكمل السير ولنكن حذرات حتى تشرق الشمس

(كُميت) تشير لـ (عوراء) بالبقاء بقربها: لا تبتعدي عني..

(عوراء) دون أن تتحرك من مكانها ونظرها على الطريق المظلم أمامهن: أشعر بأن هناك شيئاً يقترب منا

(رافدة): لا تسمحي للوهم أن يتسلل إلى قلبك.. سيري بجانبنا فقط

(عوراء) وهي سارحة: لا.. قلبي يخبرني بأن ننتظر قليلاً

(رافدة) بتجهم: ننتظر ماذا؟!.. هيا تحركي!

(كُميت) ممسكة يد الصبية وبنبرة هادئة ومطمئِنة: تعالي معي

سحبت (عوراء) يدها ورفضت التقدم وقالت بصرامة: كلا!

سارت البدوية نحو الصبية الممانعة للتحرك وقبضت على رسغها بقوة وشدتها لإجبارها على السير وهي توبخها بعصبية: إذا كنتِ تفعلين ذلك لنعود للفارسية فهذا لن يحدث يا (عوراء)!

(عوراء) تدفعها بقوة بيدها الأخرى وتقول بصوتٍ غليظٍ ومخيف بأعين توهجت احمراراً: انتظرا هنا!

(كُميت) مرعوبة مما تراه: ما بكِ يا (عوراء)؟

(رافدة) تنهض بحذر وعيناها المصدومتان مرتكزتان على الصبية وهي في حالة غريبة ومخيفة: حسناً.. هدئي من روعك

(عوراء) وعيناها وصوتها تعود لطبيعتها: ما بكما؟.. لمَ أنتما خائفتان هكذا؟

(رافدة): هل أنتِ بخير؟

(عوراء) متقدمة نحو البدوية: نعم ولمَ لا أكون بخـ..

(رافدة) متراجعة للوراء: ابقي مكانك يا (عوراء) ولا تقتربي مني!

(عوراء) مستغربة: لمَ؟.. ما الأمر؟

(كُميت) والجزع بادٍ على وجهها: ألا تدركين ما حدث للتو؟

(عوراء): ما الذي حدث؟.. لقد طلبت منكما الانتظار فقط.. لمَ أنتما خائفتان مني هكذا؟

لم تجب أختاها عليها وبقيتا صامتتين تحدقان فيها بتوتر وحذر شديدين متجنبتين الاقتراب منها حتى تبسمت الصبية ورفعت سبابتها مشيرة لشيء خلفهما وقالت: لقد عاد!

أدارت البدوية والحجازية أنظارهما خلفهما لتريا (زمجد) يقف وراءَهما..

(رافدة) دافعة صدره بكفها: وأخيراً ظهرت أيها الأحمق؟!

(كُميت): هذا ليس وقته يا (رافدة)!.. أين كنت يا (زمجد)؟!

(زمجد) بنبرة جادة: لا وقت للشرح.. يجب أن نعود لـ «عربستان» في الحال.. هناك أمر طارئ!

(رافدة) بعصبية وتهكم: لا، شكراً! نحن مستمتعات هنا في هذه الأرض الغريبة الموحشة وحدَنا!

(كُميت) مقتربة من الجني الأزرق: دعك منها الآن.. وحدثني أنا.. ما الأمر الطارئ؟!

(زمجد): السيدة (نافجة) لا تزال على قيد الحياة..

(عوراء) بسعادة كبيرة: ماذا؟!.. العمة حية ترزق؟!

(كُميت) وهي مصدومة: .. القائدة؟

(رافدة) صارخة فيه: ماذا تنتظر إذًا؟!.. خذنا إليها في الحال!!

سار الجني الأزرق نحو (عوراء) ووقف أمامها باسماً وقال: كيف حالكِ يا سيدتي؟

(عوراء) بخليطٍ من البهجة والحزن: افتقدتك يا (زمجد).. لقد عانيت الكثير في غيابك

(زمجد) مبتسماً وهو يمد يده نحوها: وأنا كذلك.. لن أتركك مجدداً.. أعدكِ بذلك

(عوراء) وهي تقبض على كفه الممدود لها: هل تخشاني مثلهما يا (زمجد)؟

(زمجد) حاملاً الصبية بين ذراعيه: لا أخشى سوى أن أخذلك..

تبسمت الصبية وعانقت عنق الجني الأزرق بذراعيها والذي أدار

وجهه محدثاً الجميع: «قبل أن نتحرك يجب أن تدركن أمراً مهمّاً.. السيدة (نافجة) ونحن نتحدث الآن تواجه خطرًا كبيرًا وقد لا تنجو منه لذا تقبلنّ فكرة أننا قد لا نلحق بها في الوقت المناسب..»

(كُميت): ماذا تقصد أنها في خطر..؟

(رافدة): خطر من أي نوع؟

(زمجد) وهو يمد ذراعه: تشبثنّ بي وسترين بأنفسكنّ ..

# أصون أو لا أخون

«أوضح معالمها كان أربع عشرة نجمة موشومة على وجنتيها..»

قالها شيخ «الأزد» للعرجاء التي تحولت معالم وجهها لخليط من القلق وقبول المصير وقالت: أريد الرحيل يا شيخ (كهلان)..

(الشيخ كهلان) بتعجب: ترحلين؟.. أنتِ لا تزالين تتعافين من إصابتك

(نافجة): لن أعرضكم للخطر أكثر.. سوف أخرج لها

(الشيخ كهلان): عن ماذا تتحدثين يا (عرجاء)؟

(نافجة): نهاية اليوم ومع غروب الشمس أريد أن تكون (الغبساء) جاهزة كرماً لا أمراً يا شيخ

(الشيخ كهلان): لن أقف حائلاً بينك وبين رغبتك لكنني سأرسل معك قافلة ومجموعة من الفرسان لحمايتك

(نافجة): أقسم عليك أن لا تفعل

(الشيخ كهلان) بنبرة مصرة: بل أنا من يقسم بأولاده إنكِ لن ترحلي وحدَك حتى لو استدعى الأمر أن أقوم بأسرك

(نافجة) مبتسمة: سأكتفي بفارسٍ واحدٍ فقط كي لا تحنث بقسمك

(الشيخ كهلان): وهذا الفارس موجود.. (غسان).. فارس فرسان قبيلتنا.. سيرافقك ويوصلك حيث تشائين

(نافجة): ممتنة لك يا شيخ (كهلان)

(الشيخ كهلان): لكن ستبقين معنا يومين آخرين كي أطمئن عليكِ أكثر

مضى اليومين وحل المساء واستعدت العرجاء للرحيل وخلال استعدادها بمعاونة جاريتها مدت لها صرتين. الصرة الأولى صفراء والأخرى خضراء وقالت لها: الخضراء لكِ وبها بعض المال الذي وهبه لي الشيخ فلست بحاجة لكل هذه الأموال..

(الجارية) وهي تضم الصرة لصدرها: شكراً يا سيدتي!

(نافجة): الصرة الصفراء أبقيها معكِ حتى يأتي من يسأل عنها

(الجارية) وهي تأخذ الصرة الصفراء: لم أفهم

(نافجة): لا تفهمي.. فقط نفذي

(الجارية): حاضر

الشيخ (كهلان) من خارج الخيمة يستأذن بالدخول..

(نافجة) تشير للجارية بتخبئة الصرتين: تفضل يا شيخ

دخل الشيخ (كهلان) عليهما وقال لـ (نافجة): لا مجال لعدولكِ عن نية الرحيل إذاً؟

(نافجة) تشد على عكازها والجارية ترتب هندامها: لم أعرف الاستقرار في مكان واحد منذ زمن طويل.. ولولا كرمك لما بقيت كل هذه المدة

(الشيخ كهلان): أعرف أن سبب رحيلك هو خوفك من أن يطالنا أذى ما لكن..

(نافجة) مقاطعة: لقد لجأت إليكم وأنا أعرف أنكم لن تخذلوني ولم تفعلوا.. الريح هبت ويجب عليّ أن أسير معها

(الشيخ كهلان) مبتسماً ومستسلماً لإصرارها: رافقتكِ السلامة يا عرجاء

رافق الشيخ (نافجة) خلال عكزها لخارج الخيمة حيث كانت (الغبساء) بانتظارها فدنت منها ومسحت على جبينها وقبلت خطمها قائلة: افتقدتك يا جميلة..

(الشيخ كهلان) مشيراً لفارس شاب كان يقف بعيداً عنهما: هذا هو (غسان) الذي سيرافقك يا (عرجاء)

وجهت (نافجة) نظرها للفارس ورأت شابّاً وسيماً يمتطي جواداً أحمرَ فقالت للشيخ (كهلان) وهي تربط عكازها بلجام (الغبساء) مبتسمة: ماذا تريد أن تفعله بي يا شيخ؟.. كنت أظنك تريد جعل رحلتي أسهل وليس العكس

(الشيخ كهلان) مستغرباً: لمَ تقولين ذلك؟.. (غسان) فارس صنديد وسيذود عنكِ بكل ما أوتي من قوة ومهارة

(نافجة) ممازحة الشيخ: هذا الشاب يحمل فتنة الأرض على محياه.. هل تنوي هز وقاري بهذا العمر؟.. ألم تجد فارساً غير هذا الفاتن

(الشيخ كهلان) ضاحكاً: اخترته لقوته وبراعته في السيف وليس لشكله

(نافجة) واضعة كفها على رأس (الغبساء) ونظرها للفارس الواقف بعيداً وتقول باسمة: لحسن الحظ أني افترقت عن بناتي وإلا كنّ سيقتتلن عليه..

(الشيخ كهلان) يشاركها النظر والابتسام: حقيقة لا أرى ما ترينه يا (عرجاء).. الشاب وسيم بالفعل لكن ليس لتلك الدرجة

(نافجة): الفتى يملك جمالاً ونسبًا وعيناه تفيضان شهامة ومروءة وأي حرة تريد أن تكون أسيرته.. نادِ عليه أريد الحديث معه فلعل حديث لسانه يُسقط بعضَ فتنته ويخفف عبئي

ضحك الشيخ وأشار لـ (غسان) بالاقتراب منهما..

وصل الفارس على ظهر جواده الأحمر وحنى رأسه لـ (نافجة) قائلاً: شرف لي أن أكون رفيقاً لفخر العرب في حلها وترحالها.. سأكون محل غبطة الكثير فقط لكوني سرت على رمالٍ وطئتها قدمك..

(نافجة) للشيخ (كهلان) وهي تربط سيفها المبروق بخاصرتها: لسانه أشد فتنة من محياه..

(الشيخ كهلان): وضربات سيفه أشد

(نافجة) تمعن النظر في الفارس أكثر وتقول له: أنت لست من «الأزد»..

(الشيخ كهلان) لـ (غسان): العرجاء من أمهر العرب فراسة

(غسان) حانياً رأسه لـ (نافجة): أصبتِ يا عمة.. كيف عرفتِ؟

(نافجة) بتجهم: لا تنادِني بعمة!

ضحك الشيخ (كهلان) بينما تبسمت العرجاء وقالت للفارس الوسيم: أنت من (تغلب) أليس كذلك؟

(غسان): بلى صحيح..

(الشيخ كهلان): (غسان) أتى إلينا من قبيلته قبل عدة سنوات وتزوج من «الأزد» وقرر البقاء معنا

(نافجة) ممازحة: متزوج؟.. وكيف ستقوى زوجتك على فراقك؟

(غسان): زوجتي ماتت قبل عام..

(نافجة) ممتطية فرسها: أراحت واستراحت

غطى الشيخ (كهلان) فمه كاتماً ضحكة باغتته..

(نافجة) لـ (غسان) وهي تشد لجام فرسها استعداداً للتحرك: هيا إذاً يا فتنة العرب لنرحل

(الشيخ كهلان) لـ (غسان): العرجاء بحمايتك يا (غسان)

(غسان): هي في عينيّ يا شيخ وسأفتديها بروحي..

(نافجة) خلال انطلاقها بفرسها: سلمت عيناك يا فقيد زوجتك.. هيا اتبعني

انطلق الاثنان على ظهور دوابهما شرقاً وبعد عدو مستمر لأكثر من ساعة تحت السماء المتلألئة بالنجوم والقمر المكتمل وابتعادهما عن ديار قبيلة «الأزد» أقبلا على مجموعة كبيرة من الهضاب والتلال الرملية الحمراء الشاهقة في الأفق البعيد ومع اقترابهما منها لمحت العرجاء خيال شخصٍ يقف على إحدى قممها فعلمت بأنها (هند) تنتظرها كما وعدت.

شدت العرجاء لجام (الغبساء) وتوقفت..

(غسان) موقفاً جواده الأحمر متسائلاً: لمَ توقفنا يا سيدتي؟ (نافجة): أريدك أن تعود..

(غسان) مستغرباً: أعود؟.. أعود إلى أين؟

(نافجة): لمضارب القبيلة.. لقد نسيت شيئًا مهمّاً في خيمتي ولا أستطيع الرحيل بدونه

(غسان): ماذا نسيتِ؟.. سأعود لإحضاره لكِ

(نافجة) وعيناها مرتكزتان على (هند) الواقفة فوق التلة البعيدة: صرة صفراء.. ستجدها مع الجارية التي كانت معي.. عد واجلبها لي وسأبقى هنا في انتظارك حتى تعود

(غسان): إذا كانت صرة من المال فأنا معي بعض المال

(نافجة) السارحة في (هند) التي بدأت تنزل من قمة التلة: وهل ستنفق عليّ الآن؟.. عد وأحضر الصرة ولا تتأخر

(غسان) ضارباً خاصرة الجواد بكواحله منطلقاً عائداً أدراجه: أمرك!

خلال اختفاء الفارس في الأفق خلف العرجاء بقيت (نافجة) تراقب المتنورة السائرة نحوها وهي تقول محدثة نفسها: «لم أظن أنها طويلة القامة هكذا..»

وصلت (هند) إليها ووقفت على بعد خمسة أذرع من (الغبساء) تراقب (نافجة) بوجه خالٍ من التعابير والريح الباردة تهب محركة خصلات شعرها الأسود المنسدل..

بعد أقل من دقيقة من التحديق بعضهما ببعض بدأت (هند) بالسير ببطء بأقدامها الحافية نحو العرجاء حتى أصبحت أمام رأس فرسها

وأمسكت بلجامها ماسحة على رأسها قائلة: «هل أنتِ مستعدة للموت اليوم يا عرجاء؟»

(نافجة) دون أن تهتز وبكلمات واثقة: نعم.. اليوم مناسب

(هند): أنتِ لا تخشين الموت بالفعل.. أرى هذا في لمعة عينيك وأسمعه في نبرات صوتك..

(نافجة) دون أن تنظر إليها: «أموت مطعونة بنصلٍ عربيٍّ خيرٌ لي من أن أعيش تحت ظل غريبٍ لا ينطِقُ حرفي ولا يلحنُ لحني.. أمثالك هم من سيمكنون الغرباء من احتلال أرضنا ولا أريد أن أكون حاضرة عندما يحل ذلك اليوم المشؤوم»

(هند) تتجهم وتشد لجام الغبساء بعنف: وما أدراكِ بالعروبة يا ساحرة؟!

(نافجة) موجهة نظرها لـ (هند) العابسة: وما شأن كوني ساحرة بعروبتي؟

(هند) بنبرة ساخطة: أكره السحرة جميعاً وكل ما يتعلق بهم.. ساحرة هي من أغوت أختي بالهرب وساحرة هي من قتلتها وهي تسعى للثأر لساحرات غيرها.. السحرة دمروا حياتها وحياة أمي وأبي وأسرتنا

بالكامل.. فلا تظني لوهلة أني سأثق بساحرة خائنة لأرضنا وأهلنا أيّاً كانت!

(نافجة): وساحرة هي من أخذت بثأرها.. أم أنكِ نسيتِ؟

(هند) بعبوس: كيف تعرفين ذلك؟!

(نافجة): اقتليني لأي سبب يرضيك لكن لا تجرئِي على التشكيك بعروبتي وعشقي لهذه الأرض

(هند): جميعكم خبثاء قتلة لا تفكرون إلا بأنفسكم حتى وإن كان هذا على حساب أرواح غيركم فما بالك بأرضكم..

(نافجة): وماذا عن العجم الذين تخدمينهم؟.. العجم هم من اغتالوا أختك وسيقتلون كل عربي لا ينحني لهم ولرغباتهم.. كيف كنا وكيف أصبحنا؟.. نقتل بعضنا بعضاً لأجلهم..

(هند): حديثك هذا لن يغير شيئاً وكرهي للسحرة باقٍ ولن تكوني استثناء.. أختي لم تكن ستسلك طريق هلاكها لولا غواية ساحرة لها وكونها أخذت بثأرها فهذا لم يعِدْها من الموت ولم يطفئ النار المتقدة في صدر أبي حزناً عليها

(نافجة): إذا كنتِ تتحدثين عن (دعجاء بنت وصبان) فأنتِ لا تعرفينها حق المعرفة وهي ليست بغاوية

(هند) بتهكم: ومن سيشهد للأفعى إلا أفعى مثلها؟.. لا خير فيكنّ جميعاً.. سحرة قذرون تعبثون بأرواحنا بلا اكتراث

(نافجة): لا تكوني أداة في أيدي العجم لقتل إخوتك يا (هند)..

(هند) صارخة: السحرة لم يكونوا ولن يكونوا إخوة لي أبدًا!.. استعدي للموت يا عرجاء!

سارت المتنورة مبتعدة عن الفرس بينما ترجلت (نافجة) من فوقها وحلت وثاق عكازها وعكزت بضع خطوات نحوها ثم قالت:

«مستعدة له من قبل أن أراكِ أو أسمع عنكِ يا ابنة معناد.. هيا نفذي أوامر أسيادك العجم»

تبسمت (هند) وهي تحرك كفها بتمايل لتوجيه ضربة قاتلة للعرجاء لكن وقبل أن تنفذ ضربتها سمعت صوتاً من خلفها يقول: توقفي يا (هند)!

التفتت (هند) خلفها لترى أن من كان يحدثها هو قائد فرقة المتنورين

القتلة (فايو) وبصحبته ثلاثة متنورين آخرين. الأول هزيل الجسد بشعرٍ بني مجدل لا يلبس سوى إزارٍ أبيضَ قصيرٍ وصدره المكشوف وشم عليه تسع نجوم أما الثاني فقد كانت امرأة طويلة القامة مفتولة العضلات حليقة الرأس من الجانبين وقمة رأسها كعرف الديك الأحمر اكتست بلباسٍ نحاسي لامع مشدود أظهر قوامها المفصل ومن يدها تدلت سلسلة سميكة نهايتها كرة حديدية شائكة ولم يظهر عليها أي وشوم حتى أخرجت لسانها من فمها وحركته كالأفعى كاشفة عن عشرة وشوم سوداء على سطحه. المتنور الثالث كان رجلاً كهلاً يرتدي عباءة زرقاء وعمة سوداء وملامح وجهه بالكاد تُرى خلف كثافة شعر وجهه الأبيض لكن ما كان واضحاً هو الثلاث عشرة نجمة الموشومة على ظهر يده الممسكة بعصا خشبية اتكأ عليها.

(هند) بخليط من الصدمة والاستغراب: القائد (فايو)؟.. لمَ أنت هنا؟

(فايو) وهو يسير بوجه متجهم نحو (نافجة): أتيت لأنهي عارنا بنفسي!

وجه قائد المتنورين القتلة قبضته لوجه العرجاء في نية لضربها لكنها

تفادت الضربة بإنزال رأسها وتوجيه عكازها لبطنه لكنه لم يتأثر أو يكترث بل ضحك قائلاً: إنها تقاوم!

نطح (فايو) برأسه الأصلع وجه (نافجة) وأسقطها أرضاً..

(هند) صارخة فيه: هذه مهمتي أنا!

(فايو) مشيراً للمتنورين الآخرين بالاقتراب منه وحديثه لـ (هند): لا تقلقي.. أنتِ من سيقتلها في نهاية المطاف لكني أريدها حية لبرهة من الوقت

(هند) بشيء من القلق: لأي غرض؟ أمر السيد الكبير كان بتصفيتها فقط وأي عبثٍ آخر لن أسمح به!

حملت المتنورة الضخمة العرجاء من الأرض برفعها من سواعدها وأبقتها معلقة في الهواء أمام (فايو) الذي قال وهو يوجه قبضته لبطنها: ومن أنتِ كي تسمحي أو لا تسمحي؟.. امتثِلي لأوامري بصمت!

(هند) بغيظ: العرجاء يجب أن تموت بكرامة حتى وإن كانت عدوة لنا!

(فايو) ملتفتاً إليها قبل أن يوجه لكمة أخرى لوجه (نافجة): لا شأن

لكِ بذلك يا (هند) ولا تجادليني أكثر فأنا لا أملك حلم السيد الكبير ولن أتهاون معكِ

صمتت (هند) كاظمة غيظها..

استمر القائد (فايو) بضرب العرجاء والتفنن في تعذيبها حتى اكتفى وأمر المتنورة برميها أرضاً ثم قال لـ (هند): يمكنك الآن قتلها..

وقفت (هند) تراقب (نافجة) وهي بين الحياة والموت وقالت: أنا لا أقتل مصابين..

(فايو) متهكماً: هل هذه من عاداتكم العربية البالية؟

(المتنورة) ملتقطة سيف العرجاء المبروق من خاصرتها كاسرة نصله على ركبتها: أعطني هذا الشرف يا سيدي!

(المتنور النحيل): الأمر ليس لكِ.. (هند) مأمورة من السيد الكبير بهذه المهمة

(فايو) لـ (هند) بنبرة آمرة: نفذي الأمر!.. وكوني مطيعة يا (هند)!

تقدمت (هند) حتى أصبحت فوق العرجاء النازفة والتي رمقتها بنظرة أتبعتها بابتسامة شفقة وقالت: أي ذلٍّ تعيشينه يا أختي..؟

(المتنور الكهل) لـ (هند): السباع تستأنس بالطريدة المصابة.. كوني كسباع فارس وأجهزي عليها

(هند) ونظرها مرتكز على (نافجة) وحديثها للمتنور الكهل: هناك مغالطة بسيطة في كلامك..

(المتنور الكهل) متسائلاً: أي مغالطة؟

(هند) مديرة نظرها للمتنور الكهل وبنبرة حازمة ونظرة حادة:

«أنني لست سبعاً فارسيّاً بل ذئبة عربية..»

وقبل أن يدرك أحد أن (هند) قد انقلبت على أعقابها باغتتهم بحركة بأطراف أناملها أطلقت من خلالها قوساً ضخماً تمكن الجميع من تفاديه عدا المتنور النحيل الذي طار رأسه في الهواء ليسقط جسده وعنقه يفور دماً. صرخ (فايو) غضباً فيها وقال: لقد اقترفت أكبر خطأ يا (هند).. العقاب سيطالك وسيطال أهلك جميعاً!

(هند) باسطة أذرعها جانباً بكفوف مفتوحة: لا عزة لهم وأنا رهينة.. هيا أرسل كلابك!

(فايو) صارخاً في الكهل والمتنورة: ماذا تنتظران؟!.. اقتلاها!

شدت المتنورة الضخمة السلسلة وبدأت تلف الكرة الحديدية الشائكة فوق رأسها لتشتعل وتتحول للون الأحمر بينما أخذ الكهل يدق الأرض بعصاه مخرجاً مجموعة كبيرة من الجراد من بين الرمال حلقت تجاه (هند) المتأهبة. زحفت العرجاء إلى أن وصلت للغبساء ونهضت بثقل محاولة الوصول للجامها لكنها لم تستطع فأنزلت الفرس رأسها مقربة اللجام من قبضتها وقبل أن تمسكه وجدت نفسها ترتفع في الهواء حتى استقرت فوق ظهرها وشدت اللجام وقالت باسمة بوجهٍ دامٍ:

«لا أحد يلمسني مثلك أيها الفارسي..»

(زمجد) وهو يتشكل خلفها فوق ظهر الفرس: لم أصدق ما قيل لي بأنكِ لا تزالين على قيد الحياة

(نافجة) ونظرها على المعركة الدائرة بين (هند) والمتنورين: من أخبرك؟.. وأين بناتي؟

(زمجد): أعتقد أن الوقت غير مناسب الآن للحديث.. من تلك المتنورة التي دافعت عنكِ؟

(نافجة): شخص يحتاج مساعدتي..

(زمجد) وهيئته تتحول: سأكون عكازك

تشكل الجني الأزرق كقدم العرجاء المفقودة لتضرب خاصرة (الغبساء) وتندفع نحو سرب الجراد وهي تقرأ طلسماً شكل غيمة سوداء كبيرة أمطرت عليهم أنصالاً زجاجية صغيرة بددتهم في الحال. تجهم المتنور الكهل ورفع عصاه ورمى بها كالرمح تجاه العرجاء لكن (هند) وبحركة بسيطة من يدها حطمت العصا الخشبية ومنعتها من بلوغ (نافجة) التي لم تتوقف عن الاندفاع قارئة طلسماً آخرَ مخرجة سيفين بين كفيها رمت بأحدهما تجاه المتنورة وقطعت سلسلتها لتنطلق الكرة الحديدية الشائكة المشتعلة تجاه الكهل وتصيبه بضربة أسقطته أرضاً. غضبت المتنورة مما حدث لتجري نحو (الغبساء) المنطلقة وتقبض بأذرعها الضخمة على خاصرة الفرس وترفعها من على الأرض وتلقي بها مع (نافجة) التي تمكنت قبل وقوعها من إحداث شق عميق بسيفها في صدر المتنورة. هبت (هند) لنجدة العرجاء لكن (فايو) اعترض طريقها باسطاً كفوفه بوجهها ليصيبها بوهجٍ معمٍ أتبعه بركلة قوية لوجهها أفقدتها توازنها الذي لم تستعدْه في الحال لأنه استمر بضربها بشكل سريع ومتلاحق حتى أسقطها أرضاً.

همت العرجاء بالنهوض لمواجهة المتنورة التي اقتربت منها لكنها لم تستطع الوقوف بسرعة لأنها اكتشفت أن (زمجد) قد تخلى عن تشكله واختفى. قبضت المتنورة على كاحل (نافجة) بقبضتها الضخمة وقالت بتجهم: «سأريكِ حيلة جميلة!»

رمت المتنورة بالعرجاء في الهواء وقبل أن تقع رفع المتنور الكهل كفيه وكأنه يدعو للسماء وأبقاها مكانها تطفو معلقة بين السماء والأرض ثم قام بتحريك أنامله ضاغطاً على جسدها والمتنورة تضحك بالأسفل.

(المتنور الكهل) لـ (المتنورة) وعيناه على نافجة الطافية أمامه: اذهبي وعاوني القائد.. هذه العربية لا تستلزم وجودنا نحن الاثنين

هزت المتنورة رأسها بالموافقة وجرت نحو (فايو) بينما استمر المتنور الكهل بتعذيب العرجاء ببطء وبعد ما اكتفى قال: انتهى وقت المرح وحان الوقت لنسمع طقطقة بعض العظام..

هم الكهل بالبدء بتحطيم عظام (نافجة) المعلقة في الهواء لكنه فوجئ بسهم يرتكز في ظهره مما أفقده السيطرة عليها لتبدأ بالهبوط بسرعة لكنها وقبل أن ترتطم بالأرض وقفت على أقدامها بكل هدوء.

(المتنور الكهل) ملتفتاً خلفه: ما الذي يحدث؟!

(كُميت) وهي تشد سهماً آخر على قوسها: لا تقترب من عمتنا..

تجهم المتنور الكهل ورفع كفه بوجه الحجازية ليصيبها لكنه وجد سيف (رافدة) يفصل رسغه بعد ما باغتته من الجانب. قبض الكهل على معصمه النازف صارخاً وخلال صراخه ارتكز سهم آخر في عينه اليسرى. جن جنون المتنور الذي وضع كفوفه على رقبته في نية للقيام بهجمة ما لكن العرجاء كانت له بالمرصاد وسحقته بطلسم مباغت من خلفه حوله لرماد.

(عوراء) تجري وتعانق (نافجة) قائلة: أنا سعيدة برؤيتك يا عمة!

جرت الفتاتان أيضاً وعانقتا عمتهما في عناقٍ طويلٍ وقوي ولم تقولا شيئاً واكتفتا بالبكاء وهي تربت على ظهورهما باسمة..

(زمجد) وهو متشكل كقدم العرجاء: أعتقد أننا لم ننتهِ بعد..

وصلت المتنورة الضخمة حيث كان (فايو) و(هند) يقتتلان ورأت أن الغلبة كانت لقائدها مؤقتاً قبل أن تباغته (هند) بالقفز من فوق رأسه وتوجه ضربة قاصمة لعنقه أسقطته على ركبتيه لتقف من خلفه رافعة

قبضتها في نية لإنهائه لكنها وقبل أن تفعل وجدت أقدامها ترتفع عن الأرض بعد ما احتضنتها المتنورة من الخلف بقوة وحملتها. توهجت سواعد المتنورة العضلية وصعقت (هند) بصاعق استنزفت الكثير من قوتها ليقف (فايو) أمامها ويراها وقد فقدت سيطرتها ليقول بعد ما بصق بعض الدماء على الأرض:

«كان بالإمكان أن تكوني ذات شأن عظيم بالطائفة الجنتية لكن حمقك قادك للبقاء في القاع مع بني جلدتك..»

(المتنورة) وهي تشد وتضغط بشكل أقوى على خاصرة (هند): امنحني شرف خدمتك أيها القائد!.. أعطني الأمر لسحقها!

(هند) ضاحكة بتهكم لـ (فايو) وجسدها يهتز من حركة المتنورة العنيفة: امنحها هذا الشرف قبل أن تفقد عقلها!

(فايو) رافعاً سبابته أمام وجه (هند): سوف أمنحك أنتِ فرصة أخيرة للعدول عن خيانتك.. فقط قدمي الولاء لنا مجدداً وسوف أقتلكِ فقط وأعفو عن أهلك!

(هند) مبتسمة والمتنورة تضغط أكثر على جسدها: هناك شيء لا تعرفه عن أهلي يا فارسي..

(فايو) وذهنه وتركيزه يتشتتان من عدم مبالاة (هند) بحديثه: أعرف ماذا؟

(هند) وعيناها تتحولان لوهجٍ أحمر: أننا لسنا من نسل الهاربين..

ركلت (هند) بمقدمة قدمها ذقن (فايو) بقوة هشمت عظام وجهه وأخرجت عينيه من محجريهما ليسقط صريعاً. عندما رأت المتنورة ذلك المنظر أمامها قررت قتل (هند) في الحال وهمت بتحطيم عظامها لكن المتنورة العربية وجهت رأسها للخلف بسرعة وقوة وضربت وجهها هي الأخرى محطمة ملامحها وبالرغم من أن المتنورة فقدت بصرها وقدرتها على التنفس والكلام إلا أنها لم تفلت قبضتها من على (هند) واستمرت بالضغط عليها أكثر كاسرة أحد أضلاعها. بدأت المتنورة العربية تحس بالاختناق وشعرت بالقلق لأن تلك المتنورة الضخمة قد أحكمت قبضتها عليها وفي طريقها لقتلها وقبل أن يحدث ذلك حررتها فجأة وأسقطتها على الأرض تسعل بحثاً عن الهواء.

شدت (كُميت) سهماً آخر على قوسها بعد الذي أطلقته على رأس المتنورة ووجهته نحوها خلال تلويحها بأذرعها في ظلام إصابة وجهها..

(نافجة) تقف بجانبها: ماذا تنتظرين يا حجازية؟

(كُميت) وهي تطلق السهم نحو المتنورة: لا شيء يا عمة.. لا شيء على الإطلاق

أصاب السهم قلب المتنورة منهياً حياتها على الفور لتسقط بجانب قائدها (فايو)..

نهضت (هند) واضعة كفها على صدرها متحسسة ضلعها المكسور..

(نافجة) بعد ما سارت وبناتها من خلفها ووقفت أمامها: أنا مدينة لكِ يا أختي..

(هند): لم أقم بشيء لم تكوني أنتِ ستقومين به لأجلي

(نافجة): أصبتِ كبد الحقيقة.. كُلُّ من تجري في عروقه دماءٌ عربيةٌ فهو أخي، ونصرته هاجسي مهما كان ومهما فعل..

(هند) وهي تراقب الفتيات المحيطات بالعرجاء: من هؤلاء؟

(نافجة): بناتي..

(هند): ساحرات مثلك؟

(نافجة): بل عربيات مثلك..

تبسمت (عوراء) عندما سمعت عمتها تصفها بالعربية..

(هند) لـ (كُميت): شكراً يا رامية.. مهارتك العالية أنقذتني من الموت

(كُميت): أي عزيز على العمة عزيز علينا

(رافدة) ممعنة النظر بوجه (هند): أربع عشرة نجمة .. لا بد وأنكِ بذلتِ مجهوداً كبيراً للحصول عليها

(هند) تمسح بأناملها على نجوم وجنتها وتبتسم: وسأبذل مجهوداً أكبر للتخلص من عارها..

(نافجة): لا عار كعار الخيانة يا أختي

(هند) ببرود وهي تهم بالرحيل: نعم.. ربما

(نافجة): إلى أين؟

(هند): المتنورون بلا شك سيسعون للانتقام مني ومن أهلي.. يجب أن أعود لأحميهم

(نافجة): ولمَ ننتظرهم حتى يأتوا؟

(هند): ماذا تقصدين؟

(نافجة): أنا أنوي نقل المعركة من أرضنا لأرضهم.. لن نبقى مطاردين بعد اليوم.. الماران مات كالكلب لكنه ترك خلفه كلاباً أخرى ستحاول النهش فينا..

(هند) مبتسمة بتهكم: هل تعرفين عن ماذا تتحدثين؟.. أنت تتحدثين عن الطائفة الجنتية.. هل لديك فكرة عن مدى قوتها ونفوذها؟

(نافجة): أخبريني أنتِ..

(هند) ضاحكة: أخبركِ بماذا أيتها مجنونة؟!

(نافجة): أنتِ الوحيدة بيننا التي يمكنها حصر قوة عدونا وشرح ما نحن مقبلون عليه كي نكون أكثر حذراً

(هند): حذر؟!.. لا تجعلي نصرك اليوم يوهمك أنكِ قادرة على مجابهتهم.. أنتِ تتحدثين عن مجموعة من القتلة المرضى والكهنة المجانين وأعدادهم بالآلاف!

(نافجة): هدفي لن يكون سوى كبيرهم.. موته هو أقوى رسالة أريد إرسالها لهم من أرض العرب

(هند): ستموتون جميعاً حتى قبل أن تصلوا لجبال الملح..

(نافجة): أنا مستعدة للموت..

صمتت (هند) واكتفت بالنظر لوجه (نافجة) الثابت والعازم..

(نافجة) لفتياتها ونظرها لـ (هند): ماذا عنكنّ يا بناتي؟

(كُميت): أنا مستعدة للموت..

(عوراء) بحماس: وأنا كذلك!

(رافدة): نعم لمَ لا..

(نافجة) لـ (هند): ماذا عنكِ يا ابنة (معناد)؟.. هل ستكونين معنا أم ستهربين؟

تبسمت (هند) وقالت: ساحرة خبيثة..

عانقت العرجاء (هند) وشدت على عناقها وهي تقول: سنثأر لأختك ولكل عربي أريق دمه من هؤلاء الغزاة..

(هند) وهي تفك عناق العرجاء: هجرتنا لـ «فارس» لن تكون بالأمر اليسير وأنا لا أنتقص من شجاعتكن لكن وحتى بوجودي معكن فالرحلة إلى عرش السيد الكبير محفوفة بالمخاطر المميتة..

(نافجة) مبتسمة: ومن قال إننا نحن فقط من سيذهب؟

(هند) بتساؤل: ومن غيرنا سينضم لهذه الرحلة الانتحارية؟

# نار نجد

«هل أصابكِ الخرف أخيراً يا ابنة النخيل..!»

قالتها كبيرة سحرة «اليمامة» الملقبة بـ (القيقبون) بعد ما دخلت عليها العرجاء مع (زمجد) في منزلها الطيني بأحد أزقة «اليمامة» الضيقة في محاولة منها لإقناعها بالانضمام لمجموعتها الساعية لقتل كبير المتنورين بـ «جبال الملح».

(نافجة): لا تتظاهري بأنكِ لا تكترثين لعبث العجم بأرضنا.. أنا أعرفكِ جيداً وأعرف أن خلف هذا الوجه القبيح قلباً عربيّاً أصيلاً لا يرضى بالذل والمهانة خاصة من الغرباء

(القيقبون) وهي متقرفصة عند قدرها: أنا متعجبة من أنكِ لم تموتي حتى الآن.. بعد أن سمعت بمقتل الماران تيقنت من أنك هالكة لا محالة لأن دمه لن يُترك

(نافجة): لست أنا من قتله.. ثم إني لا أخشى الموت

(القيقبون): أنا أخشاه.. ما زلت في ريعان شبابي.. أليس كذلك يا (زمجد)؟

(زمجد) بارتباك: صحيح يا سيدة (قيقبون) فأنتِ كالزهرة التي لا تموت

(القيقبون) بندم: ليتني لم أفرط بك لمن لم تقدرك.. وجهك مخطوف

(نافجة): وجهه كما هو يا عجوز القدر.. ولا تحيدي عن الموضوع

(القيقبون) وهي تنهض مديرة ظهرها لهما: لا يوجد موضوع يا ابنة أملج.. إن كنتِ تريدين الموت في «فارس» فهذا شأنكِ ولا تقحميني معكِ في جنونك

(نافجة): حسناً.. لا تأتي معي.. لكن أعيريني علمكِ

(القيقبون) ملتفتة إليها بتجهم: ماذا تريدين؟!

(نافجة): عصبتي التي سأرحل بها لـ «فارس» بالخارج.. ألقي نظرة عليهنّ

(القيقبون): عصبة؟.. ولمَ ألقي عليهنّ «نظرة»؟

(نافجة): فقط لتسدي لهنّ بعض النصح من علمكِ الغزير

(القيقبون) بريبة: ماذا تخططين له يا ابنة النخيل؟

(نافجة) تعكز خروجاً من منزل ساحرة اليمامة: لا أخطط لشيء يا عجوز القدر..

تبعت (القيقبون) العرجاء وعند مرورها بالجني الأزرق مسحت على ظهره قائلة بحسرة: تقدم يا فقيدي..

خرج (زمجد) ومن خلفه (القيقبون) التي رأت مجموعة من الفتيات أمامها تتوسطهن امرأة طويلة القامة وما أن رأتها حتى قالت بجزع: هذه متنورة!

(نافجة): وستكون معنا خلال رحلتنا فعروبتها أبت إلا أن تجبرها على الوقوف في صف أخواتها

(القيقبون) وهي تجول بنظرها بين الفتيات: العصبة لا بد وأن تتكون من مضاعفات الثلاثة

(نافجة): نحن لسنا عصبة ساحرات

(القيقبون) بتجهم: عصبة ماذا إذاً؟.. هل هؤلاء من سيطِحْنَ بالطائفة الجنتية؟!.. مجموعة نساء وطفلة بائسة تقودهن عجوز خرفة؟!

(نافجة) متهكمة: هل معنى ذلك أنك ستنضمين إلينا؟

(القيقبون) وهي تهم بالعودة لمنزلها عابسة: اذهبنّ جميعاً للجحيم الذي اخترتنَّه..

أوقفت العرجاء تقدم ساحرة اليمامة بوضع يدها على كتفها وقالت: مهما ادعيتِ عدم الاهتمام فأنا أعرفك يا ابنة «نجد».. أنتِ أكثر من تضرر من هؤلاء العجم ودماؤك تغلي مثلي.. رافقيني.. رافقينا جميعاً.. كوني عوناً لنا.. نحن بحاجتكِ

صمتت «القيقبون» وأغمضت عينيها آخذة نفساً عميقاً زفرته قائلة: دم رقبتي سيكون في رقبتك يا ابنة النخيل..

(نافجة) تهز كتفها مبتسمة بسعادة وبصوتٍ مسموع للجميع: دماؤُنا واحدة يا ابنة الصحراء!

(عوراء) تقفز مبتهجة: عجوز القدر ستأتي معنا!

(القيقبون) بتجهم لـ (نافجة) وهي تدخل منزلها: أبعدي هذه الصبية عني قبل أن أضعها في القدر!

أشارت العرجاء للجميع بالدخول وراءها لمنزل (القيقبون) حيث اجتمع الجميع حولها وهي تشعل النار تحت قدرها وتقول: الدم هو الدم لا مناص من ذلك.. بعض الدم فاسد ويجب أن يُفصد..

(نافجة): دم العربي معصوم إلا من خان..

(القيقبون) تهز رأسها للعرجاء موافقة وتقول: دم العربي معصوم إلا من خان..

(رافدة): ما الذي يحدث؟

(هند) تشير لها بالصمت..

أمسكت (القيقبون) بخنجر كان معلقًا خلفها ووضعته تحت قدرها المشتعل ثم أشارت لـ (هند) بالاقتراب منها..

سارت ابنة (معناد) ووقفت أمام ساحرة «اليمامة» التي سحبت الخنجر المتوهج وبدأت بكي وجنتيها طامسة نجومها دون أن تبدي (هند) أي

جزع أو إحساس بالألم بل بقيت تحدق بأعين (القيقبون) بحدة خلال قيامها بذلك.

(عوراء) محتضنة (كُميت) الجالسة بجانبها: ما الذي تفعله؟!

(كُميت): تطهرها..

(نافجة) برضا: الآن عدتِ إلينا..

أومأت (القيقبون) لـ (نافجة) بصمت ففهمت العرجاء مقصدها وقالت محدثة فتياتها: قفن بعضكنّ بجانب بعض..

نفذ الجميع كلامها عدا (هند) التي أشارت لها (القيقبون) بالبقاء مكانها وسارت نحو الفتيات المصطفات واستهلت بـ (كُميت) حيث قبضت حفنة من التراب من بين أقدامها ورفعتها فوق رأسها وهي تحدق بأعينها قائلة:

«أنتِ العين.. روح الصقر المحلق فوقنا..»

هزت (كُميت) رأسها بالتأييد ففتحت (القيقبون) قبضتها ناثرة التراب فوق رأسها..

كررت (القيقبون) الأمر ذاته مع (رافدة) وقالت لها وهي تقبض التراب فوق رأسها:

«أنتِ الجسد.. فرس عربية الهوى والهوية..»

هزت (رافدة) رأسها بالتأييد ففتحت (القيقبون) قبضتها ناثرة التراب فوق رأسها..

قبضت (القيقبون) تراباً من تحت أقدام (عوراء) ورفعته فوقها قائلة:

« أنتِ القلب.. نقاء المشيمة وعذوبة المطر..»

نثرت ساحرة «اليمامة» التراب فوق رأس (عوراء) التي أغمضت عينيها واضعة كفيها على رأسها وقالت متذمرة: لقد أفسدتِ شعري!

(القيقبون) ملتفتة إلى (نافجة): أنا لا أحب هذه الفتاة..

(نافجة) مبتسمة: شكراً يا أصيلة..

(القيقبون) تعود لقدرها ضاربة كفَّيْها بعضهما ببعض نافضة ما تبقى من تراب عليهما: لا أعرف إذا كنا سنتمكن من تحقيق شيء بقدراتنا المحدودة هذه.. لكننا سنحاول

(هند): السيد الكبير يقيم بقصرٍ رخامي ضخم يقبع فوق إحدى قمم «جبال الملح» يسمى بـ «عرين الأسد» وهو أكثر مكان محصن في تلك الجبال وقدراتنا بلا شك غير كافية لمواجهة حراسة القصر المشكلة من

مئات القتلة والكهنة من المتنورين الذين يعج بهم المكان لكن بخطة محكمة قد نتمكن من التسلل و..

(القيقبون) مقاطعة وهي تجلس أمام قدرها: لو كانت من تتحدث هي العجوز التي لا تشيخ لعذرت جهلها لكنكِ متنورة وتعرفين ما نحن مقبلات عليه وأن مكان إقامة كبير المتنورين حصن منيع لا يمكن اختراقه.. لا أحد يصطاد الأسد بالدخول لعرينه..

(هند): وكيف يتم اصطياد الأسد؟

(نافجة): بأن نستدرجه للخارج أولاً..

(القيقبون): ومع ذلك المهمة شبه مستحيلة والمرأة الطويلة تعرف هذا جيدًا

صمتت (هند) لأنها بالفعل تدرك أن مجرد الاقتراب من «جبال الملح» سيعرضهنّ لمخاطر مواجهة الحراس والقتلة المحترفين المنتشرين في تلك المنطقة..

(نافجة): سنكون بخير.. لا تبثي اليأس في صدورنا يا عجوز القدر

(القيقبون) وهي تعبث في نار القدر بعصا: إذا لم تحدث معجزة فلا تطلبي مني التفاؤل

تبسمت العرجاء ولم تقل شيئاً..

(القيقبون) لـ (زمجد) الواقف خلفها: ظهري يؤلمني.. ادعكه لي كما كنت تفعل سابقاً

(زمجد) لـ (عوراء): هل تأذنين لي يا سيدة (عوراء)؟

(القيقبون) بعصبية: ولِمَ تسألها هي؟!

(عوراء): نعم لا بأس.. حتى وإن كانت بغيضة

(القيقبون) صارخة في (زمجد): لا أريد منك شيئاً!.. ابتعد عني!

ضحكت العرجاء وخلال ضحكها دنت منها (هند) وهمست لها: العجوز محقة.. نحتاج معجزة لمجرد الاقتراب من «جبال الملح»

زفرت العرجاء وقالت: سنرى..

كتاب يرمى داخل الغرفة قادماً من مدخل المنزل..

يصطدم بالقدر ويقع بجانبه..

تنهض (القيقبون) من أمام القدر وتسير بخطواتٍ حذرة..

تلتقط الكتاب بوجهٍ متعجب..

تفتحه.. تقع عيناها على إحدى صفحاته..

تقول منبهرة:

«كتاب سليمان الحكيم!.. هذه هي المعجزة التي كنا بانتظارها..!»

وجه الجميع أنظارهم نحو مدخل المنزل ليروا امرأة تغطي رأسها بخمارٍ أسود أخفى ملامحها تقف صامتة..

(هند) رافعة كفها مستعدة لمواجهتها: خذوا الحذر منها!

(كُميت) تشد سهماً..

(رافدة) تسل سيفها..

(عوراء) المرعوبة تحتمي خلف (زمجد) المتجهم..

(القيقبون) منادية على المرأة الغريبة: من أنتِ يا أخت العرب؟!

رفعت المرأة الغطاء عن رأسها كاشفة عن وجهها موجهة نظرها للعرجاء..

(القيقبون): ما زلت لا أعرفك يا أختي.. عرفينا بنفسك!

(نافجة) وقد تعرفت على المرأة وبابتسامة دامعة: «المعروف لا يُعرَّف يا عجوز القدر..»

# شمس وسبعة سباع

الوزير (روشني) يطلب اجتماعاً عاجلاً مع السيد الكبير لمناقشة آخر التطورات في «عربستان» بحضور وزير الكهنة (آغ)..

يجتمع الثلاثة وحدَهم بقاعة العرش مع حضور حرس السيد الكبير فقط..

(السيد الكبير) بصوته الغليظ: أرى في وجهيكما الكثير من الخيبات

(روشني) حانياً رأسه: أنا والسيد (آغ) نريد تقديم تقريرنا لك

(السيد الكبير): أنا منصت

هم (روشني) بالكلام لكن كبير الكهنة رفع كفه مشيراً له بالتمهل وقال: لنبدأ بما هو إيجابي أولاً..

صمت (روشني) وأعطى المجال لـ (آغ) بالحديث..

(آغ): لقد نجحنا أخيراً في قتل الساحرة الهجينة يا سيدي

(السيد الكبير): تقصد التي قتلت الكثير من أتباعنا في «عربستان»؟

(آغ): نعم هي بعينها.. الكاهن الذي كلفته بتعقبها والتخلص منها أرسل لي رسالة بعد عدة أشهر من سفره لـ «عربستان» وقد أفادني بأنه أنجز مهمته

(السيد الكبير): قتلتك الكهنة عجيبون يا (آغ).. مهما طال الانتظار فهم يحققون غايتهم ولو بعد حين

(آغ): جميعنا نستمد الحكمة والقوة من عظمتك.. (مايزك) في طريق العودة لـ «فارس» ويستحق مكافأة

(السيد الكبير): عند وصوله أرسله لي.. سوف أكافئه بنفسي

(آغ) حانياً رأسه: أمرك

(السيد الكبير): ماذا لديكما أيضاً؟

وجه وزير الكهنة نظره لـ (روشني) في إشارة منه للحديث فقال: لقد قُتل (فايو) في أرض «عربستان» خلال محاولته تصفية العرجاء بنفسه

(السيد الكبير) ضارباً بقبضتيه على أطراف عرشه بغضبٍ شديد:

ماذا؟!.. ألم أنهه عن الذهاب؟!.. كيف حدث هذا؟!

(آغ): انقلبت (هند) علينا وعاونتها وقتلته مع ثلاثة متنورين آخرين رافقوه

(السيد الكبير) وهو يتنفس بثقل: هذا ما جنيناه من الثقة بالعرب!.. فلتذهب للجحيم هي وتلك العرجاء!

(روشني): في الواقع هما ليستا ذاهبتين للجحيم.. بل إلى هنا

(السيد الكبير) متجهماً: هنا أين؟!

(روشني): لـ «جبال الملح».. لقد عقدتا العزم على مواجهتنا في عقر دارنا.. جواسيسي أبلغوني بذلك للتو بعد ما رصدوهما بـ «اليمامة» وتعقبوهما لمنزل كبيرة السحرة هناك

بدأ السيد الكبير يضحك بشكل مفرط والوزيران ينظران بعضهما لبعض باستغراب..

(السيد الكبير) بكبرياء: فليأتين إلى مثواهنّ الأخير!.. هؤلاء العرب يثبتون لي حماقتهم كل يوم!

(روشني): سوف أنشر أسراب الجراد لاستدعاء جميع القتلة خارج البلاد للعودة والمشاركة في الدفاع وصد هجومهن

(السيد الكبير): ولم كل هذا الحشد؟.. لدينا ألفا مقاتل هنا ناهيك عن الكهنة الأقوياء

صمت الاثنان منزلين رؤوسهما ولم يردا..

(السيد الكبير) بخليطٍ من العجب والغضب: ما بكما!.. لمَ كل هذا الخوف من العربيات؟!

(روشني) ورأسه لا يزال منزلاً: كتاب سليمان الحكيم بحوزتهن..

(السيد الكبير) وكأن صاعقة قد ضربته: ماذا؟.. الكتاب..؟.. كيف حصلن عليه؟

(روشني): هذا الخبر بالذات ليس مؤكداً حتى الآن لكن هناك تواتراً في معلومات الجواسيس وكلها تشير إلى أن قاتلة (الماران) والتي سرقت منه الكتاب ظهرت في «اليمامة» وكانت تتعقب العرجاء ومن معها

(السيد الكبير) بغضب متفجر: وأين أنتم وكل هذا يحدث؟!.. أين الجواسيس؟!.. أين القتلة؟!

(آغ): كل شيء تحت السيطرة يا سيدي

(السيد الكبير) بعصبية: عن أي سيطرة تتحدث؟!.. الماران يذبح وكتابه يسرق!.. وزير القتلة يقتل مع مجموعة من المتنورين بكل سهولة!.. وأين؟!.. بأرض العرب!.. العرب دونَ كل الشعوب!

(روشني): يجدر بنا الآن تحديد..

(السيد الكبير) ينهض صارخاً بحنق مقاطعاً (روشني): اخرس!.. لا تتحدث بتخاذل؟!.. سأواجههن بنفسي إن كنتما تخشيان الموت يا جبانان!

(آغ) بهدوء: لن يكون ذلك ضروريّاً يا سيدي ففي جعبتنا الكثير

(القائد الكبير) بتجهم شديد: هل تلمح إلى أني لا أستطيع قتل هؤلاء البهائم بحركة من طرف إصبعي؟!

(آغ): العفو يا صاحب العظمة لكن..

(السيد الكبير): لكن ماذا أيها الفاشل؟!.. كل ما حدث وسيحدث بسبب فشلك في إتمام مهمتك أنت والأحمق بجانبك!

(آغ) محاولاً الحديث بهدوء خلال ثورة السيد الكبير: سوف نضع رؤوس العربيات تحت أقدامك في اليوم نفسه الذي تحط فيه أقدامهنّ

على أرض «فارس» ولن يستلزم الأمر تحريك قاتل واحد من «جبال الملح» أو من خارجها

(القائد الكبير) وقد بدأ يهدأ قليلاً: لمَ ينتابني شعور بأنك تخفي علينا أمراً ما يا زعيم الكهنة؟.. ما الذي يدور برأسك؟

(روشني) منصتاً باهتمام لحديث (آغ) والذي بدا أنه سيكون أمراً جديدًا عليه ولا علم له عنه..

(آغ): (كلكامش).. أعز صديق لي.. بل كان أخي.. المتنور العظيم الذي قدم لنا خدماتٍ جليلة طيلة حياته وجند أهم المتنورين والكهنة في طائفتنا

(القائد الكبير) بتهكم: ومات مدفوناً تحت ركام الجبل.. نهاية لا تليق برجل بتاريخه

(آغ): العظماء يخلدون بالإرث الذي يخلفونه بعد مماتهم أيها القائد العظيم..

(السيد الكبير): وما الذي خلفه (كلكامش) بعد موته المهين غير غبار لحمه المحروق؟.. أم أنك تقصد جثث تلاميذه المقتولين؟.. نحن حتى

لا نعرف حقيقة ما حدث ذلك اليوم وكل ما بحوزتنا مجرد تكهنات

(آغ) مبتسماً مشيراً بيده لشخص بالدخول عليهم: سأترك الحديث لآخر تلاميذه ليشرح لك ما حدث

وجه الجميع أنظارهم لمدخل قاعة العرش ليروا فتاة حافية بملابس خفيفة جدّاً بالكاد غطت جسدها تسير نحوهم بأعين مشعة وعند بلوغها عرش السيد الكبير انحنت بركبتها أمامه وبقيت تحدق فيه بأعينها المتوهجة بنورٍ أبيض قوي ولم تقل شيئاً.

انبهر السيد الكبير من الطاقة القوية الصادرة من تلك الفتاة الحافية وقال ونظره منصبٌ عليها وحديثه لـ (آغ): من هذه الفتاة يا وزير الكهنة؟

(آغ) مبتسماً باسطًا كفه المفتوح فوق رأس الفتاة المنحنية على ركبتها وبنبرة فخورٍ: إرث (كلكامش) يا سيدي.. إرثه الذي تركه لنا بعد رحيله.. الإرث الذي سيسحق (هند) وساحراتها العربيات.. (مهرناز).. أول هالة نجمية مفعلة في تاريخ الطائفة

(السيد الكبير) لـ (مهرناز): إذاً أنتِ من قتل (كلكامش)؟

(مهرناز) تقف وتقول له بأعين تتوهج نورًا وابتسامة مخيفة:

«حاول أن يحاكي الشمس فاحترق..»

تختتم المغامرة في الجزء الثالث والأخير من ثلاثية «العرجاء»
والسادس من ملحمة «بساتين عربستان»

# عرين الأسد

«إذا لم يُقدّر لنا أن ننجو معاً فلنحترق سوياً..»
القيقبون


الروائي
أسامة المسلم


٥٢٧

مجموعة من الذئاب المفترسة تقترب من جثة الساحرة الهجينة

يغرس أحدها أنيابه في قدمها ويشدها بقوة وعنف..

تشهق.. تنتفض أناملها.. تفتح أعينها مفزوعة..

ترى أنها محاطة بمجموعة من الذئاب المزمجرة..

تبتسم وهي تراقبهم يقتربون منها..

تمد يدها في حقيبتها الجلدية..

تخرج القناع الذهبي..

تضعه على وجهها..

تعقد أصابعها..

تتمتم..